

من تاريخ مصر



الحياة النيكية
والاحزاب في مصر
من ١٨٦٦ الى ١٩٥٢

الناشر مكتبة مدبولي

مكتبة مدبولي

مكتبة مدبولي

الحياة النيابية
والأحزاب في مصر

إهداء ٢٠٠٦
المرحوم / يوسف درويش
القاهرة

من تاريخ مصر

الحياة السياسية
والأحزاب في مصر
من ١٨٦٦ إلى ١٩٥٢

تأليف: جاكوب لاندو
ترجمة وتعليق: سامي الليثي

الناشر
مكتبة مدبولي

تعليق

اعترض هذا الكتاب قراءاتي في عام ١٩٦٤ ، فكتفت بترجمته لمراجعاتي الشخصية واطلاعي الخاص .. ولكن هذا العام ، وأنا اتابع بعض ما عن لي عن مسائل في الفترة التي يعايشها الكتاب غيرت رأبي تحت الحاح عوامل ثلاث :

أولها : ان ندرة الاحصائيات المتاحة بين يدي القراء والباحثين تدعو الى وضع هذا الكتاب بين ايديهم على ما فيه من مغالطات لاستغلال هذه الاحصائيات - حتى يستطيعون من خلاله الاستفادة من البيانات والاحصائيات التي اوردها .. وهي بيانات وجدتها بالمراجعة دقيقة لا لبس فيها .. حاول المؤلف ان يستقيها من مصادرها الاصلية ، التي تجعل منها وثائق غير قابلة للشك . فهي كلها وثائق ومصادر عربية جمعت بين الكتاب والمستند المستخرج من الهيئة المختصة . او من تلك البيانات الرسمية التي تعلن باسم هذه الهيئات الرسمية في الجرائد .. او المقالات والبيانات التي تعبر عن صوت الاحزاب في اتجاهاتها وبرامجها .. او من المجلات والجرائد العربية ، والمصرية بالذات ، والتي كانت ولا شك تمثل هذه المرحلة على قدر المستطاع .

اما المراجع الاجنبية التي قدمها المؤلف كمصدر لمعلوماته وبياناته، فهي ايضا كتب مشهورة ومعروفة ونوقش اغلبها بين مفكري وكتاب العربية .. او مذكرات متبادلة بين دار الحماية البريطانية التي اصبحت

فيما بعد السفارة البريطانية ، وبين وزارة الخارجية البريطانية في لندن .. وهي مذكرات نشرت بعد ذلك على الرأي العام العالمي ، ونشر بعضها في الجرائد المصرية - ومهما كان وضع هذه الكتب والبيانات الاجنبية، فهي ان لم تكن تعطي صورة حقيقية للاوضاع في مصر : فهي على اي حال اعطت صورة حقيقية لواقع قوى الحماية البريطانية في مصر ، وهي قوى كانت تلعب دورا بارزا في الحياة السياسية في مصر وتؤثر فيها ، ومن الضروري وضعها موضع الاعتبار عند مناقشة هذه الفترة من حياتنا بالذات .

ثانيها : من الخطأ .. والخطأ الكبير .. تصور امكان بتر فترة من تاريخ ، الا اذا كان هناك اعتقاد بان مرحلة من حياة هذه الامة قد بدأت جديدة تماما كبداية التاريخ .. ومن فراغ وهي كبوة استراتيجية بالغة الخطورة ، ربما كانت السبب في الكثير مما تعانيه الامة العربية والشعب المصري اليوم في البحث عن الذات ، بعد ان محيت من مخيلته حلقة كان من الممكن ان تربطه بماضيه - مهما كان الرأي في هذا الماضي ، وفي هذه الحلقة - ولكنها على اي حال كانت توفر عليه حيرة اليوم .. والتي يجد صعوبة في التخلص من عقدها .. او بمعنى أصح العودة الى اصوله الفكرية والسياسية والاجتماعية .. فلقد كان سعد زغلول يقول لمن يحاول ان يحيطه بهالة الانفراد والوحدوية في زمان الكفاح الوطني ان على الشعب المصري قبل ان يقدم الى سعد زغلول اي تقدير أو اعجاب ، ان يذكر بالتمجيد اولئك الذين سبقوه في الكفاح وشقوا له بداية الطريق .. عرابي والافغاني ومحمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد .. وكان سعد يقول « ان حزب الوفد او كفاح سعد زغلول ما هو الا حلقة تسلمت الرسالة بعد ان قدم هؤلاء دماءهم وارواحهم وحياتهم من اجل ان تصل هذه الرسالة الى حزب الوفد او سعد زغلول » .

وهناك لمحة ذكية من مؤلف هذا الكتاب ((جاكوب لاندو)) يقول فيها ان برنامج حزب الوفد كان صورة شبه كاملة لبرنامج الحزب الوطني .. الا ان قدرة الوفد الجماهيرية ، وحيويته التي اجتذبت الفلاحين والطبقات الكادحة الى ساحة الكفاح الوطني ، هي التي جعلت الوفد اقوى الاحزاب السياسية المصرية في الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٥٢ .

ولقد اضيفت هذه الفترة من حياتنا دراساتها مرحلة طويلة . ولو انها ليست طويلة في نظر التاريخ ولكن جيلا كاملا من الشباب شب الى وعيه وهو لا يعلم شيئا عن مرحلة هامة من تاريخ بلاده وكفاحها الوطني .. بل من مرحلة سابقة على عصره مباشرة .. والحلقة التي تربطه الى ما قبلها ، وتهيؤه للمستقبل الذي يتصوره .

فهذا الكتاب يعايش الحياة النيابية ونشوء وانهيار الاحزاب السياسية الوطنية في الفترة ما بين ١٨٦٦ في عهد الخديوي اسماعيل ببداية مجلس الشورى وقيام حزب احمد عرابي الوطني .. وتنتهي في عام ١٩٥٢ بنهاية برلمان ١٩٥٠ ، وحل الاحزاب في نوفمبر ١٩٥٤ .

ثالثها : واحد من اهم اعراض الامم المتخلفة ، هو عقدة الخوف من رأي الغرباء الاجانب .. سواء بالنقد او التجريح .. ويبدو ان هذا العرض ينبع من عقدة الافتقار الى نظرية ثابتة يستند اليها المجتمع ويواصل من خلالها مسيرته .. فاي نقد يسبب له حرجا مبالغا تحت وطأة هذا الشعور بالافتقار والنقص .

والحقيقة انه ما من نظرية بدأت متكاملة .. او بمعنى اصح ، يمكن لاي نظرية ان تبدأ لو ارتبطت حلقات تاريخها على ان تستكمل كيائها بين الخطوة والآخرى .. والطريق الى استكمال هذا الكيان لا يأتي الا بالمراجعة والنقد لاكتشاف نواقص النظرية الاجتماعية التي تتبعها هذه الامة .. ومن هذه الزاوية يمكن ان يتم الاستكمال او التعديل او التغيير ..

فالكتب الاجنبية كانت مرجعه ، فهي احدى الوسائل التي يمكن

من خلالها المراجعة والفحص ما كان منها صادقا في النقد ومفيدا .
امكن الاستفادة منه بالتصحيح .. وما كان منها مغرضا ، فلا اقل من
التغاضي عنه واهماله .. او على الاقل معرفة نوايا العدوان منه واتخاذ
الحذر من نواياه .

وقضايانا مع لاندو في هذا الكتاب تتبع من تناقضين اثنين :

١ - أوربة مصر او دفعها للحاق بعالم الحضارة الجديدة المعاصرة

٢ - موقف انجلترا من تطور الحياة النيابية والحزبية في مصر

ونظرة لاندو الى المستوى الحضاري في مصر - كنظرة كل
الاوربيين - اتجهت الى بعدين : اولهما التخلف الذي تعانيه المنطقة
وتفرق فيه الى اذنيها .. وهو الامر الذي لا زلنا نعير به الى الان ..
والثاني ان مهمة انجلترا الاولى هي تمدين مصر او دفعها الى دائرة
الحضارة بالوسائل التي تراها كفيلة بذلك ... كحجة تدعم بها وصايتها
على المصريين .

**والحقيقة .. ان نقل الحضارة الى مصر ، او دفعها الى دائرة
الحضارة لم تكن من ابتكار الانجليز كما يدعي لاندو او يحاول ان يبرر آراءه
واستنتاجاته .. وكما حاول ان يفعل كل الاوربيين الذين كتبوا حول هذا
الموضوع قبله او بعده .. ففكرة نقل مصر الى دائرة الحضارة او دفعها الى
التمدين فكرة قديمة بدأت مع عصر محمد علي ، وظهرت آثارها في اعماله
الاولى تحت تاثير السان السيمونيين الذين ساعدوه في اغلب مشروعاته
الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية .. ولكنها نصجت تماما وتهايت
لفرض ظلها على مجالات كثيرة في العمل الاجتماعي والسياسي في مصر مع
عودة البعثات التي كان قد ارسلها الى اوربا ، والتي برزت ايام الخديوي
اسماعيل في انكار رفاعة رافع الطهطاوي وغيره من المبعوثين العائدين ..
والتي توجت بكلمة الخديوي اسماعيل نفسه حين قال انه يريد ان يجعل
مصر قطعة من اوربا .. واهم اعماله في تطبيق هذا الشعار كانت بانشاء
مجلس الشورى ، مهما قيل من اغراضه من وراء انشاء هذه الهيئة
التشريعية الحديثة على مصر .**

ولقد يمكن ان يسوق الانسان كثيرا من الدلائل حول تحرك المنطقة للاندفاع الى دائرة الحضارة او اللحاق بركبها كما يقولون .. ليس فقط من اجل الدوافع التي كانت تحركها من الداخل .. ولكن لظروف المنطقة ومصر وسطها بالذات - والتي تعرضها بالضرورة لتيارات علمية جارفة لا يمكن تجاهلها .. وبرز آثارها انها كانت دائما محط انظار المفكرين امثال الافغاني واديب اسحاق وجورجسي زيدان ... تلك المجموعات التي لم تجد مكانا في المنطقة غير مصر يفرغون فيها شحنة ثورتهم ، ولم يجدوا ايضا غير مصر تستقبل شحناتهم هذه بالتعزيز ثم بالتجاوب والتفاعل ..

وعوامل استراتيجية اخرى كانت تدفع مصر - ولا زالت - لتكون قطب الرحى في المتغيرات والمتطورات الدولية ، وامتلات بها كتب الباحثين والدارسين وستظل تمتلئ وسيكون من المعاد والتكرار الاشارة اليها هنا ..

ويبقى موقف انجلترا ، من تلك الحجة التي يدفع بها لاندو وغيره من الكتاب .. فكما رأينا لم تكن فكرة الحياة النيابية ولا الحياة الحزبية من ابتكار الانجليز فقط .. فقد سبقهم الخديوي اسماعيل بعشرين سنة با إنشاء مجلس الشورى ومر قبل احتلالهم مصر بعدة تجارب، بل واكتسب بعض الخبرات ... وكان احمد عرابي قبل مجيئهم بسنوات قد وضع بذورة الحزب الوطني ، ولكن فشل ثورته اودى بفكرة حزبه ايضا .. وان كانت ثورة عرابي ظلت نورا يهدي الباحثين عن الخلاص .. كما ظل حزبه - الحزب الوطني - نبراسا لتطهير كل فكر سياسي في مصر بعد ذلك .

اما الانجليز .. فقد وجدوا أنفسهم واقعين تحت تناقضين في وقت واحد .. فاما ان يجعلوا الحياة النيابية قاعدة للعمل السياسي في مصر ،

وهو نموذج للفكر الغربي الذي جاءوا يدعون اقامته بمصر كصورة للحضارة الجديدة - واما ان يقابلوا نمو الحياة النيابية بالنهاية المتوقعة وهي المطالبة بجلاتهم وترك شؤون مصر للمصريين .. ومن هنا جاء تخريبهم المتواصل للحياة النيابية .. ومحاولاتهم تقسيم المجتمع السياسي في مصر الى جماعات متنازعة بين القصر والاحزاب وبعضها .. والهاء القوى الاجتماعية اولا باول عن الاهتمام بالواقع الاجتماعي للمصريين .. بل عملهم الدائب في تنظيم الادارة الحكومية والتعليم والري والزراعة ، بطريقة تجعل هذا الاصلاح الاجتماعي عملا يستحيل القيام به في ظل الاحتلال البغيض ..

ويرتبط التناقض الثاني بالمشكلة الاولى .. فقد كان لا بد والامر كذلك ، ان يلقي لاندو تبعة فشل الحياة النيابية والحياة الحزبية في مصر على المصريين انفسهم .. على الاحزاب والسياسيين .. وقبل ان نخوض في اي تفاصيل حول هذا التناقض .. أسوق للقاريء رأي الانجليز انفسهم في معنى الحياة السياسية في مصر وخططهم لافسائها . من كتاب جورج لويد المعقد البريطاني عن كرومر في مصر .. يقول لويد: « ان كل ما يطمح في ان يراه اولئك الانجليز - الذين نادوا بانسحاب السيطرة الانجليزية في الادارة الداخلية المصرية بعد تصريح ٢٨ فبراير . هو ان تقوم في مصر وزارة مصرية معتدلة صديقة - تستمد سلطتها من التأييد الشعبي ، وتتولى مهمة الوصول الى تسوية نهائية للمسألة المصرية . على ان الاحداث في الشهور والسنين التي اعقبت انسحاب هذه السيطرة ، قد اثبتت ان الموقف في مصر لا يحتل الا حالة من خالتين : اما قيام حكومة وفدية متطرفة لا تستطيع ان تظهر شيئا من التعقل او بعد النظر ، واما قيام حكومة اوتوقراطية على انقاض الحياة الدستورية ، يتولى فيها الملك السلطة المطلقة ، ولا يتنازل اي تأييد شعبي . فبالنسبة للحالة الاولى قامت فعلا وزارة وفدية في الحكم ،

ولكن نتج عن قيامها تدمير شامل لكل الامل التي عقدت على الوصول الى تسوية مصرية انجليزية معقولة . وبذلك اصبح لزاما علينا ان نتدخل لمنع قيام وزارة زغلولية بحتة ، لمصلحة كل من انجلترا ومصر والسودان . واما بالنسبة للامر الثاني - وهو قيام حكومة اوتوقراطية ، فهنا تكمن الخطورة ، لان الصيحة التي ستطلق حينذاك من اجل انقاذ الدستور - سوف تجذب اليها جميع العناصر السياسية في مصر ، ولا يمكن التنبؤ بما يمكن ان تذهب اليه هذه العناصر في حربها ضد الاوتوقراطية . ومن ثم فلا بد من التدخل ايضا في هذه الحالة لمنع قيام الحكم المطلق .

ثم حدد لويد الحالة الوحيدة التي لا تضطر فيها السلطات البريطانية الى التدخل في الشؤون المصرية ، فذكر ان ذلك عندما تكون وزارة ائتلافية من عدة احزاب . او حتى حزيين . فهناك لا تكون ثمة ضرورة للتدخل لان ميزان القوى في هذه الحالة سوف يكون متكافئا . . فلا تكون السلطة في يد القصر ، ولا تكون في يد الوفد . . ولكن اللحظة التي سينفرد فيها اي فريق باليد العليا ، فالتا فكون حينئذ في مواجهة واحد من امرين : اما الزغلولية واما الاوتوقراطية . وكلاهما مما لا يمكن التفكير فيه - ومن ثم يصبح تدخلنا في هذه الحالة امرا محتوما .

وهكذا - من وجهة نظر الانجليز - كان لا بد ان تتكون الحياة السياسية من مزيج من القوى السياسية في مصر . . بحيث تصبح كل الاجراءات معطلة . . وبحيث تظل الحياة السياسية في مصر عند نقطة واحدة لا تتقدم عنها . بل ربما تتأخر . . وبحيث يظل للانجليز وحدهم اليد العليا . .

واكثر من نموذج للفكر الانجليزي وطريقته في تطبيق هذه الخطة سيقابله القارىء في مسيرته مع تطور الحياة النيابية والحياة الحزبية في

مصر . بل أن نفس المؤلف سيضع يد القارئ ببساطة على خطة الأنجليز ويلقي الضوء على افكارهم في مصر واتجاهاتهم لربطها الى عجلة حكومة جلالة الملك بصرف النظر عن مصالح المصريين وآمالهم في التقدم والتحرر .

ولئن كان لاندو قد حاول أن يقلل من أهمية بعض الاعمال العظيمة التي قدمها المصريون مثل ذلك النشاط الفكري والبرامج التي قدمت في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ مصر ، مجالس الخديوي اسماعيل .. أو مثل الادوار التاريخية التي قام بها احمد عرابي أو الافغاني أو محمد عبده أو لطفي السيد أو غيرهم من المفكرين المصريين . بدعوى أن دراسة هذا الكتاب تقتصر على النشاط البرلماني والنيابي أو على نشاط الاحزاب وحدها .. فإنه لن يغيب عن العربي والمصري الذي يقرأ هذا الكتاب ، أن هناك الكثير من المراجع التي تحقق للذين يريدون البحث حول اعمال هذه الشخصيات ما يشفي الغليل .. وهي مراجع مثبتة في هوامش الكتاب وفهرسه .

الا ان النظرة العامة لتطور الحياة النيابية والحزبية في مصر ، تؤكد بطريقة لا تدعو الى الشك ان المصريين قد بذلوا جهودا تفوق طاقة البشر في مقاومة عداوتين من اقوى العداوات التي تواجه شعبا يبحث عن استقلاله وتقدمه .. وهما الاتراك الممثلين في القصر والطبقة التركمية السائدة في المجتمع بكل ما تحمله من تراث فكري وحضاري ضارب الجذور في ارض المجتمع .. والانجليز .. الاحتلال الوافد بكل قوته العسكرية وتسلطه الدولي والحضارة التي يحملها في يده وما فيها من موضوعية تأخذ بلب شعب متخلف مثل الشعب المصري في تلك المرحلة ..

وفي مواجهة هذا التحدي المتشعب والمتسلط ، كان من البطولة ان يهر الشعب المصري بكل .. التطورات الخطيرة الهامة .. وان يقدم كل هذه الانجازات العظيمة .. وان يحافظ بالرغم من كل ذلك على وحدته وقوميته وطموحه .. وان يخرج من هذه المعركة - التي استهلكت ثلاثة اجيال من حياته بمثل هذا الفوز العظيم .. مهما بدا من تواضعه ..

عاش الشعب المصري المناضل .. كما رايته في سطور هذا الكتاب .

سامي الليثي

القِسْمُ الأول
الحياة النكاحية

كانت مصر هي الدولة الاولى بين الدول الناطقة بالعربية ، التي خرجت على الحكم التركي في أيام محمد علي . على ان التأثير الادبي والاجتماعي التركي ظل واضح البصمات على سمات الطبقة العليا من الدولة . ومن ناحية اخرى كان النفوذ الاجنبي يحل محل النفوذ التركي وفي سرعة وعمق على مدى واسع عريض .

وقد بدأ التأثير الاوربي - أول ما بدا - في الميدان السياسي والدستوري بالتبني التدريجي للأفكار الغربية في محاولة وضع نظام للحكومة والحياة السياسية على النمط الاوربي الغربي - ففي عام ١٨٦٦ أنشأ اسماعيل باشا مجلس شورى القوانين المشهور على النمط الغربي . وقد مرت ستين عاما على هذا المجلس ليتمكن ان يتحول بعد ذلك الى شيء يشبه المجالس النيابية الغربية التي اقيم على نمطها . وكذلك قلدت الاحزاب الطريقة الغربية في تنظيماتها ودعايتها وكل أساليبها وأشكالها . ولهذه الاسباب نفسها تحطمت معظم هذه الاحزاب عند أول صخرة قابلتها . ولفهم تاريخ مصر الحديثة فمن المهم تقصي تاريخ التطور البرلماني الدستوري والاحزاب السياسية وتأثير النفوذ الاجنبي على مولدها وتطورها . ثم انهيارها .

على ان هذه الدراسات لم تكن موجودة او متاحة عند محاولتي كتابة هذه الدراسات . فلم يكن هناك كتاب شامل في الموضوع ، وحتى البحوث المدرسية لم تشر الى التاريخ السياسي والبرلماني لمصر الحديثة . . . الا تلك التي حصرت نفسها في جميع الوقائع . ثم محاولات بسيطة للخروج بنتائج . ومن هذه المحاولات مثلا كتب : كرومو وكولفن ولويسر ونيومان ودوين وساماركو وهاسن كليفر .

مجلس ١٨٦٦ - ١٨٦٨

لم تكن فكرة إنشاء مجلس استشاري بالشيء الجديد على مصر فقد أسس نابليون من قبل عدة مجالس استشارية كانت تسمى بالدواوين • وأحد هؤلاء الدواوين كان على وجه الخصوص يمثل مصالح الائمة والجيش والتجار والاقباط والفرنسيين (١)

ولما تولى محمد علي السلطة اعاد فكرة المجلس بتعيين مستشارين او معاونين لمساعدته • ولم يكن مجلس الشورى - او المشورة - هذا سلطة تشريعية بالمعنى المفهوم • لم يكن اكثر من سلف لمجلس شورى النواب الذي انشئ في ايام اسماعيل باشا والذي ضم ١٥٦ عضوا منهم ٣٣ من اصحاب المناصب الرسمية الكبيرة و ٢٤ من موظفي المناطق (اي المحافظات) والباقي وعددهم ٩٩ من الاعيان وكبار الملاك في مصر •

مجلس محمد علي كان هيئة استشارية في الاعمال الادارية والتعليم والشؤون العامة •• وكانت هذه الهيئة يمكنها بحث الشكاوى ووضع الاقتراحات الخاصة بها •• وكان مجلس محمد علي يجتمع مرة واحدة في العام للتداول في فترة انعقاده • وقد اجتمع في الثاني من سبتمبر سنة ١٨٣٢ وناقش التعليم والزراعة والضرائب (٢)

أما سعيد فقد كون مجلسا حكوميا من احد افراد العائلة الحاكمة ، واربعة من كبار الضباط واربعة من كبار موظفي الدولة • وكان سعيد

يستشير هذا المجلس في امور الدولة الهامة ومشروعات القوانين والادارة الحكومية • وظلت اعمال المجلس تنحصر في أنها استشارية فقط (٣)

وسيكون من الصعب ان نعين بالدقة متى بدأت فكرة تكوين مجلس كبير في رأس اسماعيل • ففي اوائل اغسطس ١٨٦٤ ارسل المندوب الفرنسي تقريراً الى حكومته في باريس قال فيه ان اسماعيل باشا يفكر في رفع مستوى مصر اداريا بنوع من الحكم الذاتي في جمع الضرائب ، وكان محور الفكرة الاصلاحية يدور حول تكوين المجلس من شيوخ القرى (أعيانها) (٤)

وكانت فكرة اسماعيل على ما يبدو هي تحقيق المزيد من السيطرة على كبار الاعيان بتكوين هذا المجلس منهم •• ويتخلص في نفس الوقت من نقد جريدة « وادي النيل » التي كانت تنتقد الحكومة بضراوة في ذلك الوقت من عام ١٨٦٦ (٥) • وقبل نشر المرسوم الخاص بتكوين المجلس انطلقت الجرائد الفرنسية والانجليزية - طبقاً لتقارير بلجيكا المستقلة او لوموند الفرنسية - تعلن ان اسماعيل سينشئ هيئة تشريعية في مصر على نمط الهيئة التشريعية الفرنسية •• بدستور يمثل الدستور الفرنسي ، ويعطي للهيئة التشريعية المصرية نفس حقوق الهيئة التشريعية الفرنسية •• ولو ان هذه الانباء كانت من وجهة نظر اسماعيل عملاً حاول به ان يحقق بعض المكاسب الخاصة ، فان اثاره الانتباه الى المشروع التشريعي الجديد في اوربا لم يكن من صالحه في شيء كما تبين فيما بعد •

ففي نوفمبر ١٨٦٦ صدر المرسوم الخديوي بتكوين مجلس شورى النواب • وكان المرسوم يتضمن قانونين : قانون اللائحة الاساسية • وقانون اللائحة النظامية •

وتضمنت اللائحة الاساسية ثمانية عشر مادة تحدثت عن نظام الانتخابات ، والشروط القانونية الواجبة للياقة العضو المرشح ،

وفترات انعقاد • وتحديث المادة الاولى عن سلطات المجلس بشكل عام •

وكان هذا الاستهلال للقانون يضع حدودا لطبيعة سلطات المجلس في عهد اسماعيل • فقد كان القانون الاساسي يحدد سلطات المجلس في تداول الشؤون الداخلية فقط •• وان تكون المباداة مع الحكومة وحدها •• اي مع الخديو • اما المجلس فلا يرفع الا نصائح تقدم الى الخديو للاخذ بها •• او رفضها •

وفي المادة الثانية حدد القانون شروط اللياقة الدستورية •• ان يكون عمر العضو ٢٥ عاما فاكثر • ولد في مصر ويعيش فيها اكثر هذه الفترة • وليس له صلة بالقوات المسلحة ، او الاعمال المدنية ، وصاحب سمعة طيبة (لم يتهم في قضايا او لم يفصل من الحكومة) ••

واكثر هذه الشروط كان لا بد ان تنطبق على الناخب نفسه • فلقد كان الخديو يريد ان يضمن الا يوجد في المجلس غير مرغوب فيه •• خصوصا المطلوبون للقرعة العسكرية ، او المطلوبون في وظائف الحكومة • وكان الاقتراح يتم بشكل غير مباشر •• بان يختار المنتخبون منتخبين ينتخبون اعضاء المجلس •• وكان هذا هو الاسلوب الوحيد الذي زعمه اسماعيل لما يسمى به مواجهها ضعف الوعي السياسي ، او التنظيم الحزبي المفقود •• فالقاهرة والاسكندرية ودمياط تنتخب كلها ستة اعضاء •

كان الاعضاء وعددهم ٥٧ عضوا ينتخبون لثلاث سنوات • وكانت اعمالهم في المجلس لا تزيد عن مجرد تلقي العرائض او الالتماسات وبعض المناقشات • ليحتفظ بالبقية الباقية من ارتباطاتهم الجماهيرية اما غير ذلك من سلطات المجلس فقد كانت كلها في يد الخديو • فهو وحده صاحب الحق في دعوة المجلس للانعقاد ، وصرفه للاجازة • او

حل المجلس الذي لم يكن بذلك ذو وضع عملي او ايجابي في القيام بدور نيابي كمثل لاي نوع من انواع الرقابة .. فضلا عن المعارضة •

وتضمنت بقية المواد الواحد والستين الخاصة باللائحة التنظيمية بعض البنود التي تشرح ما جاء في اللائحة الاساسية وبعض السلطات واجراءات اكثر غموضا • ثم يجيء بعد ذلك خطاب الخديو والرد عليه • وحلف اليمين للاعضاء • وأعمال وسلطات رئيس المجلس • ووسيلة فحص اقتراحات الاعضاء باللجان الفرعية ونظام مناقشتها • وقانون الاجراءات والتصويت وتصرفات الاعضاء داخل الجلسة ، ثم الحصانة البرلمانية للاعضاء من الاعتقال والمحاكمة • ثم سرية المداولات داخل المجلس •

وكان قانون المجلس يشابه الى حد كبير - حتما في التفاصيل - اجراءات المجالس النيابية في اوروبا • وبخاصة مجلس الامة في فرنسا • فبعض اللوائح كانت توحي بان الاعضاء سيكونون على وئام دائما ، فليس لعضو ان يتحدث دون اذن رئيس المجلس • وحتى تلك القوانين المتفنة التي تحتم على العضو الا يتغيب الا باذن المجلس ، لم تكن تعني جهل الاعضاء بالاجراءات البرلمانية • ولكنها في الواقع كانت صورة فطرية لاعضاء يدخلون الحياة النيابية لأول مرة في تاريخ البلاد •

فلقد اعطت اللائحة النظامية للخديو سيطرة كاملة على المجلس في مداولاته وقراراته • ليس فقط من خلال سيطرته الحقيقية على الانتخابات والدعوة للاجتماع كما في البلاد ذات الحكم الفردي • ولكن بموجب المادتين الثانية والثالثة اللتان تقولان ان كل قرارات المجلس ترفع اليه شخصيا قبل صدورها • وانه هو الذي يعين رئيس المجلس ونائب رئيس المجلس •

وافتتحت الدورة الاولى للمجلس في ١٠ نوفمبر ١٨٦٦ بخطاب

القاء الخديو باللغة العربية (٩) • واشاد الخديو في خطابه بالاعمال
المجيدة التي أداها محمد علي وابراهيم لمصر • واثار الى تكوين
المجلس كدليل على رغبته في اتمام أعمالها العظيمة هذه • ثم اقتطع من
القرآن ما يقول ان القانون الاسلامي يحض على ان يحكم ولي الامر
بنصيحة الشعب (١٠) •

وكان من المدهش ان الخديو لم يشر الى السلطان التركي بكلمة
واحدة في خطاب الافتتاح •

وبعد هذه الكلمة والرد عليها انقسم الاعضاء الى خمسة لجان
(اقلام) • في كل لجنة منها خمسة عشر عضوا • وكان لهذه اللجان
عملين اساسيين : اولا بحث صحة عضوية الاعضاء • واختيار اللجان
الفرعية (القومسيونات) التي تقوم بفحص مختلف المشاكل الاخرى •
وما ان انتهت هذه اللجان الخمسة من اجراءات تشكيلها وبعض الاعمال
الفرعية فيها ، حتى بدأت الجلسات العلنية في الانعقاد •

واستمرت الجلسات حتى يناير ١٨٦٧ عندما اعلن راغب باشا رئيس
المجلس فضه في خطاب شكر فيه الاعضاء على اقتراحاتهم وتوصياتهم
واهتمامهم الذي بدا في تصرفاتهم ثم مشاركتهم الايجابية في ادارة
المناقشات •

وكانت الاجراءات تجري على الوجه التالي •• فقد كان للمجلس
ان يناقش الاقتراحات المعروضة عليه بواسطة الخديو او بواسطة احد
اعضائه •• وفي الحالة الثانية - أي بواسطة احد الاعضاء - فان الاقتراح
يقدم بواسطة رئيس المجلس الى المجلس الذي يقرر مناقشته أو رفضه • فاذا
اتخذ في الاقتراح قرارا ، ارسل الى مجلس الوزراء لبحثه هناك
واعادته الى المجلس مرة ثانية • ثم يحول الاقتراح بعد عودته الى احدى
اللجان الفرعية التي يتم اختيارها من احدى اللجان الرئيسية لبحثه ••

فاذا ما تم بحثه يقدم الى المجلس بواسطة مقرر . فاذا وافق المجلس على التقرير بوضعه هذا رفع الى الخديو ليتخذ فيه القرار النهائي .

أما اذا لم يوافق المجلس على تقرير المقرر ، اعيد مناقشة الاقتراح ، واستدعى بعض المختصين الرسميين الذين يتولون الشرح لاناثة المجلس على ان تكون جميع هذه الاجراءات سرية ولا يدعى احد من الخارج لحضورها .

وقد ناقشت هذه الدورة من اول مجلس شورى اربعة مسائل رئيسية ، هي الضرائب . الملكية . الاشغال العامة . التعليم .

الضرائب : اشار المجلس الى النص على جمع الضرائب شهريا . واقترح جمعها في المواسم الزراعية . . ووصفها بانها تلك الضرائب التي تثقل كاهل الفلاح وتوسمه بالبؤس لتعرضه لعسف جامعي الضرائب الذين يتعسفون ويشهرون به .

وقد اقترح ايضا الغاء نظام « الأمد » . وهو الوسيلة التي تمكن مهندس الحكومة من شراء ضرائب المناطق وتوقيع الغرامات المالية على الفلاح . واشترك حافظ باشا المفتش - مفتش عام الاشغال - في المناقشة . وتناولت المداولة وضع رسوم على الانتاج ، ووضع رسوم محددة على التجارة واعمال التوثيق .

الملكية : اثرت اعتبارات مقنعة عن موضوع ملكية الاراضي والرسوم التي تدفع عنها . وطالب المجلس بتمين الاراضي الاميرية .

الاعمال العامة : كانت اول مشكلة في الاعمال العامة هي المطالبة بضرورة الغاء نظام السخرة في العمل . وقدمت لجنة فرعية تقريرا مطولا من جزئين : الاول عما قام به هؤلاء العمال من اعمال خارقة والمشاكل التي يمكن تصورها من دفع اجور مختلفة ومتباينة في اجزاء مختلفة

من مصر • والقسم الثاني عن العمال انفسهم • • كوسيلة رئيسية في بناء الكباري واعمال الحفر وصيانة القنوات (١١)

التعليم : طالب المجلس باقامة مدارس جديدة • وقد تركز رأي المجلس في تقرير اللجنة الفرعية الطويل الذي شدد على القيام بالخطوات التالية :

- ١ - يجب ان تقام مدرسة في كل مديرية مثل البلاد الكبيرة
- ٢ - يجب ان تكون المدارس قريبة من السكة الحديدية •
- ٣ - يجب ان تفتح المدارس ابوابها للجميع مسلمين واقباط تحت الرابطة عشر ، بصرف النظر عن المصروفات •
- ٤ - على وزير التعليم وضع منهاج للدراسة في هذه المدارس وتحديد مواعيد لاعمالها •
- ٥ - يجب على الوزير ان يقرر ايضا نوع الاطعمة التي ستقدم للطلبة والملابس التي ستعطى للفقراء •
- ٦ - تدفع هيئة المديرية او المختصون بها المصروفات المطلوبة للمدرسة •
- ٧ - يخصص جزء من دخل الوقف للمساهمة في سد العجز في المصروفات •
- ٨ - يجب تشجيع المواطنين في مصر على تفضيد المدارس بتقديم تبرعات تساعد المدارس على الاستمرار في تادية مهمتها •
- ٩ - يجب ان يحتفظ في كل مدرسة بنظام لحساب الدخل والمنصرف •
- ١٠ - على احدى اللجان في المديرية مراجعة حسابات الدخل والمنصرف في المدرسة التابعة لمديريتها •

وختم التقرير اقتراحاته بضرورة الاهتمام لما للتعليم من اهمية للمجتمع المصري والمصريين •

ودعى الخديوي شريف باشا لمناقشة تقرير اللجنة الفرعية للتعليم في اجتماع عام للمجلس • وأشار شريف باشا الى ان الخديوي

ومستشاروه (يقصد اعضاء المجلس) ما داموا قد وافقوا على المشروع فهو يرجو بدلا من تخصيص جزء من دخل الوقف لمصاريف المشروع ، ان يوقف دخل ٢٣ ألف فدان من الاملاك الحكومية لهذا القرض .. وهي مساحة كافية . على ان تتولى التبرعات العامة تسديد الباقي من المصروفات . (١٢)

ولقد اتى الاوربيون ثناء كبيرا في ذلك الوقت وبعبده على مجلس ٦٧/١٨٦٦ ، ووصفوه بأنه في مستوى المجالس الاوربية ، وعلى انه يتمتع باستقلال فعلي ، وكانوا يظنون ان اسماعيل قد قرر ان يحكم دستوريا ليكون قادرا على طلب المزيد من القروض من اصحاب المال الانجليز والفرنسيين (١٣)

ولقد كان الهدف الاساسي لتفكير اسماعيل في اقامة هذا المجلس هو القروض والمزيد من القروض فقط .. فقد كان معروفا عنه انه من الصعب عليه ان يبدو كبطل دستوري او ديمقراطي .. وكان معروفا أنه يرى ان الشعب .. الشعب المصري لم يهيا بعد ليحكم نفسه بنظام دستوري حتى ذلك الوقت .. وعلى اي حال فقد كانت هذه هي التجربة الاولى ليقول المصريون كلمتهم في شؤونهم الخاصة .

فلقد كانت اعمال هذا المجلس اقتراحات او نصائح فقط دون ان يكون لها اي قوة تشريعية .. ولئن بدأت الحياة البرلمانية المصرية هذه البداية المدهشة ، فلا شك ان اعضاء المجلس الذين كانوا يكونون طبقة كبار الاعيان في القرى قد تنبهوا ليس لقدرتهم على مناقشة شؤونهم الخاصة فحسب .. ولكنهم بالفعل ناقشوا ضرورة اقامة نظام التعليم كأمر حيوي دون شك لمستقبل اولئك الذين يعيشون على ارض مصر .

ومن الصعب تقدير التأثير الذي أحدثه مجلس النواب هذا في مصر في ذلك الحين .. ولكن رفاعة رافع الطهطاوي في كتاب له صدر في ١٨٦٩ اشار الى اهمية هذا المجلس في سطور خصصها له . ورفع

اسماعيل عاليا وقال ان الخديوي ارتفع بهذا العمل على رأس المتحررين
في مصر الان .. مشيرا الى القوانين والاجراءات والاعمال التي
اعطاها للمجلس . (١٤)

ومع ان هذا المجلس بتأثيره على رفاعة رافع ، فانه في المدى الطويل
قدر له ان يقود مصر الى طريق معقد من حياة نياية كسحت كل نضج
برلماني بعد ذلك .



مجلس ١٨٦٧ - ١٨٦٨

عرضت بعض جلسات لمجلس ١٨٦٧/٦٨ لكثير من الموضوعات التي كانت قد اثيرت في مجلس ٦٦/٦٧ •

ان المجلس كان قد انتخب لثلاث دورات سنوية •• وقد بدأت جلسات الدورة الثانية في ١٦ مارس وانهت في ١٨ مايو ١٨٦٨ (١٥) • وتناول خطاب الخديوي في هذه الدورة اعمال الدورة السابقة ، فشرح اسباب عدم تنفيذ بعض القرارات التي اتخذت فيها - ثم طلب من الاعضاء ان يستمروا في نظر المشكلة الزراعية • (١٦)

وانتهت المداولات الاولى لهذه الدورة الى نتائج هامة منها •• اقامة مركز زراعي في كل مديرية يسمى مجلس تنظيم الزراعة • يحاول في هذا المركز الاعضاء الذين انتخبوا له تحت اشراف العمدة ان يشرحوا للفلاحين المناهج الزراعية الحديثة وان يستفيدوا من تجاربهم الزراعية في استخدام النظريات الزراعية الحديثة ••

كذلك استعرضت هذه المداولات القيام باحصاء دقيق لنظام السخرة • وتنظيم الاعفاء من الخدمة العسكرية في مقابل ثمانون جنيها ، وزيادة عدد رجال الصحة والعناية بمستواهم في البلاد وبناء المستشفيات واعادة تنظيم الضرائب •• ودعى الوزراء والمهندسون والاطباء العاملون في الحكومة لحضور بعض هذه المناقشات •

وعلى عكس الدورة الاولى .. فان شيئاً كانت تلك الدورة قد تجاهلته تماماً ، نوقش في هذه الدورة الثانية وهو المسألة المالية لمصر .. ونوقش باشتراك اسماعيل صديق .

واعلن الباشا - الذي كاذ من اكبر اعوان الخديوي في المسائل المالية - ان دخل مصر قد تجاوز المصروفات الى حد كبير .. وكان ذلك من اكبر الاكاذيب التي قيلت امام اعضاء المجلس (١٧) . ولقد طلب الباشا - بالرغم من كذبه هذه - زيادة الضرائب بواقع السدس للمواجهة كقرض غير ثابت داخلي (١٨) .

ووافق المجلس اللين العريكة على امرين كشيئين طبيعيين . وكانت المعلومات انزائفة قاعدة بعد ذلك في كل الدورات .

وانعقدت الدورة الثالثة للمجلس الاول من يناير الى ٢٢ مارس ١٨٦٩ . وكان خطاب الخديو اكثر افاضة هذه المرة .. تحدث عن بعض الاصلاحات الزراعية ، والغاء النظر في قرض الضرائب وبعض الوفرة في المصروفات واصلاح الطرق .. الا انه اشار الى ان بعض الفلاحين قد اضطروا للمتاعب في مشروع قناة السويس ، وكان من المتوقع ان تعوض مصر منها (بدخل معقول) .. وقال ان الحكومة قررت التوسع في الزراعة والتجارة في السودان . وان تقوم ببعض الاصلاحات في الخطوط الحديدية ، وان التعليم في مصر سار في خطوات معقولة .. و اشار الى ان المباحثات مع اوربا بشأن المحاكم المختلطة تسير سيرا حثيثا (١٩) . وكان خطابا اكثر من متفائل ، واعطى معلومات خاطئة عن كمية القرض المنقول . ولم يشر الى الدين غير الثابت على الاطلاق (٢٠)

واستغرقت كل مداولات هذه الدورة تقريبا رغبات الاعضاء ، في اسئلة حول بعض المصالح والمطالب الشعبية الخاصة .. وقد تقرر ان تصدر مراسيم تعيين اعيان الريف بمشاركة الريفيين انفسهم .. فلا يجب اقالة المدير الا بعد التأكد من سوء سلوكه وبحكم من احدى المحاكم ..

واعطيت اهمية لتخطيط المدن والقري بواسطة مهندسين مع
الاهتمام بشق الشوارع والاصلاح الزراعي وحفر وصيانة الترع .
وبالنسبة لمجلس التنظيم الزراعي - الذي تقرر في الدورة السابقة -
فقد رؤي اقامة لجنة كبرى مهيمنة من الرسميين المختصين تسمى مجلس
تفتيش الزراعة . . وطالب المجلس من الحكومة انشاء المزارع التجريبية
(النموذجية) (٢١)

وفي نهاية ١٨٦٩ اجريت انتخابات جديدة . وافتتحت الدورة
الجديدة في اول فبراير ١٨٧٠ ، واستمرت حتى مارس ١٨٧٠ . واعيد
انتخاب عبدالله عزت رئيس دورات ٦٨ و ٦٩ رئيسا لهذه الدورة ايضا .
وكان خطاب الخديوي في هذه المرة مختصرا ، وتجنب فيه
الحديث عن سياسة مصر ، ولم يشر تقريبا الى ما فعلته الحكومة في
العام السابق .

وكانت رغبات هذه الدورة - كما عرضها الاعضاء - عن الزراعة
واصلاحات الري ، وعمليات تشييد واصلاح الكباري والخزانات ،
وتطهير القنوات . واتجهت بعض الرغبات الاخرى الى اصلاح القضاء
واقامة اعمال ولو في اقل الحدود في كل مديرية بدلا من المحكمة الوحيدة
التي تخدم كل دائرتين او ثلاثة . . وانشاء محكمتي استئناف في جرجا
والمنيا . وقد قوبلت هذه الرغبة بتأييد من الحكومة .

وقدمت الحكومة ميزانية العام الماضي في هذه الدورة . واعترض
بعض النواب على بعض الفقرات غير الهامة فيها . (٢٢)
وفي عام ١٨٧١ اجتمع المجلس تحت رئاسة ابوبكر راتب . ولاسباب
غير معروفة لم يجتمع في الشتاء كما كان مقررا ، بل في شهور الصيف
الحارة من ٩ يونيو الى ١٦ اغسطس (٢٣) . ولم يشر او يلمح الخديوي
في خطابه هذه المرة الى المسائل الاقتصادية او السياسية في مصر . وتمنى
للمجلس تمنيات طيبة مختصرة .

وعادت المناقشات في هذه الدورة تدور بصفة اساسية حول الاصلاحات الزراعية والقضائية . وطلب المجلس من الحكومة الغاء ضريبة المواشي التي كانت قد فرضت في ذلك العام .. واذعنت الحكومة للطلب .

وفي الدورة التالية اجيبت بعض الرغبات في هذه المجالات بعد ان حوت من مجلس الوزراء .. وحضر مناقشتها اربعة من الوزراء .. وغير ذلك فقد تقرر اقامة مجلسين في كل قرية .. مجلس مشيخة البلد الذي يختص بالشؤون الادارية . ومجلس دعاوى ويختص بالمسائل العامة للقرية . كما اقيم مجلس مركزي في كل مديرية ويسمى مجلس الدعاوى المركزية .. والذي عن طريقه يجب ان تأخذ الموضوعات طريقها الى المجلس المحلي في كل قرية .

وفي المناقشات في هذه الدورة : سجلت بعض الاقوال الفظة من بعض الاعضاء (٢٤)

ولم يجتمع المجلس في عام ١٨٧٢ . وانهقدت دورته التالية من ٢٦ يناير الى ٢٤ مارس ١٨٧٣ . وفي خطاب الافتتاح اشار الخديوي الى رغبة الحكومة في اصلاح الكباري والخزانات .. واعلن تشييد خط سكة حديد السودان في خلال ثلاثة او اربعة سنوات . ولم يشر الى مشروع قرض بمبلغ ٢٣ مليون جنيه عقد في يوليو ١٨٧٣ . (٢٥)

وقد تناول الاعضاء المسألة الزراعية في هذه الدورة باهتمام .. وابدوا بعض الملاحظات حول مشروع سكة حديد السودان .

وفي عام ١٨٧٤ و ٧٥ لم يدع المجلس للانعقاد . وبعد انتخابات جديدة دعي المجلس لدورة غير عادية في طنطا في ٧ اغسطس ١٨٧٦ ، وكان الخديوي يريد من المجلس ان يساعده في جمع ضرائب المقابلة (٢٦) . ولقد حدث على اي حال ان اعترض عثمان الهرميل على طلب الخديوي وطلب من الحكومة في كلمات محددة واضحة ان تقدم بيانا شاملا مفصلا عن سياستها المالية في الماضي والمستقبل والحاضر .

وفي الجلسة التالية للدورة غير العادية اعلن ثلاثة من الاعضاء -
ليس الهرميل من بينهم - انهم اطلعوا على تقارير مؤكدة ووثائق
رسمية من المالىين الرسميين وانهم اقتنعوا بما اطلعوا عليه .

وفي جلسة ١٠ اغسطس ١٨٧٦ من الدورة غير العادية اعلن
المجلس موافقته على سياسة الحكومة الحالية . وفضت الدورة .

ولقد كان هذا الطلب الواضح من احد الاعضاء - ولو انه لم يكن
غير حقيقيا او جادا كل الجد . (٢٨) الا انه كان دليلا صادقا على نقد
الحكومة في اضعف اوضاعها في ذلك الوقت . . وهو الوضع المالى .
وان هذه الملاحظة بالذات والجريئة في وقتها ، ستكون نذير معارضة
حقيقية للخديوي ، ولبعض اخطائه السياسية فيما بعد .

ولم تؤثر هذه الدورة غير العادية في الاجتماع السنوي العادي . .
فلقد استمر المجلس المنتخب الجديد من ٢٣ نوفمبر ١٨٧٦ الى ١٥ فبراير
١٨٧٧ . . ومحاطا بوزرائه كالعادة افتتح الخديوي الدورة بخطاب
اشار فيه الى اجتماع طنطا غير العادي وما اتخذت فيه من قرارات عن
دين المقابلة مع جوشي وجويرت حول ديون مصر . (٢٩)

ثم طلب من المجلس مناقشة دين المقابلة مرة اخرى واجراء المناقشة
حول اسلم الطرق للوصول الى اسلوب صحيح لجمع هذا الدين . .
ملوحا في مقابل ذلك بتنفيذ وزارة الاشغال للرغبات التي سبق ان قدمها
المجلس اليها والتي تحتاج بالطبع الى ميزانيات اضافية .

وان الخديوي وهو يلجأ الى المجلس للعون في جمع دين المقابلة ،
انما كان يضع يد المجلس - من حيث لا يدري - في ادارة دفة الشؤون
المالية في مصر .

وفي هذا العام ، لم يكن رد المجلس على خطاب الخديوي يتضمن
الاطراء المعتاد في السنين السابقة . . كان كل ما جاء فيه كلمات للمجاملة

تشير الى همة الخديوي في تنظيم ديون مصر من الناحية المالية والاقتصادية .. وتهدف الاشارة الى ترحيب المجلس برغبة الخديوي في ان يشارك المجلس الحكومة في بحث السياسة المالية للبلاد .. ولقد عاد خطاب المجلس يؤكد انه سيفيد من هذه المبادرة .. والتي سماها « منحة » في بعض الفقرات .

كانت الروح في المجلس تختلف تماما عن اول مجلس منذ عشر سنوات مضت .. وكانت نوع القرارات ايضا تختلف وقد اكد فيها الاعضاء رغبتهم في الاشراف على مصروفات الحكومة .

ولمواجهة هذه الاتجاهات ظهر حافظ عفيفي - احد كبار موظفي ادارة المالية ليجيب بنفسه على بعض الاستفسارات المالية التي اثارها الاعضاء في مداولات هذه الدورة .

ولقد دعي هذا المجلس مرة ثانية للانعقاد عند قيام الحرب التركية الروسية ... وبعد ان ندد الخديوي باعتداء روسيا على الدولة التركية ، واعلن انه من الضروري ان ترسل مصر جيوشا لمساندة الجيش التركي .. ثم طلب بهذه المناسبة - من الاعضاء تقدير المبلغ اللازم لتعين الجيوش المصرية المتوقع تشكيلها لهذا الغرض .

وظل هذان الموضوعان يناقشان طوال جلسات المجلس التي انعقدت حتى ١٦ مايو ١٨٧٧ دون ان يتخذ فيها قرار بات .. الا ان دعوة المجلس لمناقشة هذين الموضوعين كانت تمثل تحولا هاما في تاريخ الحياة النيابية في مصر ، وما اصبح للمجلس من اهمية في مناقشة الشؤون المالية فيها .. فما كان على الحاكم - اي حاكم في مصر - قبل ذلك التاريخ اذا اراد اموالا اضافية - الا ان يفرض ضريبة جديدة ، ثم يحجز لنفسه منها ما يشاء بعد ذلك .

وفي الدورة الثانية لمجلس ١٨٧٦ استمر المجلس من ٢٨ مارس

١٨٧٨ الى ٢٧ يونيو • وافتتح الخديوي المجلس مع وزارته • وعندما قريء خطاب الخديوي كان يحوي الاشارة الى الخسائر التي سببها فيضان النيل الهائل عام ١٨٧٧ •• والى نهاية الحرب التركية الروسية وقرب عودة القوات المصرية من ميدان القتال ••

وشكر الخطاب اعضاء المجلس على تأييدهم للتجهيز لهذه الحملة المصرية ، ووعد ان تقدم الحكومة تقريراً عن مصروفات التجهيز •• وفي اشارة مقتضبة اعلن عن ترشيح لجان اورية لبحث الديون المصرية وموقف مصر المالي (٣٠)

وقرر المجلس اول الامر ترشيح لجنة خاصة لكل مديرية للاشراف على توزيع الحبوب وتحديد الاعانة اللازمة للذين اصيبت اراضيهم في قحط ١٨٧٧ • وعرضت على المجلس مشروعات مراسيم بتحديد بعض الالتزامات على الاراضي كحلول لتحسين الري •• وقدمت الحكومة تقريراً عن مصروفات تجهيز حملة الحرب التركية الروسية ، ولكنها في نفس الوقت اغفلت تماماً تقديم الميزانية للمجلس (٣١)

اي تقييم للاعمال التي قامت بها المجالس ايام اسماعيل حتى نهاية عام ١٨٧٨ لا بد ان يتضح التزامها بدائرة محدودة من العمل النيابي والتشريعي •• ولا يمكن اغفال اهتمام اعضاء المجالس ببعض النشاط خارج المجالس مثل البحث عن الاصول التشريعية لاعمال مجالسهم •• الا ان اهتماماتهم داخل المجلس وهم جميعاً من طبقة كبار الملاك - انحصرت دائماً في الموضوعات والمشاكل التي تتصل باهتماماتهم الشخصية كمسائل الري والزراعة والملكية الزراعية والقضاء • وحتى مسألة التعليم التي بدأت مناقشتها بحماس في دورات ١٨٦٦/٦٧ عادت فانزوت في اركان الاهمال والفقر في الدورات التالية •

اما الامر الثاني لا بد ان يكون قد لاحظته الكثيرون من معاصريهم

او الذين تتبعوا خطوات نشاطهم النيابي والاجتماعي ، فهو الاهتمام التدريجي بظروفهم الخاصة و تنمية معنوياتهم الفردية لتحقيق شخصيتهم في مجلس النواب او خارجه .. فان اسماعيل باشا ليؤكد اهداف الدستور تحقيقا لاغراضه ، كان ينمي شعورهم في رغبته القوية لاستشارتهم في مسائل كثيرة .. ولقد عمق هذا المفهوم ثقتهم في انفسهم خصوصا اولئك الذين توالى انتخابات في المجالس مرة بعد اخرى .

ومن الملاحظ والواضح ان هذه الروح ظهرت جلية في مجلس ١٨٧١ بعد وقت قصير من وصول جمال الدين الافغاني الى مصر ، بالرغم من انه ليس هناك دليل واضح على تأثير الافغاني على المجلس في هذا الوقت المبكر .. فمن المعروف مثلا ان عبد السلام المولحي الذي كان واحدا من اشد المتمسكين بحقوق المجلس التشريعية ، يقود بعض المتعلمين المتحررين من اعضاء المجلس وينتشرون في اللجان الهامة والرئيسية ، من تلامذة الشيخ جمال الدين الافغاني .. ومع كل هذا ، ومع ان هذه المجموعة هي التي قادت حركة المجلس في اعوام ١٨٧٩/١٨٨٢ .. الا انه لايزال الاثبات يفتقر الى دليل على تأثير الشيخ الافغاني تأثيرا مباشرا على المجلس او على اعماله .



مجلس ١٨٧٩

مجلس عام ١٨٧٩ كان آخر المجالس في عهد اسماعيل .. بدأ في ٢ يناير ١٨٧٩ واستمر حتى ٦ يوليو من نفس العام . وافتتحت الدورة وسط اضطراب شعبي وجد طريقه بين صحف تلك الفترة . وافتتح الخديو الدورة مصحوبا بولي عهده توفيق والوزراء .. واعلن بدء الدورة .. وقرئ خطاب الخديو فكان مقتضبا .. لم يتضمن سوى توجيه المجلس الى مناقشة المسائل المالية بنفس الاهتمام الذي يناقش به المسائل العامة .. ثم تمنى للاعضاء النجاح في مهمتهم (٣٣) .

وانتخبت اللجنة الفرعية الخاصة بالرد على خطاب الخديوي - كما هي العادة - من مشاهير الاعضاء امثال عثمان الهرميل وعبد السلام المويلحي ومحمد العطار وبديني الشريعي . وكان الرد على خطاب الخديوي الذي القاه المويلحي بعد ايام في حضرة الخديوي في قصر عابدين شاملا مجملا في بيانه . شكر الخديوي على رعايته لتطور المجلس في ممارسة حقوقه الدستورية في مناقشة الوزراء في مسؤولياتهم (٣٣) وأشار - ولكن في غير وضوح - الى حقوق الامة المصرية في الحرية ، وحق مجلس شورى النواب الدستوري في المشاركة في اتخاذ القرارات والقوانين التي تؤثر على مستقبل مصر (٣٤) . كان ردا شجاعا يعكس الحرارة الوطنية والتحرر وتأثر الفكر النيابي بالمذاهب الديمقراطية ،

ويعطي انطباعا قليلا عن اثر الشيخ جمال الدين الافغاني وتعاليمه الثورية .

وفي خلال الشهرين الاولين لهذه الدورة وجه المجلس كل اهتماماته لمناقشة موضوعي المسائل المالية ، والمحافظة على حقوقه الدستورية .

ففي ٥ يناير ١٨٧٩ اقترح محمد العطار ان تتسع المناقشات اكثر ما هي عليه وان تقدم الحكومة البيانات التي يطلبها الاعضاء حتى يتمكنوا من استيفاء المعلومات التي يحتاجونها في مناقشاتهم . . وبينما كانت وزارة المالية تلف وتدور حول هذا الطلب وتماطل في تقديم البيانات ، سارعت وزارة الاشغال العامة فأغرقت بمعلوماتها وبياناتها جلسات اللجان لتشغل الاعضاء عن مطالعة وزارة المالية . .

ولكن محمود العطار عاد يطالب بان تتم مناقشة الموضوعات الهامة في الجلسات العامة وليس في جلسات اللجان الفرعية الضيقة فقط . . وقف المويلحي في احدى الجلسات يسأل الحكومة عما اذا كانت تنوي اصدار مشروع ميزانية الحكومة قبل عرضها على المجلس . . وكان في السؤال استتكار اكثر مما هو تساؤل دستوري . . ووقف بعده محمود رياض ليعلن ان المجلس لن يوافق على السياسة الضريبية قبل مناقشة السياسة المالية للحكومة . . ورفضت فعلا احدى اللجان الفرعية ضريبة للعقارات المنقولة . . وفي النهاية اذغت الحكومة لطلب المجلس ووعدت بعرض ميزانيتها عليه قبل اعلانها . . (٣٥)

ولم يتوقف المد التحرري عند حد . . ففي احدى الجلسات التالية لعرض الميزانية وقف العطار والمويلحي ليعلننا غاضبين رفضهما لاحد المراسيم المالية التي صدرت في ٦ يناير ١٨٧٩ بدون مشورة المجلس . . وتحدثوا كثيرا في هذه الجلسة عن حقوق نواب الشعب في ان يمثلوه في كل ما يتخذ باسمه من قرارات . . وان كل ما يخص

الشعب المصري لا يمكن ان يتخذ فيه قرارات نهائية قبل عرضه على
ممثليه .. اي المجلس ..

وسرت في المجلس روح التأييد لهذه البادرة القوية الصلبة في كلمات
ثائرة يتوالى بها الاعضاء على المنبر .. حتى اضطر نوبار باشا ان يتحدث
نيابة عن الحكومة ويهدىء ثأثرتهم .. ولكي يعلن حسن نية الحكومة قدم
بعض البيانات التي كانت الحكومة ترفض من قبل تقديمها للمجلس ..
ولكنها كانت كلها بيانات زائفة مضللة (٣٦) .

وفي هذا الجو المشحون بالثورية والمطالبة بالحقوق الدستورية
والتشريعية .. وبعد الاهتمام الذي ابداه بعض الاعضاء لما سمي ((بتمرد
النباط)) .. اتخذ الخديو قرارا بتعطيل المجلس .

وفي جلسة تاريخية بحضور رياض باشا رئيس الوزراء ، رفض
المجلس ان ينفذ .

وتحدث محمود راضي وعبد السلام المولحي وبيدني الشريفي
وباخوله لطف الله مرارا وتكرارا يطالبون - بالرغم من انتهاء الثلاث
سنوات المقررة للمجلس - ان يستمر في الانعقاد للظروف غير الطبيعية
التي تمر بها البلاد ، وليتسنى للمجلس من ناحية اخرى مناقشة
السياسة المالية التي طالما وعدت الحكومة بتقديمها للمجلس دون ان تبر
بوعدها ، بينما الصحافة الاوربية والصالونات المصرية تلوك اخبارها وما
يمكن ان تتعرض له البلاد منها .

وبعد يومين من هذا الحدث الخطير الذي وقع في ٢٧ مارس ١٨٧٩ ،
اجتمع الاعضاء في القاهرة ووقعوا جميعا على التماس رفعوه للخديو ضد
الحكومة لتجاهلها المجلس واعلانها افلاس مصر (٣٧) ، دون عرض القرار
على المجلس الذي كان من الممكن ان يتخذ من الاجراءات ما يجنب البلاد
هذا القرار الشائن .

ولقد كان هذا الموقف المتشدد ، غير المتوقع ، من المجلس ، احد
الاسباب التي اطاحت بمجلس وزراء رياض باشا .. وكانت اول خطوة
قام بها شريف باشا بعد توليه الوزارة ، هي ان يبلغ المجلس استمرار
انعقاده في خطاب ارسله الى رئيس المجلس .. وقراه رئيس المجلس على
الاعضاء في جلسة بتاريخ ١٠ ابريل ١٨٧٩ .

وفي ٢٧ مايو من نفس العام قدم شريف باشا الى المجلس اللائحة

الاساسية التي اعدھا . . و وعد بان يقدم للمجلس دستورا جديدا ينص على الا يصدر قرارا الا بموافقة اعضاء المجلس . . وبعد قراءة هذه اللائحة الاساسية على الاعضاء اتخبت لجنة فرعية لمراجعة اللائحة وتقديم تقرير عنها الى المجلس . . وكما كان متوقعا فقد اتخبت المويلحي وعثمان الهرميل وبديني الشريعي وباخولة لطف الله ضمن اعضاء اللجنة .

اما الدستور فلم يقدمه رياض باشا الى المجلس ابدا كما وعد . . لان الخديوي كان يعارض فكرة اصدار دستور معارضة تامة . . وبعد تولي توفيق الحكم عقد المجلس جلسته في ٦ يناير التالي . . وكان قد تبدل اسمه من مجلس شوري النواب ، الى مجلس النواب . . وفي هذه الجلسة ابلغ المجلس ان بحثه قد طال كثيرا في مناقشة اللائحة الانتخابية دون ان يصل الى نتيجة . . وطلب منه ان ينفذ (٣٨)

كان مشروع دستور شريف باشا هاما . . وكان يطابق في كثير من مواده لمرسوم اقامة مجلس ١٨٦٦ . . وكان يتضمن ٩٤ مادة مع تخفيف طفيف لبعض مواد مرسوم ١٨٦٦ (٣٩)

وكانت اهم مواد دستور شريف الجديدة هي :

— للاعضاء مطلق الحرية في التعبير عن ارائهم . . ولا يجوز ان يكون احد منهم مرتبطا في رايه بتعليمات تصدر له او وعد او وعيد يوجه اليه .
— مداولات النواب ومناقشاتهم في الجلسات العمومية تكون علنية . . ويجوز ان تكون سرية متى طلب ذلك احد النظار (الوزراء) او عشرة من النواب . . على ان يقر المجلس ذلك .

— اذا رفض مجلس النواب قانونا من القوانين او بندا من بنود احد هذه القوانين مما يعرض عليه من مجلس النظار (مجلس الوزراء) فلا يجوز تقديمه الى المجلس مرة ثانية في اثناء مدة انعقاده هذه السنة .

— النظار (الوزراء) مسؤولون امام مجلس النواب عن كافة الاحوال والاعمال المختصة بها ادارتهم . وبناء على ذلك يجب على مجلس النظار المبادرة لوضع قانون لمحاكمة الوزراء عند الاقتضاء ويعرض على مجلس النواب لقراره .

– في اول اجتماع لمجلس النواب ، يجب على مجلس النظار ان يقدم للمجلس جميع اللوائح والقوانين والمنشورات التي يجري العمل بها في دواوين الحكومة لينظر فيها ويراجعها وينقحها ويعمل ما يرى تعديله منها ، ثم يجري التصديق عليها بحضور الخديوي لتكون دستورا للعمل بعد ذلك .

– يجوز لكل مصري له حق الانتخاب ان يقدم للمجلس عريضة (مذكرة) بواسطة احد النواب .

– من حق النواب مناقشة النواحي المالية في الحكومة . . ومن حقهم تعيين الإيرادات وكيفيةها ، والضرائب والجبايات وطريقة توزيعها واولقات تحصيلها . . فلا يجوز فرض ضريبة من اي نوع كانت ولا يجوز توزيعها ولا تحصيلها ولا تكليف الاهالي بها الا بعد موافقة مجلس النواب . . كما لا يجوز صرف شيء من متحصلات الضرائب زيادة عما يقرره مجلس النواب .

– للسودان ان ترسل أعضاء منتخبين عنها الى مجلس النواب .

وكان موقف مجلس النواب البطولي هو الذي فرض هذا التوسع في السلطات الذي تضمنه الدستور الجديد . . خصوصا في طريقة عرض الدستور نفسه على مجلس النواب لمناقشته واقراره كان اعلانا باذعان الحكومة للمطالب الدستورية والتشريعية للنواب . . ساعد على هذا اتجاه الخديوي الاستسلامي للتخلي عن كثير من سلطاته تحت ضغط الثورة العسكرية بقيادة عرابي في تلك المرحلة . . فقد كانت مهادنة الخديوي للمجلس هي احدى علامات هذا الاستسلام ، كما لاحظ شارل فيفيان قنصل انجلترا في مصر في ذلك الحين (٤٠) . اذ يقول فيفيان في تقريره ان رغبة الخديوي توفيق في ان يتظاهر بالروح الدستورية العالية هي السبب في نمو « تمرد عرابي » . . يقصد ثورة عرابي .

ولقد كان تظاهر الخديوي هذا ، هو الذي دفع شريف باشا الى تقديم هذا الدستور الحر المتحرر .



مجلس ١٨٨١ - ١٨٨٢

كانت سنوات ١٨٧٩ - ١٨٨٢ من السنوات المليئة بالاحداث في تاريخ مصر . كان السخط على التدخل الاجنبي الاوربي في السياسة المصرية هو احد العوامل المحركة لحركة عرابي وضباطه . وفي اوائل عام ١٨٧٩ كانت هناك مطالب بدعوة مجلس النواب . وقدمت الى الخديوي توفيق عريضة جريئة وقعها ١٦٠٠ شخص في عام ١٨٨١ تطالب توفيق باعادة الحياة النيابية (٤١)

وكانت احد المطالب التي قدمها عرابي الى الخديوي توفيق في المقابلة المشهورة ، هي دعوة مجلس النواب على ان يكون له نفس الحقوق الدستورية والتشريعية التي تتمتع بها المجالس الاوربية (٤٢) . وكان هذا الطلب ضمن قائمة عرابي ، ظاهرة هامة وكبيرة على تقدم الوعي النيابي في مصر . . . ولو نوقش هذا الجزء من مطالب عرابي على حدة . . . الجزء الخاص بعودة الحياة النيابية . . . لتبين الى اي قدر كان قد بلغ التقدم المعنوي للمثقفين المصريين في هذه المرحلة بقيادة ضباط الثورة العرابية .

ونزولا على طلب عرابي . . . وتحت ضغط ثورة الضباط ، قرر الخديوي توفيق دعوة البرلمان الى الانعقاد . . . ويبدو ان عرابي وضباط الثورة قد حاربوا لفرض قانون ١٨٧٩ الانتخابي (٤٤) . . . القانون

الذي قدمه شريف .. ولكن رأي القناصل الاجانب تغلب في النهاية
ليدعى المجلس للانعقاد على اساس قانون ١٨٦٦ الانتخابي .. وربما
كان لشريف باشا تأثيره ايضا في هذا القرار ..

وعلى كل حال فقد كان مرسوم ٤ اكتوبر ١٨٨١ مختصرا .. ووجهت
الدعوة للانتخابات الجديدة ، وتحدد يوم افتتاح البرلمان مع الاشارة
الى سلطات وزير الداخلية لادارة هذه الانتخابات .

وبدأت الانتخابات يوم ١٠ نوفمبر ١٨٨١ .

وكانت الحكومة قادرة تماما على التدخل في الانتخابات ، التي
تجري تحت اشراف العمدة وتتوجيه من وزير الداخلية (٤٥) .. ولكن
اتغطية هذا التدخل انذر شريف باشا المسؤولين في الحكومة من التدخل
في الانتخابات كاجراء روتيني ولذر الرماد في العيون .. ولقد كان من
السوء بمكان ان تكون هذه هي اول حكومة تصدر منشورا يخص
حرية الانتخابات في مصر ..

وقد استطاع عرابي وضباطه ان يحيطوا الانتخابات بالحرية
بنفوذهم القوي (٤٦) .. واعطى الناخبون اصواتهم بحرية تامة ..
وان كان عدد الذين ذهبوا الى صناديق الانتخابات قليلا ، تبعا لتقرير
« لوريا » احد المفتشين الاربعة الذين اشرفوا على الانتخابات (٤٧)

ومن المرجح ان قلة هي التي اهتمت بالانتخابات .. واكثرها كان
الطبقة الكبيرة والحاكمة .. فاعضاء مجالس ١٨٨١ - ١٨٨٢ كانوا
جميعا من الاعيان المحترمين والاغنياء .. وكثيرون منهم ينتمون الى
العائلات التي ارسلت ابناءها الى المجالس الماضية .. ولا شك ان هؤلاء
ظل اهتمامهم متصلا بهذا المجلس ايضا .. بل انهم وقد رأوا ان امتيازات
هذا المجلس اكثر من سابقه ، فقد حدثهم طموحهم بان في قدرتهم هذه
المرّة ان يطالبوا بالمزيد من الامتيازات ، خصوصا وقد اصبحوا مزودين
بخبرة وتجارب في المبادئ البرلمانية والتشريعية (٤٨)

وقليل من الموظفين الرسميين غير اللائقين تماما دفعت بهم الحكومة الى الانتخابات ليقوموا بدور مشين فيما بعد .

وفي ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ افتتح الخديو الدورة الجديدة للمجلس . وكان الافتتاح كما هي العادة علنيا (٤٩) والقي الخديو توفيق كلمة الافتتاح بنفسه . وفيها اكد اهتمامه بمصالح الامة المصرية ورغبته ان ينال المجلس ثقة الشعب والحكومة . ولم ينس ان يذكر الاعضاء بضرورة وضع الاتفاقيات المصرية مع الدول الاوربية في حساباتهم اثناء مداولاتهم .

وبعد خطاب الخديوي . . تكلم محمد سلطان باشا رئيس المجلس ، فشكر الخديوي ثم ذكر الاعضاء بواجباتهم نحو السلطان العثماني والباب العالي وارتباطاته بالقوى العالمية (٥٠) . وختم خطابه بتحفيز الاعضاء للعمل في خدمة بناء الوطن .

وكانت العادة ان يقوم الاعضاء - بعد خطاب الخديوي والرئيس - بانتخاب لجنة فرعية للرد على خطاب الخديوي . . ولكن شيئا غير عادي حدث في هذه المرة (٥١) . . اذ وقف سليمان اباطه باشا فحيا الخديوي ورئيس المجلس و اشار الى ما تنتظره الامة على يدي هذا المجلس . . وكانت هذه ظاهرة لازدياد الاحساس بين الاعضاء بالاستقلال والثقة بالنفس (٥٢)

فلما انتخبت لجنة الرد على خطاب الخديوي ، كان ايضا رئيسها في هذه المرة عبد السلام المويلحي وبعد ان وافق المجلس على مشروع الرد ، قريء امام الخديوي في قصر الاسماعيلية في ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ . وكان الرد مملوءا بالتعبير عن الولاء للخديوي وللباب العالي . . دون ان يغفل تأكيد المجلس بان اول واجباته هي رعاية مصالح الامة (٥٣)

ومع بداية الاجراءات التقليدية في المجلس ، بدأ الخديوي يحاول

فرض سيطرته على المجلس بالتوجيه أحيانا وبالتأمر أحيانا .. فقد كان محمد سلطان باشا من اخلص مؤيدي عرابي ، ولكنه في نفس الوقت كان على اتصال سري بالخدويي .. (٥٤) الامر الذي جعل وجهات نظره مقبولة عند عرابي والخدويي في وقت واحد .. فقد حصل على موافقة الخديوي ورضاؤه الكامل عن ترشيح كل من عبدالله فكري باشا واديب اسحاق باشا لسكرتارية المجلس ، مع انه كان معروفا عنهما أنهما من مؤيدي عرابي .. خصوصا اديب اسحاق الذي كان يقود حملة صحفية واسعة لتأييد عرابي .. وكان عرابي هو الذي طلب ترشيحهما لهذا المنصب .

ولما كان هذا هو آخر مجلس من نوعه في مصر كما قال الجميع .. فقد كانت كل اجراءاته تعطي صورة نظيفة وحررة .. فبعد انتخابات اللجان الخمس المعروفة ، روجعت صحة نيابة العضوية في ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ وفي نفس الجلسة تقرر بحث اللائحة الاساسية تبعا للنظام القديم ، حتى توضع لائحة جديدة (٥٥) .. وانتخبت لجنة دستورية لوضع مسودة مشروع لللائحة المجلس المتوقعة .. وكان رئيس هذه اللجنة - مرة اخرى - عبد السلام المويلحي .. وكان اعضاء اللجنة خمسة عشر عضوا بينهم حسن الشريعي .

وبعد خطاب شريف باشا الذي وجهه الى المجلس في ٢ يناير ١٨٨٢ ، والذي شدد فيه على احترام حقوق المجلس ، خيل للاعضاء ان الرجل يقف الى جانب اللائحة المقترحة .. وأحيلت اللائحة على بعض الوزراء لابداء الرأي .. ثم توقف الامر عند هذا الحد حيث كانت الاحداث تشير الى قرب استقالة الوزارة كلها .

فمن ٣١ يناير الى ٢ فبراير ناقش المجلس اقتراح شريف باشا بتجنب مناقشة المسائل الخاصة بالميزانية تفاديا لاجراج الحكومة في موقفها المالي الدولي .. وكان المجلس قد اثار ما اعلنه الخبيران الانجليزي والفرنسي

بمنع تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية للمحافظة على حقوق الممولين الاجانب .. ونتيجة لما اثارته مذكرة العضوان الى الخديوي بتأييد دولتيهما لسلطة الخديوي ضد اي صعاب من شأنها عرقلة مجرى الاعمال العامة في مصر .. ثم عادت المذكرة فزادت من الوضوح حين قالت ان الاحداث الاخيرة في الديار المصرية واخصها صدور المرسوم الخديوي بعقد مجلس النواب قد هيات الفرصة للحكومتين لاتفاقهما على منع ما عساه تستهدف له حكومة الخديوي من الاخطار ..

فقد كان معنى المذكرة الواضح ان الدولتان تعتبران مجلس النواب من الاخطار التي تستهدف لها حكومة الخديوي .. وان نواة هذه الاخطار هي مناقشة وبحث الميزانية المصرية لمجرد المحافظة على اموال الممولين الاجانب .. فاعتبر اعضاء المجلس هذه المذكرة تدخلا في شئون مصر الخاصة .. وبضغط وحماية عرابي طالب المجلس بضرورة مراجعة الميزانية املا في ان تسقط حكومة شريف التي تعرقل عمل الثورة وتتواطأ مع الخديوي والنفوذ الاجنبي ..

وقد سقطت وزارة شريف فعلا .. (٥٧)

وجاءت وزارة سامي البارودي الاولى .. وقد ضمت هذه الوزارة لاول مرة اعضاء متحررين من المجلس امثال حسن الشريعي الذي قدم - هو وعبدالله فكري - اللائحة المعدلة من واقع انتقادات الاعضاء للائحة القديمة (٥٨) .. ولم تستغرق مناقشة اللائحة في هذه المرة يوما واحدا .. فقد قدمها الشريعي وعبدالله فكري الى المجلس يوم ٧ فبراير ١٨٨٢ .. وفي نفس اليوم نوقشت ، ووفق عليها ، ووقعها الخديوي في الحال .. وقدمها البارودي في اليوم التالي الى المجلس بعد كلمة مقتضبة .. وذهب المجلس باكملة لشكر الخديوي .. ونظمت الاحتفالات في القاهرة والاسكندرية .. (٥٩)

ظلت اجراءات هذا المجلس مغالقة على الجمهور (٦٠) .. وعقدت

بعض الاجتماعات ، واديرت بعض المناقشات الصريحة في الفترة بين ٩ فبراير و ٢٦ مارس ١٨٨٢ حيث انقضت الدورة •

ولم تخرج الموضوعات التي نوقشت في هذه الدورة كثيرا عن الموضوعات التي نوقشت في الدورات السابقة. مثل الاصلاحات الزراعية والري واللوائح التجارية واعادة تنظيم القضاء بانشاء محكمة مدنية جديدة ، وجعل التعليم الابتدائي جبريا - وهو الاقتراح الذي قدمه المويلحي - وقانون المعاشات ، والقانون الجديد للانتخابات • (٦١)

وكانت دورة من الناحية التشريعية هادئة • فكل ما احرزته من رغبات حولتها الحكومة في الحال الى قوانين (٦٢) • وانهت الدورة بخطاب ودي تبادله البارودي مع سلطان باشا • (٦٣) ثم ذهب الاعضاء الى الخديوي يستأذنه قبل العودة الى دوائره • وبعض هؤلاء الاعضاء لعبوا دورا هاما في الاحداث التالية التي سيطرت على مصير البلاد • (٦٤)

ولقد حاول مجلس ١٨٨١ - ١٨٨٢ ان يزيد من اشرافه على شؤون البلاد بوسيلة او باخرى ••••• ولهذا عمل على ان يجعل صلاته بممثلي القوة الاوربية في مصر على احسن وجه •• فحال بينها بهذا الاسلوب - وبين محاولاتها الدائمة للتدخل في شؤون مصر الاقتصادية • (٦٥)

ومن المناقشات الحامية التي انعقدت في الدورة : اقتراح بضرورة تصديق مجلس النواب على جميع المعاملات والاتفاقات التي تبرمها الحكومة مع البلاد الاجنبية او الجهات الاجنبية الاخرى •• ومن القرارات الاخرى الهامة التي وافق عليها مجلس الوزراء ان تقدم القرارات والمراسيم التي تصدرها الحكومة بكلمة « باقرار مجلس النواب » •

ولقد كان من الضروري من مجلس مكون من كبار اصحاب الاراضي او كبار المالىين (٦٦) ان يولي اهتمامه الكبير لظروفه كمجلس .. وهو يرى انه يمثل النخبة التي تجسد الصالح العام للبلاد .. ولقد اعطى المجلس لذلك كل اهتمامه للوسيلة التي يوضح بها الدستور الخاص به .

كان شريف يرى ان دستوره الذي قدمه بسيطا ومتحررا ، ولا يحتاج الى كل تلك المذكرات التي كتبت حوله .. فلقد اثار مشروع الدستور الذي قدمه شريف باشا الى المجلس ١٨٧٩ كثيرا من الازدراء والرد لدرجة ان القنصل البريطاني اعتبر شريف باشا غير محدد الاتجاه بتقديمه هذا الدستور الى المجلس (٦٨) .. ولكن شريف على كل حال قد اوضح موقفه تماما حين لخص مشروعه امام المجلس في ٢ يناير ١٨٨٢ ، والذي كان واضحا فيه ضغط عرابي وجماعته ..

وكان مشروع الدستور الذي قدمه شريف يتكون من ٥٣ مادة واهم مواده .. ان :

– الاعضاء ينتخبون لفترة اربعة سنوات .

– يختار الخديوي رئيس المجلس بمشورة الوزارة من بين اعضاء المجلس (٦٩)

– الوزراء مسؤولون امام المجلس فرديا ومتضامنين .

– لا تفرض ضرائب الا بعد عرضها على مجلس النواب .. (٧٠)

وكان شريف يعتقد ان الدستور في كثير من نواحيه متحررا وتقدميا .. وبصرف النظر عن مديونية مصر للقوى الاوربية فلم يستطع المجلس ان يصوت على الميزانية او يبحث قانونا او يناقش جزية الباب العالي فقد كان المجلس لا يزال في باكورة حياته ، وفي الوقت ذاته كانت قوة الخديوي والحكومة والسلطان من وراءهما لا تزال في عنفوانها .. (٧١)

ان كل ما كان في استطاعة هذه المجالس ان تفعله ، هو ان تشارك بنصيب في سن القوانين ووضع الضرائب ، كصورة متطورة في الفترة الاخيرة - وبعد ثورة عرابي على وجه التحديد - للتعبير عن سيطرة المجلس على الهيئة التنفيذية • (٧٢)

وليس أدل على ذلك من مذكرة مندوب القنصلية الفرنسية العامة في القاهرة (٧٣) الذي يقدم لنا فيها بعض المعلومات عن موقف السلطان التركي من هذا الدستور واصداره •• سينكويز ارسل تقريراً بناء على مصادره - غير المحددة - الى حكومته في فرنسا يقول فيه ان الباب العالي راقب تحضير هذا الدستور وانذر شريف عدة مرات من ان يمنح المجلس سلطات واسعة ••

وعلى اي حال •• فان التعديلات التي اضافها المجلس بعد ذلك الى مشروع دستور شريف باشا كانت طفيفة كما قال سلطان باشا رئيس المجلس لشريف •• والنقط الرئيسية في مشروع الدستور الجديد هي :

- كل مجلس مدته خمس سنوات
- اذا لم تكن الثلاثة اشهر كافية لانهاء المجلس لمهمته المحددة في الدورة ، فان له الحق في ان يمددها لفترة من ١٥ الى ٣٠ يوما •
- اذا اتخذت اجراءات جنائية ضد عضو المجلس لاي سبب من الاسباب ، فالمجلس حق وقف هذه الاجراءات حتى نهاية الدورة •
- للخديوي ان يختار رئيس المجلس من بين ثلاثة اعضاء يرشحهم المجلس • وان تكون مدة رئاسة المجلس ٥ سنوات •
- اذا وجه المجلس سؤالاً الى اي وزير فطيه ان يجيب بنفسه او بمن ينوب عنه •
- المسؤولية الوزارية لا تتجزأ ، وكذلك بالنسبة لقرارات الحكومة
- للمجلس الحق في الاشتراك في وضع القوانين ، وكذلك في المناقشة حول القوانين وتطبيقها •
- للمجلس ان يناقش جميع المشروعات وله الحق في الموافقة على بعض موادها او عليها كلها •

– للمجلس ان يناقش الميزانية ، ولا تصدر الا بعد موافقته .

– لا تكون اي اتفاقية او معاهدة او التزام بين الحكومة واي جهة اخرى نافذة المفعول الا بعد موافقة المجلس ، كذلك بالنسبة لاي مقالة عن اشغال عامة خارجة عن الميزانية ، او بيع شيء من املاك الحكومة او اعطاء ارض بدون مقابل ، او منح امتياز ل احد .

وكانت النقطتان الاخيرتان هما اكثر النقاط حدة .. فالتصويت على الميزانية كان قد اصبح موضوعا حساسا منذ طالب المندوبان المفوضان للاشراف على اموال الممولين الاجانب الا يتدخل مجلس النواب في شؤون الميزانية .. كما ان النص على ان اي اتفاقية خارجية او معاهدة مع دولة اخرى تعتبر لاغية الا اذا وافق عليها مجلس النواب ، كان تغيرا ثوريا لسيطرة المجلس الكاملة على السياسة الخارجية للحكومة .. وسلب – في نفس الوقت – لهذه السلطة من يد السلطان والحكومة والخديوي والقوى الاجنبية التي تحاول ان تسيطر من ورائهم (٧٤) ولا بد من الاشارة الى ان الحكومة في هذا الوقت او قبله بقليل كانت لا تزال تتمتع بسيطرة كاملة على اغلب الاعضاء وهم من كبار اصحاب الاراضي او العمد او كبار موظفي الدولة .. وهؤلاء كانوا يمثلون بطبيعة الحال قوة المقاومة في وجه التحرر المذهبي او الفكري في ارض الوطن المجرد .

وكان الذكريتو الذي وقعه الخديوي في ٧ فبراير ١٨٨٢ (٧٥) . قريبا الى حد كبير من مشروع شريف الذي قدم في عام ١٨٨١ بعد ان اضيفت اليه التعديلات التي اشار اليها سلطان باشا في ذلك الحين .. وكانت كل التعديلات التي اشار اليها سلطان باشا قد اضيفت الى المرسوم الخديوي الجديد بكاملها .. حتى فيما يختص بالاشراف على الميزانية .

ولو ان المجلس لم يستطع استعمال هذه المميزات الجديدة

والخاصة بمناقشة ميزانية البلاد ، او التصديق على المعاهدات والاتفاقيات الخارجية .. فان مجرد صدور مرسوم الدستور الجديد في حد ذاته ، كان خطوة الى الامام ولها اهمية في تاريخ الحياة البرلمانية في مصر .. فان القرارات اللاحقة لهذا المرسوم لتفسير اجراء الانتخابات واللائحة القانونية للمجلس قد حددت الكثير من العلاقات الدقيقة بين الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية فيما بعد .

ففي مارس ١٨٨٢ صدر قانون موسع للانتخاب ، يتضمن سبعين مادة ، ومتأثرا بكثير من قوانين الانتخاب التي صدرت في مصر قبل ذلك .. اما التجديد الرئيسي فيه فقد كان مجسما في المادة الاولى التي يقول فيها ان كل مائة ناخب ينتخبون عضوا يختار بدوره عضو المجلس .. واصبح بذلك اعضاء المجلس ١٢٥ (٧٦) حيث كان من المتوقع ان يعطي هذا التوسع في الاصوات ممثلين حقيقيين للمجلس ، اكثر مما استطاعت المجالس التشريعية السابقة .. علاوة على انه يرفع من عدد الاعضاء في المجالس ، وبالتالي تتسع دائرة الاراء الممثلة في المجلس .

كان البناء الاجتماعي للمجلس قد بدأ يتضح بين عامي ١٨٦٦ و ١٨٨٢ ، ليعطي مع التقدم نجاحا للنظرية التشريعية مع ضيق الحدود التي تتحرك في اطارها .

ففي مجلس ١٨٦٦ كان هناك ٥٨ عمدة من ٧٥ عضوا في المجالس .. (٧٧) فاذا اضمنا اعضاء القاهرة الثلاثة الى عضوي الاسكندرية - حيث لا يوجد عمد - لكان في امكاننا القول بان صفة الثراء كانت الصفة الغالبة على مجالس اسماعيل باشا .. حيث كان العمدة في ذلك العهد يمثلون قوى الثروة في البلاد .

والاحساس الذي يخامر الباحث عن هذه المرحلة ، هو ان مصر كلها حتى المدن الكبيرة - كانت تساند وتؤيد انتخاب العمدة لعضوية

مجلس النواب .. ويتأكد هذا الظن حيث نلاحظ انه في عام ١٨٦٦ قدمت المنوفية ٧ اعضاء .. والبحيرة ٥ اعضاء والجيزة ٣ ، وبني سويف والفيوم ٥ ، والمنيا وبني مزار ٦ .. وكانوا جميعا من العمد ، حيث لا يبدو ان احدا قد تقدم لمنافستهم .

وفي خلال الثلاث سنوات التالية من عمر هذا المجلس ، لم تحدث الا تغييرات طفيفة في عضوية المجلس لموت او استقالة بعضهم .. وعلى هذا الاساس فقد عاد الى المجلس بعض اعضاء مجلس ١٨٧٠ .. وحتى في ذلك الحين كان عدد العمد قد بلغ ٦٤ عضوا .. بعضهم جاء في تغيرات ٧١ ، وبعضهم في ٧٣ .

ولكن قليل من هؤلاء الاعضاء العمد ظهر من جديد في مجلس ١٨٧٦ . وفي هذه المرة كان العمد عددهم ٥٣ فقط ، ولقد كان هبوط عدد العمد الذي تعول عليه الحكومة عادة في فرض سيطرتها ، في الوقت الذي يزداد فيه عدد ذوي الخبرة النيابية والمثقفين والضباط في المجلس ، كانت الحقيقة التي اعطت هذا المجلس شخصيته المستقلة الواضحة .. حتى انه على الرغم من ان العمد كانوا يشاركون الاخرين في معارضة سياسة الخديوي المالية ، ويطالبون بالاشراف على ميزانية الحكومة والسيطرة عليها .. فقد كان يظهر دائما من المضبطة ان اولئك الذين يشيرون المناقشات حول هذا الموضوع ، ليسوا من هؤلاء العمد . وقد كان هناك عدد اقل من العمد الذين انتخبوا في نهاية عام ١٨٨١ .. وقد يتضح من هذا ان الحكومة كانت في هذه الانتخابات تستعمل ضغطا اقل لتأييد هؤلاء العمد .. وربما كان ذلك لان الوعي بين جماهير الشعب قد تفتح على التجربة البرلمانية واهميتها .. ولكن المهم هو ان هذه الظاهرة كانت الاساس الذي قامت عليه الثقة بالنفس التي تمتع بها مجلس ١٨٨١ - ٨٢ .

على انه يجدر القول بان بواغث هذه الثقة بالنفس كانت تتبع

من عدد قليل محدد من اعضاء المجلس لما يزيد على العشرين او الخمسة والعشرين • الذين لهم الجرأة وسعة الافق ، والذين كانوا يملأون أوراق المضابط بمناقشاتهم •• وهم الذين كانوا ينتخبون عادة ليرأسوا اللجان •• وفي اغلب الاحيان كانوا يتمثلون في اولئك الذين ينتخبون ليرأسوا اللجنة الفرعية للرد على خطاب الخديوي •



الحياة البرلمانية من ١٨٨٣ - ١٩١٢

بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، ارسلت الحكومة الانجليزية اللورد دوفرين السفير البريطاني في استنبول الى القاهرة ليعيد تنظيم عجلة الاداة الحكومية .

وفي تقرير نشر اكثر من مرة واثار عدة تعليقات في حينه سجل اللورد دوفرين عدة اقتراحات عن اقامة حياة شبه نيابية في مصر (٧٨)

ولا شك ان مكتب القنصلية البريطانية في القاهرة كان قد امد اللورد دوفرين بكثير من المعلومات التي فاض بها تقريره .. فاذا كان مكتب القنصلية هو المصدر الرئيسي لمعلومات اللورد دوفرين . فمن الضروري ان يكون صلب هذه المعلومات مركزا في مذكرة هامة بعنوان « مذكرة عن الوزارة المصرية » كان قد كتبها سيراوكلاند كولفن الذي كان واحدا من المشرفين في مصر يوما .

في هذه المذكرة التي ولا شك كانت الاساس الذي قام عليه تقرير اللورد دوفرين .. تصور كولفن انه يمكن اقامة حياة دستورية في مصر على غرار لجنة الاحكام التشريعية في الهند .. وهي اللجنة التي تضع وتصدر القوانين ، ولكن لا تنفذها .. ومن سلطات هذه اللجنة ايضا ان توافق على الضرائب الجديدة ، ولكنها في نفس الوقت لا تناقش الميزانية . الا اذا كانت هناك ضرائب جديدة ستفرض .. وجلسات

هذه اللجنة علنية وتنشر مناقشاتها في الجريدة الرسمية .. أعضاؤها خمسة عشر الى جانب اللجنة التنفيذية التي تتكون من عضو عن كل دائرة ، ينتخب من الاعيان في هذه الدوائر .. وهؤلاء الاعيان يمثلون مشايخ القرى في مصر .. على الا يكونوا من الزراعيين الذين تفرض عليهم حد ادنى من الضريبة الرسمية .. ودورة هذا المكتب سنتان ، على الا يكون لعضائها حق الترشيح في دورة السنتين التاليتين (٧٩)

وقد ظل دوفرين على اتصال مستمر ليستشير ادارة الشؤون الخارجية في لندن اثناء اعداده للتقرير .. والى جانب ذلك راح يجمع كل ما يستطيع من المعلومات الممكنة عن الحالة في مصر والنشاطات التي قام بها مجلس النواب السابق .. وفي تقرير شيق الى اللورد جرانفيل في الايام الاخيرة من عام ١٨٨٢ ، شرح دوفرين انطباعاته ورسم خطوطا عامة لما انتهى اليه رأيه . (٨٠)

وجد دوفرين طبقة منتشرة في مصر من كبار الملاك من سلالة العثمانيين المرموقين الذين ينظر اليهم الفلاحون كجنس ممتاز .. ولان دوفرين كان قد قرر ان يحكم الانجليز مصر فقد افترض ان هذه الطبقة من الملاك المالك هي وسيلة الانجليز في حكم مصر .. ولكن قرر ان دستورا بين يدي هؤلاء الباشوات لن يحقق لهم السيطرة على الفلاحين ، بقدر ماتحققه لهم سلطة مباشرة وقوية .. وقد بنى دوفرين حكمه هذا على ضوء ما رآه في مجالس النواب السابقة وما وصفه من وجهة نظره - بانه مثير وطفولي .. هذا الى جانب ان تركيا وفرنسا وايطاليا ، سوف يعتبرون اقامة برلمان فلاحى في مصر مكيدة مدبرة ضد سلطات الباب العالي والمصالح المالية للدولتين الاوربيتين .

وعاد دوفرين يطالب باقتراح كولفن باقامة تجربة مماثلة لتجربة الهند وقدم نفس الاراء التي قدمها كولفن في تقريره وفي النهاية وصف

دوفرين هذه الاراء بانها نظام شبه برلماني دستوري يتكون من مجلس شورى القوانين ، وجمعية تأسيسية متفرعة منه .. ولقد اصبح تقرير كولفن هذا القانون الاساسي لوسيلة الحكم الانجليزي في مصر .

ومجلس شورى القوانين الذي اقترحه دوفرين يتكون من ثلاثين عضواً ، ١٤ عضواً يمثلهم الرئيس واحد نواب الرئيس ويختارهم الخديوي من وزرائه وحاشيته .. وهؤلاء دائمون .. اما الستة عشر الباقون - بما فيهم نائب الرئيس الثاني - فينتخبهم اعيان المجلس ، وبالتصويت العادي من كل انحاء البلاد ، لفترة ست سنوات .

ومهام المجلس الرئيسية هي التشريع والميزانية ، ولكن ليس له الحق في اصدار القوانين .. اذ ان رأيه استشاري .. ويمكن لمجلس الوزراء ان يرفض مشورته على شرط ان يبدي اسباباً لرفضه .. ولكن دون ان يمنعه من الاطلاع على الشؤون الهامة في الدولة (٨١)

اما الجمعية العمومية فتتكون من ٨٢ عضواً .. الوزراء وهم ما يسمون باعضاء مجلس الخديو .. ومجلس شورى القوانين باعضاءه الثلاثين .. والستة والاربعون الباقون ينتخبون من كل انحاء مصر .. ويرأس الجمعية العمومية رئيس مجلس شورى القوانين .

ويشترط في الستة والاربعين المنتخبين في الجمعية ان يكونوا فوق الثلاثين .. متعلمون .. لا يدفعون اقل من خمسين جنيهاً ضرائب مباشرة .

وكما هو الحال في مجلس شورى القوانين ، فان سلطة الجمعية العمومية لا تتعدى المشورة وان كانت دائرة مشورتها اكثرت اتساعاً من مجلس الشورى .. حيث اعطيت سلطة التصويت على الضرائب وابداء الرأي في القروض الشعبية ، وبناء القنوات ، وتصنيف الارض .

فاذ رفضت الحكومة مشورة مجلس الجمعية في اي من هذه الموضوعات ، فينبغي ان تعطي اسبابا موضوعية لرفضها .. خصوصا وان الجمعية ان تقدم هذه النصائح علنية ، وتتلقى جواب الحكومة فيها علنيا ، أيضا .. (٨٢)

واختلفت مستويات المكافأة بين عضو مجلس الشورى ، وعضو الجمعية العمومية .. فالاعضاء الاربعة عشرة المختارون والرئيس ونائبه والعضو المنتخب عن القاهرة في مجلس شورى القوانين يتقاضون تسعون جنيها سنويا ، كبذل عربية .. ويتقاضى الاعضاء الستة عشرة المنتخبون ٢٥٠ جنيها سنويا بدل سفر لحضورهم الى القاهرة .. وبلغت ميزانية هذه المكافآت في عام ١٨٨٣ مبلغ ٣٧٦٥ جنيها .

أما اعضاء الجمعية العمومية ، فيتقاضون مصروفات حضورهم وعودتهم وجنيها عن كل ليلة يقضونها في القاهرة ، على الا يزيد عدد الليالي عن ثمانية (٨٣) .. وبشكل عام فقد كانت هذه المكافآت كبيرة بالنسبة لمستوى الحياة في مصر في ذلك الوقت .

لم تكن السلطات المعطاة لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية كبيرة .. اللهم الا ان في قدرة الجمعية العمومية ان ترفض التصويت على الضرائب .. ولقد كانت على كل حال قادرة على ان تجمع الاموال بطريقة او اخرى بعيدا عن عين وسلطة المجلسين ..

ولقد كان مما ييسر الامور ان العدد الكبير من اعضاء المجلس والجمعية من الاغنياء الموسرين من الاعيان فلم يكن للفقراء من يدافع عنهم في هذين المجلسين .. ولقد كان هؤلاء الاعيان مؤيدين في اغلب الاحيان للحكومة مما يسر لها فرصة السيطرة على الاصوات في اغلب الاوقات .. وحتى اذا كان قد اعطي للمجلس او للجمعية الحق في التصويت ضد اي موضوع تراه الحكومة .. فقد اعطى لها الحق ايضا

ان ترفض اعتراض المجلس او الجمعية وان تجد الوسيلة دائما
لأبداء الاسباب (٨٤) .

وهكذا كان العمل النيابي عاجزا وكسيحا في هذه الفترة - ولقد
كان مما يبرر عجزه انه يعمل في ظل الاحتلال الانجليزي .. واستمر على
تلك الصورة من عام ١٨٨٣ حتى عام ١٩١٢ .. وفي خلال هذه الثلاثين
سنة ترأس مجلس الشورى سبعة رؤساء (٨٥) .. كانوا جميعا من
باشوات البلاط .. واحدهم كان الامير حسن كامل الذي رأس المجلس
من ١٩٠٩ الى ١٩١٠ .. ولذلك فقد ظل المجلس دائما تحت سيطرة
الخديوي .

ففي يونيو ١٨٨٣ كانت قوائم الانتخابات قد اكتملت .. وكان
عدد الناخبون المقيدون في القوائم الرسمية ٩٠٣٣٩٥ من مجموع السكان
الذي بلغ ٦٨٠٠٠٠٠ اي بنسبة ١٣.٢٨٪ ، او اقل من سبع السكان (٨٦)
وفي التسع سنوات الاولى ، قام المجلسان الدستوريان الجديدان -
وخصوصا مجلس شورى القوانين ببعض الاعمال الناقصة ، وقبلت
الحكومة مشورتهما اكثر من مرة .. اجمالا او على اجزاء .. واحيانا
كانت الحكومة هي التي ترسل في طلب استشارة اعضاء مجلس
الشورى بشكل غير رسمي .. (٨٧) ومع ان سلطان باشا تربيع على
رئاسة مجلس الشورى والجمعية العمومية في ذلك العام ، (٨٨) فقد ران
الجمود على اعضاء المجلس والجمعية ، واصبح عملهم في هذين المجلسين
مجرد وظيفة ، دون ان يحاولا بإسبغ الطرق ان يثبتوا انهم جديرون
بعمل نيابي وان يقدموا اي رأي ... او حتى نصيحة (٨٩)

كانت المناقشات والنصائح ترفع الى الحكومة وكأنها استجداء
مغلف في ترانيم الولاء كانها الطقوس الدينية الشعبية ، الامر الذي بدا
مستغربا في اعين الانجليز الذين كانوا يحكمون مصر في تلك الفترة ..
لدرجة ان اللورد ميلز (اصبح سير الفريد فيما بعد) ابدى استغرابا

شديدا للاقتراح الذي رفعه المجلس في عام ١٨٩٥ يطلب قطع اطراف المتهمين في بعض الجرائم او صلبهم (٩٠)

وفي عام ١٨٩٢ بدا وكأن مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية قد استطاعا ان يستجمعا ثقتيهما بنفسهما عما اظهراه من بعض التجارب في اعمال التشريع وعما بدا في قابليتهما للمناقشة .. (٩١) والظاهر ان معارضة الخديوي للانجليز في هذه المرحلة قد الهتهم السير في نفس الطريق ولكن بحذر ونعومة .

ففي ديسمبر ١٨٩٢ رفض مجلس شورى القوانين النظر في ميزانية ١٨٩٣ ، بحجة انها لم تقدم اليه في صورتها النهائية .. ولو ان هذا الرفض لم يمنع الحكومة من اعلان الميزانية المعترض عليها .. الا انها كانت على اي حال اول بادرة معارضة تظهر في هذا المجلس (٩٢)

ويعتبر عام ١٨٩٣ انجح الفترات في عمر مجلس شورى القوانين ، (٩٣) لانه تحفظ على المصروفات الضخمة التي قررت لقوات الاحتلال .. وفي عام ١٨٩٦ احتج لانه لم يستشر في ميزانية الحملة السودانية (٩٤) .. وفي مرة اخرى دافع عن المخصصات اللازمة لترقية التعليم .. ولقد حاول ان يؤكد حقوقه وسلطانه في بعض الاحيان - باظهار روح العداء للاحتلال الانجليزي . (٩٥)

وبين عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٢ كان رئيس مجلس شورى القوانين اسماعيل محمد باشا . وهو صديق شخصي لمصطفى كامل .. (٩٦) ولا شك ان اسماعيل محمد باشا قد اشاع روح السخط في المجلس ، والتي بدأت تتبلور ، ولكن بشكل صغير ، في الجمعية العمومية .

وكان الشيخ محمد عبده واحدا من الشخصيات الهامة في مجلس شورى القوانين الى جانب اهميته في مصر كلها كواحد من علماء المسلمين الكبار .. وقد عين الشيخ محمد عبده في مجلس شورى

القوانين في ٢٥ يناير ١٨٩٩ .. وسرعان ما اشاع في المجلس تأثير ملحوظ حتى اصبح قاسما مشتركا في جميع لجانه ، وكان قادرا دائما على ان يجد اوساط الحلول كلما اصطدمت الحكومة بالمجلس .. ولكن دون ان يشبط من همّة اعضاء المجلس او يصرفهم عن بذل جهودهم واهتمامهم لخدمة المصلحة العامة .. (٩٧)

واققد كان الشيخ محمد عبده ذو اثر كبير وواضح في ان يشعر مجلس شورى القوانين باهميته .

حتى نهاية هذا القرن كان مجلس شورى القوانين يتكون من عضوين رئيسيين .. أولهما يمثل الطبقة التركية ، التي كانت قد بدأت تختفي رويدا ، وان كانت لا تزال تمسك بزمام القوة والمال .. وهذه الطبقة وان كانت ظلت تلعب دورا رئيسيا في المجتمع حتى ذلك الحين كواحدة من اهم الطوائف في المجتمع ، الا انها لحسن الحظ لم تكن تشعر بما يصيب سطوتها ونفوذها من تقلص يوما بعد يوم .. ولقد كانت هذه الطبقة تقف معادية للاحتلال على طول الخط بحكم موقعها في سلطة الحكم .

اما العنصر غير التركي فقد كان له موقف مخالف .. فهي وان كانت تشعر بان الاحتلال في نزاعه على السلطة مع العنصر التركي قد فتح امامها الطريق الى تسلق سلالم العمل السياسي وآفاقه .. فهي لا تستطيع في نفس الوقت الا ان تضمر لهذا الاحتلال العداء الوطني الطبيعي .. الى جانب حاجتها الى خبرة وتجربة الطبقة التركية القديمة . واققد وجد العنصران في التجربة البرلمانية ستارا يعملان وراءه ضد الاحتلال .. الا ان الصراع في النهاية وضع في يد غير الاتراك من المصريين كل تقاليد التجربة .. بينما كان التعليم وانتشاره احد الاسباب الرئيسية في القضاء تماما على الطبقة التركية المتأكلة .. (٩٨)

ولقد كان للدين دور فعال في اعمال مجلس الشورى ، وفي كثير من التطورات التي مرت بها مناقشاته في الدورتين الاولتين .. فمثلا في عام ١٨٩٠ كان من الضروري ان تتبنى كل ما يدور من مناقشات حول القانون على اسس الدين حتى يتسنى للاعضاء ان يقتنعوا وان يعطوا اصواتهم .. (٩٩) ومع كل هذا الحذر والانتباه الذي اتبعه المشرع في عرضه لاصول القوانين هوجم بعنف .. وكان على رأس المهاجمين مفتي الديار المصرية نفسه بالرغم من ان الحكومة بذلت كل جهودها لاقتناع اعضاء المجلس ، وحضر المناقشة رئيس الوزراء ووزير العدل والمستشار القانوني للحكومة .. وصمم الاعضاء على ان التنظيم الجديد ضد الشريعة الاسلامية وصوتوا جميعا ضد المشروع .. (١٠٠)

ولا بد ان الاتفاق الانجليزي الفرنسي عام ١٩٠٤ ، والذي اطلق للانجليز حرية التصرف في مصر : كان ضربة مؤلمة للمصريين وكان لها وقع كبير على اعضاء هذا المجلس شبه البرلماني .. اذ ليس هناك تفسير اخر لان يوافق المجلس في نهاية هذا العام (١٩٠٤) على مشروع الميزانية دون اي اعتراض .. وفي العام التالي (١٩٠٥) كان الاستسلام تاما حتى ان المجلس لم يعترض على احكام محاكمات دنشواي (١٠١) التي كانت تقوياتها قاسية على الفلاحين المصريين .

ولكن بعد تصديق المجلس على المحاكمات . اشعلت خطب مصطفى كامل السخط على الانجليز وقامت الصحافة بدعاية فعالة بين الجماهير .. (١٠٢) وسرت عدوى السخط الى المجلس ، بينما كان البعض يشير التمرد بينهم . وفي اجتماع ساخن استغرق اربعة ايام ، ناقش المجلس ٨٥ رغبة والتماس رفض منهم على الاقل ٣١ .. ولكن روح المناقشة كانت تتسم كلها بالعداء للانجليز .. كما تقول القرارات التي طالبت :

١ - الافراج عن معتقلي دنشواي

- ٢ - اقامة حكومة وبرلمان دستوريين
- ٣ - وضع قانون لتحديد تسعيرة لجميع الاسواق بواسطة الحكومة
- ٤ - تعيين جميع المصريين في جميع المناصب الرسمية العليا
- ٥ - انشاء مجلس بلدي للقاهرة
- ٦ - معارضة التكاليف العالية للتعليم
- ٧ - ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في مصر
- ٨ - الحرية التامة للمصريين في زيارة الحرم المقدس
- ٩ - تنظيم المحاكم الشرعية
- ١٠ - معارضة استعمال العملة الانجليزية في التبادل في مصر
- ١١ - وقف امتيازات الشركات الاجنبية (١٠٣)

ولم تكن اذن حقوق اعضاء المجلس التشريعي الضيقة في نشاطهم الدستوري ، ولا حاجتهم الى القائد الموجه بعد موت الشيخ محمد عبده (١٩٠٥) هي السبب الوحيد في ذلك الجمود الذي اتسمت به اعمال اللجنة في تلك السنوات المجدية .. ففي تقرير للورد كرومر في عام ١٩٠٨ . كان هناك ١٣٤٠٠٠ شخص قادر على الانتخاب لم يذهب للتسجيل منهم سوى ٣٤٠٠٠ ناخب ، ولم يذهب للتصويت الا ١٥٠٠ اي ١١٪ من الاصوات المسجلة (١٠٤) . وفي الاسكندرية من ١٧٠ الف شخص حائز على الشروط الانتخابية لم يذهب للتسجيل سوى ١٤ الفا . ولم يذهب الى صناديق الانتخاب الا ٧٥٠ صوت .. اي زيادة بقليل عن ١٪ .. ولم يكن الفرق كبيرا في الريف عن هذه النسب .. مما اعطى انطباعا لدى اعضاء المجلسين باهمال الجماهير لمجلسيهم .. ومما ادى بالضرورة الى تاثر اعمال المجلسين .

وكانت مناقشات المجلسين عويصة حول قانون الابعاد ، وقانون الشركات المساهمة ، والمطالبة باطالة مدى دورات المجلس ورفع مستوى التعليم .. مرات قليلة شد الانتباه لاعادة النظر الى تكوين المجلس وقدمت اقتراحات كثيرة للتعديل حين تكونت لجنة وضعت مضبطة

للدفاع عن مجلس الشورى ضد الانتقادات المخرجة التي وجهها اليه
جورست في تقريره السنوي ٠٠ (١٠٥)

وفي عام ١٩١٠ دارت مناقشات حامية حول الامتيازات الواسعة
لشركة قناة السويس ٠٠ كانت شركة قناة السويس تسيطر على مصدر
هام للدخل ٠٠ وكان الخديوي ومستشاروه يرون ان هذا من حقها ٠٠٠٠
وكان من رأي المهاجمين لامتيازات قناة السويس انها حجر عثرة في سبيل
تقدم مصر ٠٠ اما الذين وقفوا يدافعون عن القناة فقد كان دفاعهم
الوحيد ان مهاجمة المشروع يمكن ان تؤجل يوم الاستقلال لمصر !

ووسط مشاعر شعبية فياضة ، دعي مجلس الشورى للاجتماع في
اكتوبر ١٩٠٩ ٠ وفي الاجتماع غير الرسمي الكبير الذي ضم غير اعضاء
مجلس الشورى والجمعية العمومية ، اعضاء المجلس الفردي واءضاء
المجالس البلدية اعيد المشروع للمناقشة مرة اخرى ، وباسلوب موسع
ومتحمس ٠

وانتهى الاجتماع الثائر بارسال برقيات من كل هذه اللجان
والهيئات الرسمية والشعبية الاخرى الى الخديوي ووزرائه وجورست
يطالبونهم بالا يتخذوا قرارا في هذا الموضوع ، الا بعد ان ينتهي هذا
الاجتماع تماما من مناقشته ٠٠

وتحت هذا الضغط، اضطر بطرس غالي باشا رئيس الوزراء الى دعوة
الجمعية العمومية للاجتماع (١٠٦) ٠٠ وكان هدف بطرس غالي باشا
الاول هو حماية مجلس الوزراء من الغضب الشعبي بمحاولة الحصول
على تصديق الجمعية العمومية على المشروع ٠٠ ولكن الجمعية العمومية
اثارت مناقشة حامية ضد المشروع ، واثيرت كل الاعتراضات التي
اشيعت حوله ، والقيت كلمات نارية استغرقت حوالي خمسة ساعات
من نهار - ١٤ ابريل ١٩١٠ ٠٠ وفي آخر الامر كانت كل الاصوات ضد
المشروع ٠

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تصفع الجمعية العمومية الحكومة
بنصيحة وتضطرها الى الانصياع لرأيها فقد استسلمت الحكومة لمعارضة
الجمعية العمومية .. وفي ادق ما يتصل بالمصلحة الحيوية للاقتصاد
المصري (١٠٧)

وفي عام ١٩١١ شغل المجلس بموضوع حي ، هو هل يعين شيخ
الازهر بواسطة الخديوي ، او ينتخبه طلبة الازهر .. ولم تكن المشكلة
دينية او تعليمية فحسب .. بل سياسية ايضا .. (١٠٨)

وبالرغم من المناقشات الحامية الحساسة التي اثيرت .. فقد
تمسك الخديوي برأيه في النهاية .

وفي الاجتماع العام للمجلس والجمعية الذي بدأ في ٢٥ مارس حتى
١ ابريل ١٩١٢ . افتتح الخديوي الجلسات بخطاب طويل عدد فيه
الاصلاحات التي تمت في التعليم وتنظيم المجالس القروية والزراعة
والمواصلات والضرائب والامن العام والعدل والادارة .. وختم خطابه
بحديث مختصر عن اهتمام الحكومة باقامة النظام النيابي الجديد في
مصر (١٠٩)

واستمع الاجتماع بعد ذلك على رد الحكومة على المائة وستون
اقتراحا التي صوت عليها المجلس خلال العامين السابقين .. اجتاحت
المجلس روح جديدة من العزيمة عندما طلب شرح واف لرفض بعض
الاقتراحات التي قدمها .. وفي ثورة حماسه هذه قدم مائة وستين
اقتراحا جديدا هذا العام وحده للحكومة ..

وما بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١٢ سجلت في مضابط المجلس اكثر من
رغبة لزيادة السلطة التشريعية للاعضاء ..

بل وقف الشيخ علي يوسف في ١٤ يونيو ١٩٠٥ ليقتراح ان تعطى
مصر تمثيلا نيابيا حقيقيا وعلى مدى اوسع حتى يمكن الانتفاع بذوي

الخبرات في الفروع العامة الذين لم تنتفع الحكومة بهم ولم تستغلهم الاستغلال الكافي (١١٠) .. وفي ٢ مارس ١٩٠٧ عاد ليشير الموضوع مرة أخرى ويوجه الكلام مباشرة هذه المرة للخديوي عباس حلمي الثاني يطالبه باقامة مجلس نيابي ذا تقع في مصر ، لان المجلس الحالي لم يحظ بالتقدم الدستوري المرجو منه .

وكان رد الحكومة على الشيخ علي يوسف هذه المرة عنيفا .. فقد قيل له وفي احدى الجلسات العلنية ان مشكلة المجلس النيابي لا تناقش في الجمعية ، ولا في الاجتماعات العلنية (١١١)

وذهب وفد من اعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية الى لندن في يوليو ١٩٠٨ ليقدم الى الحكومة الانجليزية برنامجا لاقامة تنظيمات نيابية حقيقية في مصر .. وفي ديسمبر صدق مجلس الشورى بالاجماع على مشروع لاقامة مجلس منتخب لادارة الحياة العامة في مصر ..

وبعد ذلك بقليل ، في فبراير ١٩٠٩ ، صدقت الجمعية العمومية على قائمة بالرغبات اولها قرار مجلس الشورى السابق في ديسمبر .. ومطالبات اخرى دستورية وتشريعية ، من بينها انه يجب دعوة الجمعية العمومية سنويا وليس بين الحين والاخر دون موعد ثابت .. وحق الاعضاء في استعجال اجابات الوزراء على الاسئلة الهامة . (١١٢)

ومن ذلك الحين حتى عام ١٩١٢ كان المجلس النيابي - شبه الدستوري - يكافح للحصول على حقوقه النيابية والدستورية الكاملة .. والمجلسان معا - مجلس الشورى والجمعية العمومية - ولو انهما كانا يمثلان طبقة صغيرة من جماهير الشعب المصري .. وهم

بهذا كانوا يمثلون امتيازاً طبقياً لا شك - إلا أنهم على كل حال أعطوا بعض الأدلة على الثقة بالنفس والذكاء والاصرار بكل قوة على تخطي حدود الاستشارة بل أنهم أثاروا الانتباه إلى اقتراحاتهم ومشوراتهم التي صدرت عن كل من مجلس الشورى والجمعية العمومية لبناء مجلس جديد يتمتع بحقوق أكثر وسلطات أوسع .. وهو المجلس التشريعي •



الجمعية التشريعية

وجه جورست - القنصل البريطاني في مصر من عام ١٩٠٧ الى ١٩١١ - مذكرة هادئة الى الخديوي توفيق على تأييده واتساع صدره للعناصر المضادة للانجليز في مجلس الشورى .. ووصف جورست هؤلاء .. الذين يهاجمون الانجليز بانهم يهتمون الادارة الانجليزية في مصر بالعسف والقسوة ضد الوطنيين - وسماهم جورست المخربون والعناصر الفاسدة - في المجلس النيابي . (١١٣)

ولكن يبدو ان تلك العناصر التي هاجمها جورست القنصل البريطاني قد احرزت في تلك الفترة نجاحا اكيدا في مسعاها لتدعيم الحياة النيابية في مصر بما يحقق تمثيلا نايبا حقيقيا ، ربما يطور العمل الدستوري بمزيد من الشعبية في المجالس المتخصصة .

ففي اول يوليو ١٩١٣ صدر القانون الاساسي وقانون الانتخاب الذي يحدد القوى التي تتكون منها الجمعية التشريعية الجديدة .. فالى جانب الوزراء حدد القانون عدد الاعضاء المنتخبون في الجمعية التشريعية بستة وستين عضوا منتخبا ، بالاضافة الى ١٧ تعينهم الحكومة .. وقد بررت الحكومة تحديد هذا العدد من المعينين ليتمكن تمثيل الطوائف والعقائد التي تتكون منها الاقليات .. كالاقباط الذين خصصت لهم اربعة مقاعد .. والبدو ثلاثة مقاعد .. والتجار اثنان ، والاطباء اثنان ..

والمتفقون اثنان .. والمهندسون واحدا .. والمهتمون بالشؤون الفردية
واحدا ..

ونص القانون الاساسي على ان تختار الحكومة رئيس الجمعية
ونائبه .. وان تكون مدة العضوية للجمعية ست سنوات ، يستبدل
ثلث الاعضاء كل سنتين .. المنتخبون والمعينون .. وقد نقلت هذه
المادة الاخيرة في القانون من لائحة مجلس الشيوخ (السيناتور) في
انولايات المتحدة الامريكية .

أما القانون الاساسي للجمعية التشريعية فقد حقق فعلا مزيدا من
السلطات الدستورية والتشريعية للجمعية فلا يمكن ان تفرض ضرائب
الا بموافقة الجمعية .. وللجمعية نفسها ان تصدر القوانين وتعديل من
الاجراءات الحكومية .. وعلى الجمعية ان تقبل اي مذكرة او مشروع
او اقتراح برغبة من الحكومة فاذا رفضتها . تؤجل الى خمسة عشرة
يوما .. فاذا مرت الايام الخمسة عشرة دون ان يعيد المجلس النظر
فيها ، او حان وقت اجازته . فان الحكومة اما ان ترفض المجلس ، واما
ان تصدر مشروعها كقانون ، على شرط ان تقدم اسباب اتخاذها هذا
الاجراء الى المجلس التالي ..

أما الحقوق المدنية ، وجزية الباب العالي ، والدين العام ، وجميع
الارتباطات مع القوى الاجنبية فلا تناقش في الجمعية .. ويكون اجتماع
الجمعية علنيا وعاما ..

وكان قانون الانتخاب قد حدد الاقتراع غير المباشر كوسيلة لاجراء
الانتخابات .. وسجل حوالي مليونين في قائمة الانتخابات .. كل خمسين
صوتا انتخابيا في سن العشرين لهم الحق في انتخاب عضو يبلغ من
العمر ثلاثين عاما او اكثر .. ويقوم هذا العضو بالاشتراك في انتخاب
اعضاء الجمعية التشريعية .. (١١٤)

أما عضو الجمعية نفسه ، فينبغي ان يكون فوق الخامسة والثلاثين
.. متعلما .. ويدفع ضريبة (١١٥) ومرت الانتخابات في هدوء .. وكان
الاهتمام في هذه المرة اكثر بالجمعية العمومية ، والجمود اقل . وفي يوم
٢٦ اكتوبر ١٩١٣ ، يوم اعلان اول اقتراع سري ، (١١٦) كانت نسبة
الذين ذهبوا الى صناديق الانتخابات ١٥٣٩ / ١٠٠ . الا في القاهرة
فكانت ٦٩٦٩ / ١٠٠ . وفي الاسكندرية ٤٩٨٨ / ١٠٠ . ولقد دل هذا على
ارتياح الفلاحين لقانون الانتخاب الجديد واقبالهم عليه .. ولقد اكد
ذلك ان عدد الاعضاء في هذه الجمعية بلغ ٤٩ عضوا من الفلاحين ..
بينما مجموع اعضاء المجلس هو ٦٦ عضوا .

وظاهرة اخرى تجلت في انتخابات هذه المرة .. فقد خلت نشاطات
المرشحين من البرامج السياسية التي ينوون الدفاع عنها او المطالبة بها
داخل المجلس ، وقصروا جهودهم جميعا على المناورات الانتخابية والفوز
بالعصبيات العائلية (١١٧) .. الا شخص واحد هو سعد زغلول الذي
اعلن برنامج طويل من الاصلاحات اعلن انه سيطالب بتنفيذها داخل
المجلس .. ومن هذه الاصلاحات :

- تصحيح الاختلالات داخل المحاكم
- فرض التعليم لجميع الطبقات
- تشريع قانون لحرية الصحافة
- تشريع قانون يحتم النظافة العامة والاضاءة ورصف الشوارع في
القاهرة
- اصلاح حالة طبقة الفلاحين باعطائهم اسعار اعلى للقطن وغيره من
المنتجات (١١٨)

ولقد ادخل سعد زغلول هذا التقليد على الانتخابات في مصر
واصبحت قاعدة من بعده .. يتبع في كل الانتخابات التالية كما هو
الحال في الاسلوب الاوربي .. واحد فقط من الاعضاء استطاع في
الجلسات الاخيرة من هذه الانتخابات ان يقدم هو الآخر برنامجا وان

يفوز به .. وهو مرقص سميكة بك احد الاقباط المشهورين الذي
اصبح فيما بعد عضو الجمعية التشريعية .. ولكن لم يد نفس
النشاط حول برامجه في المجلس كما فعل سعد زغلول ..

ووقع اختيار محمد سعيد باشا رئيس الوزراء على مظلوم باشا
ليكون رئيسا للمجلس .. ورشح مظلوم باشا سعد زغلول نائبا له ففاز
بالاجماع في الانتخابات التي اجريت حول منصب نائب الرئيس ..
وبدأت دورة هذا المجلس الاولى في اول يناير وانتهت في ١٧ يونيو
١٩١٤ (١١٩)

وقد تناولت الجمعية في هذه الدورة عدة موضوعات ذات المستوى
المعقول بالمناقشات .. مثل انشاء الشركات التعاونية الزراعية لمساعدة
الفلاحين حسب قانون كتشنر المشهور (قانون الخمسة افدنة) لاصلاح
الاراضي البور .. وتنظيم الامتحانات .. وانشاء المدرسة التجارية
العليا .. وتشجيع المسرح المصري .. وتحديد سن الزواج .. وبعض
الموضوعات الاخرى والنصائح والمشورات التي قبلتها الحكومة بكثير
من الترحيب .

وفي مناقشات هذه الدورة ، كان واضحا ان سعد زغلول ومشايحيه
اكثر بروزا وتفوقا من معارضيهم الذين كانوا - سواء المنتخبون او
المعينون - من اصحاب النفوذ والثروة .. وكانت جبهة سعد زغلول من
الصلابة بحيث استطاعت الدفاع عن قضية تأمين وتطوير حقوق الجمعية
التشريعية .. وكانت قادرة على اظهار سخطها وغضبها اذا خالفت
الحكومة رأي المجلس او تجاهلت مشورته .. ولقد كان زغلول وتابعيه
يملكون ناصية المبادرة والاقناع والسيطرة على الوزراء ، بما لسعد
زغلول نفسه من خبرة في الحكومة كوزير سابق ، يعرف نقاط الضعف
ومواطن الخلل في الحكومة .. وله قدرة فذة على استفزاز الوزراء
باسئلته المخرجة واسلوبه الجارح في المناقشة (١٢٠)

ولو ان الجمعية التشريعية كان لها نفس السلطات ونفس الحدود التي كانت لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية السابقة : الا انها كانت اكثر فعالية من زميلتها في التجربة السابقة .. لان عدد المنتخبين الذين يقومون بالتمثيل النيابي فيها اكبر واوضح .. وحيث كان المعينون يمثلون مجموعات صغيرة لم تستطع ان تفعل شيئا حيال المنتخبين .. بل انها لم تستطع في النهاية الا ان تستسلم لهذا التيار الجارف فالتحمت مع اعمال الجماهير وانطوت تحت ادارة المنتخبين الصارمة .. (١٢١)

ففي الوقت الذي كانت فيه مهمة الجمعية التشريعية الرئيسية لا زالت استشارية .. بطريقة او باخرى . فان الجمعية كانت اكثر تفاهما وتجاوبا مع الحكومة ، او كانت الحكومة كذلك مع الجمعية .. ولم ترتطم ارادة الجمعية مع الحكومة ، وان كانت القوانين والنصائح تصدر بموافقة الجانبين ورضاها معا ..

وكما قال جورست الذي وضع دستور الجمعية بناء على طلب كيتشنر ، فان هذا المجلس كان متوقعا منه ان يكون اكثر صلاحية من المجالس السابقة ، وان يكون اكثر تقدما في الطريق الى المزيد من نظام الحكومة الجمهورية . (١٢٢)

وبغض النظر عن المنازعات في المجلس التشريعي .. فان التقدم الذي اشار اليه ماك هايرث في حديثه كان قائما على ما ابداه المجلس من اهتمام بمصالح البلاد (١٢٣)



برلمان ١٩٢٤

لم يدع المجلس ابدا للاجتماع طوال الحرب العالمية الاولى ..
ومنذ نشبت المعارك العسكرية اعلن في مصر الحكم الاداري في ظل
الاحكام العسكرية .. ولم يجد المسؤولون رغبة ولا حاجة للدعوة الى
الدورة .

لم يعطل الدستور رسميا .. ولكن في اكتوبر اجلت الدورة الى
اول يناير ١٩١٥ . (١٢٤) ولم يدع المجلس في التاريخ المحدد .. ولكن
في ابريل ١٩١٥ وجهت الدعوة للاجتماع في اول نوفمبر من نفس
العام . (١٢٥)

ولم يجتمع المجلس في هذا التاريخ ، بل ولم يجتمع في المواعيد
التي حددت بعد ذلك اطلاقا (١٢٦) فقد كان الانجليز ينظرون
بعين الريبة لاعضاء الجمعية التشريعية مثل ما حدث اثناء دعوتهم لمعاينة
وسائل الدفاع عن قناة السويس في اول مارس ١٩١٦ ، وما قالوا هناك
من تعليقات .

ففي هذا الوقت - وفي ظل صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ :
كان بعض السياسيين المصريين المعروفين قد اعلنوا عن رغبتهم في اقامة
برلمان ديمقراطي حقيقي على النمط الذي تمارس به الدول الديمقراطية
حقوقها الدستورية (١٢٨) .. وان الظروف فاضحة لقيام انتخابات
نيابية لمثل هذا البرلمان .

وفي مرسوم ملكي صدر في مارس ١٩٢٢ طلب الملك فؤاد من حكومته ان تصدر مشروعا لنظام دستوري ٠٠٠ وفي اول ابريل من نفس العام عين ثروت باشا رئيس لجنة الوزراء حسين رشدي باشا (١٢٩) ليرأس لجنة لاعداد مشروع الدستور ٠ (١٣٠)

وعملت اللجنة بجد فراجعت دساتير البلدان المختلفة على اساس ان يتم تعديل احد هذه الدساتير بما يتفق بظروف مصر (١٣١) ٠٠ ووقع الاختيار على دستور بلجيكا الذي صدر في ١٨٣٠ كنموذج يحتذى (١٣٢) ٠٠ ولا شك ان السبب الرئيسي في اختيارهم للدستور البلجيكي ان بلجيكا ملكية دستورية مع تأثير فرنسي حديث ٠٠ خصوصا وان الدستور البلجيكي كان قد حقق نجاحا ملموسا في ارساء حياة برلمانية صحيحة ٠ (١٣٣)

وفي النهاية اعدت اللجنة مشروع الدستور ، (١٣٤) واعلن يحيى ابراهيم باشا انتهاءها من عملها ٠٠ (١٣٥) ثم اعلن الدستور الجديد في مرسوم ملكي بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٢٣ ، (١٣٦) وظل قائما حتى الغي بدستور اقل تحررا منه في ٢٢ اكتوبر (١٣٧) ١٩٣٠ ٠٠ واعيد تبويبه مرة ثانية بمرسوم ملكي في ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ ٠٠ وظل هذا الدستور قائما في مصر بعد الحرب العالمية الاولى (١٣٨) حتى ثورة يوليو ١٩٥٢



كان دستور ١٩٢٣ تحقيقا نموذجيا للخريطة الاجتماعية التي وضع في ظلها ٠٠ وضعه اصحاب السلطة من الاثرياء وتحت سيطرة الحكومة وفي ظل نفوذها ٠٠ ولذلك خرج يؤكد التفكير المثالي التقليدي الذي تسيطر فيه الملكية على الحياة النيابية ٠٠

لقد كان الدستور الذي اخرج لمصر في هذه المرحلة صورة لظروف

المواطنين فيها .. اما في شكله العام من تجديد فلم يكن تقليديا بقدر ما كان مجرد موائمة لاختلاف المقاييس في مصر عنها في البلاد التي نقل منها هذا الدستور .. ومن هذه الزاوية بالذات فقد فتح هذا الدستور الباب للتغيير في المستقبل .. وكان كل ما اعطاه في هذه المرحلة هو اتاحة الفرصة للناس للاشتراك في الادارة وفي وضع القوانين ، ومتابعتها . (١٣٩)

كان دستور ١٩٢٣ يضمن ان يكون الجميع سواء امام القانون .. وحقق قدرا من الحماية الفردية والحصانة في الاقامة والعقار ، وحرية في الرأي والاجتماع والنشر (١٤٠) في الصحافة ..

ولما جعل هذا الدستور الجديد الاسلام دينا للامة واللغة العربية لغة رسمية .. فقد نص على ان التعليم اجباري للجنسين (١٤١) . وكانت اخطاء الدستور الرئيسية في اتساع وقوة السلطة التنفيذية، والتي لا بد ان يقابلها في الجانب الاخر ضياع حقوق لافراد (١٤٢).

ولا يمكن انكار ان توزيع السلطات كان متوازيا بين القوى التي تقف في ميدان العمل التشريعي والنيابي .. فكل القوى التشريعية كانت موزعة بين الملك ومعه مجلس وزراء ، ومجلس الشيوخ والنواب حيث تناقش الموضوعات التشريعية بالصراحة والبساطة المتوقعة في مثل هذه الاحوال .. وتخرج من هذه المتوازيات التشريعية قوة تنفيذية تشريعية قوية .. فكل قانون يجب التصويت عليه في كلا من مجلس النواب والشيوخ قبل ان يرفع الى الملك .. والملك هو ممثل الهيئة التنفيذية العليا ويستطيع ان يرفض اي مشروع قانون في خلال شهر من تصويت البرلمان عليه .. فاذا اعاد المجلسين التصويت عليه - بعد مرور هذا الشهر - باصوات ثلثي اعضاء المجلس ، فانه يصبح قانونا ساري المفعول .

والملك يستطيع ان يحل المجلس او يؤجل دورته شهرا .. وفي خلال هذا الشهر تتحول مشروعات القوانين التي كان البرلمان قد صدق عليها الى قوانين ..

ويفتح الملك تلك الدورات بخطاب العرش .. وفي استطاعة كل عضو في المجلس ان يرد عليه .. ويوضع هذا الخطاب بمساعدة وزراء الملك على اساس ان مسؤوليتهم جماعية امام المجلس (١٤٣)

وتبعا للدستور .. فان البرلمان المصري ينقسم الى مجلس شيوخ ومجلس نواب و ٢/٥ مجلس الشيوخ يعينون بواسطة الملك .. ويساعده الوزراء في اختيار هؤلاء المعينين .. اما الباقون من اعضاء مجلس الشيوخ فيتم انتخابهم بالاقتراع العادي .

وفي انتخاب اعضاء مجلس الشيوخ ، فاللياقة الاجتماعية ذات اهمية كبرى تبعا للدخل .. ومدة العضوية في مجلس الشيوخ عشرة اعوام ، يتم تغيير نصفهم كل خمس سنوات .. ويعين الملك رئيس مجلس الشيوخ .. اما نائبي رئيس المجلس فينتخبان .

اما مجلس النواب فينتخب جميع اعضاءه بالاقتراع السري غير المباشر ، على اساس الاصوات العامة .. فكل ٦٠ الف شخص ينتخبون عضوا .. والحد الادنى لللياقة ثلاثون سنة .. ويستمر عضوا لمدة ثلاث سنوات .. وينتخب المجلس رئيسه ونائبي الرئيس .. ولا يمكن ان يؤجل المجلس مرتين في دورة واحدة (١٤٤)

كان جوهر هذا الدستور يكشف بوضوح عما بذلته اللجنة التي عينها الملك من جهد لتبقى سيطرته ونفوذه مفروضان على الحياة النيابية في مصر .. وليظل البرلمان هيئة استشارية ، كما كانت دائما . في المجالس شبه البرلمانية التي رأتها مصر قبل ذلك .. وكان الدليل على ذلك تلك السلطات الواسعة التي اعطيت له في كلا الجانبين ، التنفيذي والتشريعي

.. مع الظروف الكاملة لكي يفرض سياسته وسلطانه على الدولة كلها (١٤٥)

ان القوى التي ارادت ان تعطي الملك كل النفوذ لكي يصبح قوة مضادة للبرلمان . كان من الممكن ان تحقق هدفها هذا لو كان هذا المجلس على ايام محمد علي .. ولقد كان الملك فؤاد فعلا يحب النفاق والتزلف، والرياء كما كان يفعل في المواسم والاعياد ليظهر نفوذه (١٤٦) .. ولكن التاريخ اثبت - في ظروف مثل الظروف التي صدر فيها دستور ١٩٢٣ - ان برلمانا بلا خبرة يمكن ان يكون العوبة في يد ملك ماكر .

ولقد اسرعت كل القوى المتضاربة الى جداول القيد للانتخابات بمجرد اعلان القانون والدعوة للانتخاب (١٤٨) ولو ان الوفد كان قد هاجم الدستور الجديد لضعفه (١٤٨) الا انه رمى بكل ثقله الدعائي في الحملة الانتخابية .

وكان سعد زغلول قد عاد لتوه من منفاه في سيشيل ، فدعى الى اجتماع لجميع الطوائف بلا تمييز بين الوفدين وغير الوفدين .. وفي الخطاب الكبير الذي القاه في ذلك اليوم ، طالب بالاستقلال التام ، وتكلم بصفة الجمع على اساس انه يمثل الامة كلها وهو يهاجم بريطانيا العظمى .. اما المعارضين لسعد فقد هاجمهم بقسوة واتهمهم بالتعاون مع الانجليز وخيانة ابناء جلدتهم ، وعقد مقارنة مفزعة بين ضعف وطنية الاحزاب المعارضة ، وبين روح التضحية والشجاعة في حزب الوفد .

وفي هذا الخطاب مر سعد زغلول على المشكلات الاجتماعية ملقيا كل تبعاتها على حكم الانجليز .. ولقد جعل سعد كل مناوئته تدور حول مهاجمة الاحتلال الانجليزي ، واقناع المستمعين ملتهبي الشعور بان الوفد هو وحده الذي يقف ضد الانجليز ، بينما الاحزاب الاخرى

تتواطأ معهم .. ومثل هذا الخطاب اشعل الحماس الوطني للجماهير
التي تكره الانجليز .. وفي بساطة كلمات سعد زغلول وقوة بيانه جعل
موقف الوفد في الانتخابات المقبلة امر مفروغ منه . (١٤٩)

وفي جو هاديء بدأت الانتخابات .. (١٥٠) وانتهت مهمة الاقتراع
الاول في ٢٧ سبتمبر ١٩٢٣ . وفاز مرشحو مجلس النواب بمقاعدهم في
٢٣ يناير ١٩٢٤ .. (١٥١) بالرغم من الجهود الفائقة التي قام بها مرشحو
الاحزاب الاخرى في الاجتماعات وفي الصحف ، فان فوز الوفد كان
ساحقا .. فقد استطاع الوفد وحده ان يحظى باغلبية ١٨٨ من ٢١٥
مقعدا في مجلس النواب .. (١٥٢) وكما هو العرف النيابي ، طلب
الملك فؤاد من سعد زغلول تشكيل مجلس الوزراء (١٥٣)

وافتح البرلمان الجديد في ١٥ مارس ١٩٢٤ (١٥٤) واستقبلت
الجماهير عربة الملك حول اسوار البرلمان تطالب - الى جانب
الاستقلال - باعطاء المرأة حقها المدني .. كانت روحا جديدة قد
انتفضت في الشعب ..

ومع الاهتمام الشديد الذي انتظر به الناس خطاب العرش ، فلم
يجيء باكثر من التأكيد على ضرورة التفاف الشعب حول عرشه دون
الاشارة لمطالب الاستقلال .. (١٥٥) وفي هدوء غير متوقع ادى الملك
ووزراؤه القسم ، ثم تبعهم اعضاء كلا المجلسين ، بالولاء للدستور (١٥٦)
وفي النصف الثاني من مارس ١٩٢٤ ، كان المجلس بصفة عامة
مشغولا في تحقيق صحة العضوية ، والانتخابات الداخلية في المجلس ،
واعداد الرد على خطاب العرش .. وعندما اذيع خطاب العرش كان
مقبولا من الناحية العامة (١٥٧)

وانهمك اعضاء مجلس النواب في شهر ابريل بانتخابات اللجان
الفرعية ، ثم خاضوا مباشرة مناقشة موضوعات التصدير والاستيراد ،

واسعار البترول ، والتعليم الديني ، وشؤون الافراد ، وتصدير القطن وبنك مصر ، وتعميم زراعة الدخان والهجرة والميزانية .. وفي مايو تناول المجلس مسائل سفر المصريين الى الحجاز بالمناقشة ، الى جانب عدد الضباط المصريين في الجيش المصري وفي السودان ، وعدد المصريين الذين يتعلمون في الخارج وفي الجامعة المصرية .. واستغرقت مناقشة المفاوضات المقبلة بين مصر وانجلترا معظم شهر يونيو ، مع الميزانية ومسألة السودان ، واعفاء كبار الموظفين الانجليز من الحكومة ثم نوقشت في النهاية مشروعات قوانين الميزانية والدين التركي . (١٥٧)

ولم تختلف كثيرا مناقشات مجلس الشيوخ عن تلك التي كانت تجري في مجلس النواب .. ففي ابريل من نفس العام (١٩٢٤) نوقش موضوعي السودان والامية .. وفي الشهر التالي عرض موضوع الحالة المالية السودانية والتعليم الديني ومرتبات اعضاء مجلس الشيوخ التي تحددت في النهاية بمبلغ ٦٠٠ جنيه كما كانت قد تحددت في مجلس النواب .. وفي مايو عقدت عدة جلسات سرية في كلا المجلسين حيث نوقشت المفاوضات المصرية الانجليزية ، واعطي الرأي للتصرف في مكتبة زكي باشا الثمينة والدين التركي ..

وانتهت الدورة الاولى لكلا المجلسين في ١٠ يوليو بخطاب من سعد زغلول ورئيس كلا المجلسين قوبلا بالكثير من الانتباه والاطراء من الاعضاء .. ثم انفض المجلسان الى الاجازة الصيفية .. (١٦٠) وافتتح البرلمان مرة ثانية في ١٢ نوفمبر ١٩٢٤ بحضور الملك فؤاد .. ولم يكن خطاب العرش الذي قرأه زغلول يحوي شيئا هاما (١٦١)

وعندما ارسل اللورد اللنبي الى سعد زغلول مذكرة الحكومة البريطانية للاحتجاج على مقتل السير لي ستاك ، (١٦٢) عقد مجلس النواب جلسة سرية في نفس اليوم (٢٣ نوفمبر ١٩٢٤) ووضع صيغة

مذكرة سلمت في اليوم التالي الى دار الحماية البريطانية .. وفي يوم احتلال القوات الانجليزية لمحطة الجمرک في الاسكندرية استقال سعد زغلول باشا من رئاسة الوزارة ، وحل محله احمد زيور باشا .

وقبل ذلك كان المجلس قد تعطل لمدة شهر على زعم ان تبدأ المفاوضات مع انجلترا .. وارسل اعضاء مجلس النواب احتجاجا طويلا الى عصبة الامم وجميع برلمانات العالم : هاجم فيه تصرفات الانجليز في مصر في ٢٧ نوفمبر بعد مقتل السير لي ستاك . وتبعه مجلس الشيوخ بمذكرة مماثلة الى عصبة الامم ..

وكان هذا هو كل ما استطاعت دورة ١٩٢٤ ان تفعله في تلك الفترة المزدهمة بالاحداث . (١٦٣)

تعود اكثر الموضوعات التي عرضت على برلمان ١٩٢٤ الى مجموعة المثقفين الاعضاء في المجلس ، بالرغم من انهم كانوا اقلية بالنسبة لمثلي المزارعين والفلاحين وغالبيتهم اوريين .. ولا ادل على ذلك من ان تمتلى مناقشات الجلسات في هذه الدورة بموضوع على مستوى عال من الاهمية السياسية وهو العلاقات المصرية الانجليزية في هذا الوقت الحساس في ظروف الوجود الانجليزي في مصر .. والذي لا بد ان تكون معه المناقشة غاية في الحرارة والحدة والجدية .. خصوصا وان الاحزاب كلها كانت تعارض وجود القوات الانجليزية في مصر ، وتطعن حقها في احتلال السودان غير المشروع والذي جعلوا من مقتل السير لي ستاك ذريعة له ... وما كان في قدرة سعد زغلول مهما بلغ من حنكة ان يوقف حملة المعارضة العنيفة ضد انجلترا والتي اتخذت من موضوع الاحتلال الانجليزي فرصة لاطهار عضلاتها السياسية ، واحراجه فسي الوقت نفسه (١٦٤)

على ان اهم الاعمال التي قام بها المجلس في هذا العام (١٩٢٤)

في دورته الاولى ، الى جانب مشكلة الاحتلال الانجليزي العريضة ، هو تحرير مشروع الميزانية ، ووضع الاموال التي تدين بها تركيا مصر في البنك الاهلي المصري لحين انتهاء المفاوضات التي تجري بهذا الشأن .. وبعض التشريعات الخاصة بالتعليم ، وتكوين جمعيات تعاونية زراعية ، وبعض التغيرات البسيطة في قانون المجلس وقانون الانتخابات الذي صدر في ٢٩ يوليو من ذلك العام ، وينص على الانتخاب المباشر لكلا المجلسين ، ويسمح لكل مصري ذكر ان يباشر حقه الانتخابي ما دام يزيد على اثنى عشر عاما لمجلس النواب ، وخمسة وعشرين عاما لمجلس الشيوخ .. (١٦٥)

وقد ظلت شخصية سعد زغلول تسيطر على الحياة السياسية والحياة البرلمانية ، منذ كانت هناك حياة برلمانية في مصر من عام ١٩٢٤ الى عام ١٩٢٧ عندما مات (١٦٦) .. واستمرت معركة السيطرة بين القصر والبرلمان بعد موت سعد زغلول .. وبالمقارنة بين ما فعله برلمان ١٩٢٤ وبين البرلمانات الاخرى المتابعة القصيرة العمر حتى عام ١٩٣٠ . وحتى بعدها ، لا يجد الباحث تفصيلا يذكر .. (١٦٧)

ان تطوير الحياة البرلمانية الدستورية في مصر منذ ١٨٦٦ الى ١٨٨٢ كان ينحصر في ازدياد سلطة هذه البرلمانات ، الامر كان يحدث بالفعل من مجلس الى آخر .. والتقط الاحتلال البريطاني هذه الفرصة السانحة ليقم حياة نيابية على النمط الهندي يساعده في تجربة السيطرة على الحياة السياسية في مصر .. وبدلا من الانتخابات التي كانت اساسا ضروريا لاقامة الحياة النيابية ، كان هناك نظام شبه تعيين وضع جزئيا ليضمن لهم تحقيق خطتهم .

فكانت تجربة مجلس شورى النواب ، اقل عمرا من ان تحرز اي تقدم لاقامة تمثيل نيابي حقيقي .. كما كانت التي قابلت هذه التجارب،

مثل الحرب العالمية . او حركة عرابي الشعبية ، حوادث رأى فيها البريطانيون وسيلة يبرروا بها وقف تطويع هذه المجالس الى الشكل الدستوري المفروض لاقامة نظائره من المجالس الاوربية .

ولقد كان النضال ضد الاحتلال فرصة لبروز عناصر جديدة في الحياة السياسية في مصر . . حقيقة ان النفوذ الانجليزي في مصر قبل عام ١٨٨٢ ، كان اقل من ان يطاول النفوذ الفرنسي والمعارض له ولهذا ظلت العناصر المؤثرة في العمل السياسي في هذه الفترة موزعة بين القصر والبلاط والشعب . . الا ان بعد الاحتلال البريطاني اصبح النفوذ الانجليزي كبيرا وممتدا في مختلف نواحي الحياة اليومية ، وليس الحياة النيابية فقط . . ولا ادل على اتساع هذا النفوذ من ضخامة المقاومة التي هبت ضد الانجليز بعد الحرب العالمية الاولى .

ولقد حاول الاحتلال الانجليزي اوروبية (من اوربية) الفكر السياسي في مصر . . ولا ريب ان محاولة الاوربية هذه ، كانت سببا هاما من اسباب اضمحلال التقاليد التركية ، بينما كان النفوذ الانجليزي والفرنسي يزداد ازدهارا . .

فقد كان مجلس شورى النواب قد تكون على النمط الاوربي ، كما اراده اسماعيل ليحقق به حكم اوتوقراطي ولكن هذه الفكرة سرعان ما تعثرت باقامة مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية في عام ١٨٨٣ ، حيث تعذر البرهنة على تأثير الفكر الاوربي الغربي في المجلس او بين الناس . . وعلى اساس هذه المحاولات وآثارها الواضحة فلا شك ان الدين قد فقد الكثير من اعتباره في هذه المرحلة في اعين الاعضاء في هذه المجالس . . حيث تخضع اسس العمل الى قواعد الموضوعية التي سرت عدواها بين الاعضاء تدريجيا ، والواقعية المبنية على الادراك العام للوطنية السياسية ، في الادارة المصرية ، وفي مناقشة موضوع العلاقات المصرية بالعالم الخارجي .

وعلى كل حال فقد سارت تجربة تغريب (من الغرب) ببطء من حال الى حال حتى حين وجه اليها الاتهام في دس دستور ١٩٢٣ وبرلمان ١٩٢٤ على الفكر السياسي في مصر .. ومع ذلك فان تقدما ملموسا قد تسرب الى حياة الناس ، وليس بين الاغنياء والمقرئين الى السلطة ، بالرغم من انهم استفادوا من هذا التقدم الى اقصى حد في ادارتهم لاعمالهم الخاصة .

وهكذا .. فقد انصب اهتمام الحياة البرلمانية على الزراعة والدين والمشاكل السياسية كسبيل للمصلحة العامة .. اما الشيء الذي نمي ببطء وبغير اهتمام بالرغم من اتساع قاعدة التمثيل ، فهو اهمال مستوى الحياة النيابية ذاتها .



الجمعيات السرية

يصعب على الباحث تسجيل التقييم الحقيقي لتطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر .. وليس من السهل ايضا تتبع الاصول الاولى للحزب السياسية فيها .

على ان القاعدة الاساسية في تكوين المجموعات السياسية في اي بلد وفي اي مجتمع تقوم على اسس ثلاثة : العلاقات الداخلية المتقاربة .. وانتشار التعليم .. والعلم بان من الممكن تحسين الاوضاع : والشك حيال الاجانب .

ولا شك ان البعثات التعليمية التي بدأت في عهد محمد علي الى اوربا ، ونشاط جمعيات التبشير ، ونفوذ العلماء الفرنسيين في الطب والهندسة والفنون العسكرية ، قد تركت آثارها على الناس .. وقد ولد هذا التأثير احساسا عند المثقفين بانه يمكن تطوير الامور وتحسين الاحوال .. الاعتقاد الذي عمقه تكوين مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦ ..

وقد اتخذ المتأدين (الذين تعلموا في اوروبا) من شخصية الخديوي اسماعيل مثلا اعلى للحكم ... وطبيعي فان اول نبض مبهم للشعور السياسي نه في نفوسهم الشك - وربما العداء - تجاه الاجانب الذين كانوا يعتبرون متدخلين في شؤونهم الداخلية في مصر .

وقد فسرت القنصلية البريطانية هذا الشعور تجاه الاجانب من طبقات غير المتعلمين في تقرير سجلته عام ١٨٧٣ قالت فيه ان هذا الشعور يعود الى سبين رئيسيين هما الدين والاقتصاد .. والاول يتركز في اتهام الشعب القبطي للطبقات الغنية المسلمة بتهاونها حيال النفوذ الاجنبي الاوربي .. (١٦٨) والثاني ينبع من آثار مستوى الحياة المرتفع على الطبقات الفقيرة وفقدانها الكثير من مطالبها الحياتية نتيجة للضرائب التي يفرضها الخديوي لیسد مطالب المالىين الاوربيين . (١٦٩)

عامل آخر ساعد في تحقيق عدم الاستقرار في عهد اسماعيل ، هو تطور الصحافة .. فبالرغم من الصعوبات الفنية التي كانت تواجهها الصحافة - مثل الكتابة والطباعة التي كانت باليد والبرقيات النادرة فان الصحافة لاقت رواجاً ملموساً .. وكانت الطباعات المصادرة تلقى اقبالا وتنتقل الطباعات المصادرة من يد الى يد في سرعة وفهم وادراك عميق لما بين السطور .. (١٧٠) وقام السوريون بدور كبير فعال في تقديم الثقافة الغربية الى الجماهير في عهد اسماعيل ، فساهموا مساهمة كبرى في التقدم الثقافي والصحفي في هذه المرحلة . (١٧١)

وعندما قدمت بعض العناصر الساخطة عددا من الجرائد النشطة نالت اعجاب القراء وتأييدهم ... ارادت الحكومة ان تقدم عملاً مضاداً فبدأت في اصدار جريدة اسمها Le nouvel Argus .. ولكنها لم تستطع اجبار المحررين والصحفيين للعمل فيها فأوقفت المشروع . وبعد عام فوجئت حكومة الخديوي بجريدة سرية فكاهية تطبع باللغة الفرنسية تحت اسم al ciocodil وتوزع بطريقة غير معلومة ، وشخصيات كتابها ومحرريها مجهولة ايضاً .. ثم تبعتها جرائد ومجلات اخرى على نفس الطريق ابرزها « ابو نضارة » والقاهري في السابعة عشرة ..

عندما زار فالنتين كيرول القاهرة في عام ١٨٧٦/٧٧ وقدمه مدرس

اللغة العربية الى بعض صغار المثقفين المصريين ، لاحظ الرسام الكاتب
نعمة السخط في مناقشات المصريين ضد النفوذ الاجنبي في مصر .. (١٧٤)
وقد تبين ان نفس عدم الرضا كان منتشرا ضد الاوربيين في عام
٧٨/١٨٧٧ في المدن والقرى في الصعيد وفي الجيش .. وسجلت هذه
الملاحظات القنصلية البريطانية في ذلك الوقت . (١٧٥)

وظاهره السخط هذه ، كانت ولا شك النواة التي تجمعت حولها
الجمعيات السرية ، التي كانت بدورها مقدمات للاحزاب السياسية في
مصر .. ولغاية عهد اسماعيل لم تكن هناك احزاب بالمعنى المفهوم ..
وكان الذين يعملون في الفلك السياسي حول القصر مجرد مجموعات
تتصل بشخص او باخر في القصر ، وتخدم اغراضها الخاصة فقط ..

ولكن الجمعيات السرية استطاعت ان تهيء الاساس الذي تقوم
عليه الاحزاب السياسية ، بتقديم شكل من التنظيم والمبادئ الهادفة
لاسس الحياة العامة .. ولم تكن لهم اتصالات ما بشخصيات القصر ..

والجمعيات السرية كانت مفهوم جديد على العالم الاسلامي
.. (١٧٦) ومثل هذه الاحوال في الشرق الاوسط فان هذه المسائل
الدقيقة والهامة لا تسجل .. واذا سجلت فانها تدمر فور وقوع الخطر ..
ولهذا فان ادلة تكوين هذه المؤسسات السرية ضاعت .. كما ان مصادر
تكوينها غير معروفة ومفقودة ايضا . (١٧٧)

ولكن يمكن العثور على بعض آثار للجمعيات السرية .. والذين
تقصوا هذا الجانب من العمل السياسي وقرأوا عنه في الادب الاوربي ،
لا شك انهم وجدوا آثاره في اوامر الدراويش او جمعيات الاخوان
المسلمين .. (١٧٨) وهناك بعض الدلالات على ان نوع من الجمعيات
السرية قد انشئ في عهد سعيد .. ولا شك ان هذه الجمعيات السرية
قد تكونت تحت سيطرة المسلمين الهنود الذين كانوا يتعلمون في الازهر في

ذلك الحين ، وبواسطة محمد السنوسي الذي تلقى تعليمه هناك ايام شبابه .. (١٧٩) وعلى اي حال فان كل الجمعيات والحركات كانت جميعها ملهمة من الازهر ، ولهذا كانت شخصيتها وسمتها جميعا دينية (١٨٠)

أما الجمعية السرية لضباط الجيش ، وهي التي كانت نواة التكوين في المستقبل للحزب الوطني .. فقد كانت تعكس السخط من التهاون الديني ، والهبوط الاقتصادي ، والفوارق الاجتماعية .. ولكن بداية تكوينها غير معلومة .. اما العلاقات التي تشير الى انها بدأت في عهد سعيد ، (١٨١) فلم تثبت بعد .. وقد تكون بدأت في اوائل وسط السبعينات في القرن الثامن عشر .. والمعلومات المؤكدة الوحيدة ، هي انها تطورت في عام ١٨٧٦ .

انشئت الجمعية بعلي الروبي واحمد عرابي . واشترك فيها مباشرة مع علي فهمي وعبد الله .. ولم يعرف بعد من الذي أفشى سر تشكيلها واسماء اعضائها لعلي مبارك باشا وزير المعارف وصاحب كتاب الخطط التوفيقية .. وعلى كل حال فقد كشف سرها للخديوي اسماعيل الذي قدر اهميتها وظل يحاول استمالتها اليه الى آخر عهده .. ومن المظنون انه اراد ان يستغل الجمعية ضد النفوذ الاوربي في عام ١٨٧٩ .. (١٨٣) ومن الاشياء المهمة ان الجمعية قررت بعد تغييرها الى حزب سياسي لها برنامجها الخاص ان تحتفظ بطابع السرية فيها ، بان تظل اجتماعاتها سرية ، وليلا (١٨٤)

ومن المعقول ان الحركة التي تطورت من جمعية سرية لضباط الجيش ، الى حزب وطني ، لا بد قد روقبت - او على الاقل غني بها - شخص عالي المركز ، متعلم .. وهذا أقل ما يقال عن تفسير تطورها وقد اهتم قليلا ارشيف وزارة الخارجية البريطانية باسباب هذا التطوير .. او بهذه الشخصية بالذات ..

ان اسم هذه الشخصية حليم باشا .. وكان آخر ابناء محمد علي
الذين عاشوا .. ذكي ومثقف فرنسي .. وكان المفروض ان يتولى
الحكم بعد اسماعيل باشا ، لولا تغيير جوهري اجراه السلطان التركي
في قانون الوراثة بان يتولى اكبر ابناء الخديوي الحكم بدلا من اكبر
ابناء محمد علي بعد موت الخديوي .

وطبعا كان حليم حريصا على الا تظهر اطماعه في عرش الخديوي
بسرعة .. وكان يتظاهر برضاه بمركزه كبيل مثقف وبمواطنيته المصرية
بشكل عام .. وكان شريف باشا سكرتيره منذ عام ١٨٥٢ .. (١٨٥)
وكانت ثقافته العسكرية في سانت سير قد اكسبته احترامه للعسكريين
والعسكرية .. (١٨٦)

ولم يكن هناك شك بعد تغيير فرمان لخط سير الوراثة في اسرة
محمد علي ، ان يتوقع الناس ما حدث من كولنيل ستاتون القنصل
الانجليزي العام الذي كتب تقريرا اكد فيه ان حليم قد وجدت معه
منشورات ذات صيغة ثورية .. (١٨٧) وبالطبع انكر حليم الامر كله ،
وظل يشكو دائما بعد ذلك من اضطهاد اسماعيل له .. (١٨٨) وفي نهاية
عام ١٨٦٨ اتهم حليم بالتمرد بالرغم من افكاره السابق ونفي من
مصر (١٨٩)

وكان المنشور غريبا جدا .. فهو خطاب وجد بين اوراق كولنيل
اوريل وبه معلومات عن الاسلحة والنخائر اللازمة لمشروع عسكري
لثورة ضد اسماعيل .. (١٩٠) ولا شك ان مثل هذا الخطاب وثيقة
ليست مؤكدة ، وربما كانت مدسوسة من احدى الجمعيات السرية كما
يبدو من نهجتها السطحية .. ولو كانوا عثروا عليها بطريق الصدفة كما
قالوا ، لكن من الممكن ان تعطي دليلا اكثر تأكيدا على اشتراك حليم
في المؤامرة ، ولاصحت محاكمته مضمونة .. ولقد كانت اخلاقيات

حليم المعروفة عنه في المجالات الكثيرة التي ينشط فيها تنفي تماما اي تهمة حوله .

ولقد ساد الشعور يومئذ بان اتهام حليم كان احد المكائد التي يتقن اسماعيل تديرها .

اذ ان اسماعيل كان ملوئا بالشعور بان وجود حليم في القاهرة مصدرا للخطر ويرغب في نفيه الى ابعد مكان وبأي وسيلة ممكنة وان كان شعور اسماعيل هذا يؤكد براءة حليم من تهمة الخطاب المعروفة .
الا انها في نفس الوقت تثبت ان حليم كان على اتصال بعرايبي وزملائه .
— ولو انه لم يوجد بعد دليل على ذلك .

ولا شك ان هناك اكثر من سبب لان تخرج جمعية الضباط الى العلن في عام ١٨٧٦ . ففي نفس العام كتب ستاتون تقريرا عن الشعبية الكبيرة لحليم بين قبائل البدو . واستمرت مكيدة حليم في عام ١٨٧٧ . وفي السنوات التالية كتب حليم وطبع خطابا ارسله الى الخديوي يعرض عليه مشروعا للاصلاح الاقتصادي على اسس حديثة اوربية . وعندما اصبحت جمعية الضباط علنية في عام ١٨٧٩ ، اصبحت صلتها بحليم واضحة . (١٩٨)

وايضا ، كان حليم على صلة وثيقة بالماسونية في القاهرة وفي اسطنبول . وكان سببا كبيرا في التنظيم الماسوني منذ عام ١٨٦٧ حتى نفيه في عام ١٨٦٨ ، (١٩٩) ولعب دورا هاما في الماسونية المصرية اكثر من جمال الدين الافغاني .

كافح الافغاني من اجل القيم الاسلامية في مصر خلال السبعينات في القرن الثامن عشر . وقد اهتم بشخصيته المبهرة تلاميذه الرغبة في الحد من النفوذ الاجنبي على العالم الاسلامي ، باعادة الاعتبار الى الاسلام بتكوين اتحاد اسلامي شعبي تحت قيادة حكومة دستورية (٢٠٠)

وتجمع في مجلسه الكثيرون ممن اعجبهم منهجه في التفكير من الضباط والكتاب (٢٠١)، والكثيرون من طلبة الازهر والشباب الذين تتلمذوا عليه .. وقد حاول دائما ان يدفعهم للمطالبة بحكومة اكثر حرية (٢٠٢)

واعجب بالافغاني كثير من الصحفيين الشبان .. بالرغم من انه ليس صحفيا ، الا انه كان قادرا على ان يستثير اهتمامهم للكتابة عن احوال الشرق الادنى .. كما حفز الكثيرين من الكتاب لينشطوا فوق صفحات المجلات والجرائد العربية .. منهم جورج صنوع واديب اسحاق اللذين كانا من تلاميذه وغيرهما كثيرون تأثروا بمبادئه دون ان يروه .. (٢٠٣) وبما نشره الافغاني بنفسه او بواسطة الاخرين هيا الارض لخروج الحزب الوطني وعبأ الشعور لقيام ثورة عرابي (٢٠٤)

كما استطاع الافغاني ان يكرس الجمعية الماسونية المصرية لخدمة الحزب الوطني في خطواته الاولى .. واذا كانت سرية طقوس الجمعية الماسونية تقف حائلا دون معرفة الجهد الحقيقي الذي قام به الافغاني في هذا المضمار والشيء الذي يمكن اثباته هو ان الافغاني حينما ترأس الجمعية العمومية الماسونية في الاعوام من ١٨٧٦ الى ١٨٧٩ كان يحظى بعون كبير من الماسونيين الايطاليين في مصر .. (٢٠٥) كما تم التوجيه لمناقشة موضوع كوكب الشرق الذي كان محل مناقشة المجمع العام (٢٠٦) في انجلترا بناء على نصيحة غير رسمية للقنصل البريطاني (٢٠٧) رالف بروج الذي كان يشغل منصبا كبيرا في المحفل الماسوني .. (٢٠٨)

وكان المجمع يضم حوالي ثلثمائة عضو مع كثير من الشخصيات القيادية في مصر مثل محمد عبده (٢٠٩) وجميل صنوع (٢١٠) وعبد السلام المويلحي (والذي اصبح بعد قليل واحدا من اكبر المكافحين عن الحقوق العامة في مجلس شورى النواب) (٢١١) وسعد زغلول ،

وصحفيين امثال اديب اسحاق ، وابراهيم اللقاني ، وسليم النقاش ،
اعضاء مجلس شوري النواب .. (٢١٢) وبعض الضباط امثال لطيف
سالم ، وسعيد نصر وآخرين .

وتأثير الافغاني على المجمع الماسوني في مصر لا يمكن حصره ..
ولكنه على اي حال ترك آثارا هامة في اعضاءه لشخصيته
وآرائه ، كتلك التي تركها على المصريين في كل مكان .. (٢١٣) ولا شك
ان هذا كان السبب في الحقد الذي دفع بعض ذوي النفوذ السري داخل
المحفل نفسه لمحاربته .. (٢١٤)

ولقد ظلت الماسونية تعيش في مصر لسنوات عدة .. (٢١٥)
ولكنها لم تلعب اي دور هام في الحياة السياسية في مصر .. ولا يمكن
ان يكون لاستقبالهم الحياة الثورية في مصر اي تأثير في ايام عرابي ..
ولكن لا شك ان سريتهم كانت مسرحا خصبا لخدمة اهداف الحزب
الوطني . (٢١٦)



القِسْمُ الثَّانِي
الأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ

الحزب الوطني

من الصعب تحديد التيارات الاساسية التي اوجت الى الضباط بتكوين الحزب الوطني ، الذي عاش بعد ذلك نصف سري ونصف علني .. هناك حقائق كثيرة يمكن بسطها لاثبات هذا التطور .. ولكنها لا يمكن ان تكون قرائن اثبات .

ففي اوائل عام ١٨٧٦ اشار كوكسون Coockson القنصل البريطاني في احد تقاريره الى وجود عدااء ضد الاجانب والحكومة ينتشر في مصر .. (٢١٧) وبمرور الوقت نما هذا العدااء وازداد بتعيين المشرفان الماليان (١٨٧٦) ، وارسال لجنة التحقيق (١٨٧٨) وبدرجة اقل لقيام البرلمان (١٨٧٨) كنتيجة للحرب التركية الروسية .

كان الغضب من الاساليب الاقتصادية والسياسية التي يعمل بواسطتها الاجانب في مصر قد وصل الى عامة الشعب ، بوصول الرسميان الاوريان اللذان ملأا اكبر منصبين في البلد واكبرهما مرتبا .. ولا شك ان كون هذين الرسميين كانا مسيحيين قد جعلهما اكثر كرها .

وزاد بؤس الناس بفيضان النيل عام ١٨٧٧ ، الذي اثر في ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية في الاعوام التالية فضلا عن ازدياد الضرائب .. وكان اسماعيل هو المألوم والمتهم في اغلب الاحيان .. وبالرغم من سلبية

الفلاحين ، فان عدوى كراهية الحكومة انتقلت اليهم واثفجرت
الاتهامات ضده .

اما المثقفون المتهمون بالوعي الدستوري الاوربي فقد كرهوا حكم
اسماعيل الفردي . . وتجلت هذه الكراهية في معارضة سلطاته في عام
١٨٧٦ . . ثم في ثورة الجمعية العمومية اثناء بحث سوء تصرفه المالي . .
كل هذه الحقائق المتلاحقة قضت على سلطان الحكم في هذه المرحلة ،
وشدت انتباه الشعب الى السياسة (٢١٨)

وجسد هذا السخط عدم دفع مرتبات الجيش المصري بعد فشل
حملة الحبشة . . وكان الضباط المصريين الذين كونوا الجمعية السرية
ساخطين على الحالة في مصر . . ولكن واقعة حملة الحبشة ، بالاضافة
الى الامتيازات المعطاة للضباط من سلالة الاتراك والبراكسة ، الذين
لم تخفض مرتباتهم مثل باقي الضباط حينما اصدر توفيق فرمانا بتخفيض
مرتبات الجيش من ٤٥ الف الى ١٨ الفا فقط . . فجر سخطهم الكامن
وان يخوضوا معركة مع المراكز التركية العليا في الجيش . . وان تنتقل
عدوى هذا الصراع من داخل الجيش الى خارجه ، الى الطبقات التركية
بما فيها من الاثرياء الاتراك المقربون والمرتبون بالعائلة الخديوية ،
ومؤيديهم واعوانهم من الاغنياء المصريين اصحاب الاملاك . (٢١٩)

بالرغم من ازدياد المؤيدين لحركة الضباط . . وبالرغم من بعض
الاتصارات السياسية التي احرزوها ، فقد كانوا يخافون ان يعتقلوا او
يحاكموا (٢٢٠) . . وشيء آخر اخاف الضباط هو انتشار الجمعيات
والتنظيمات السرية التي يمكن ان تلقي عليهم ظلا من الشك . . مثل
الجمعية غير السرية التي عثر عليها عبدالله النديم في عام ١٨٧٩ والتي
كانت تسمى الجمعية الخيرية الاسلامية ، وكان يعمل فيها اثنين من
اصدقائه هما محمد امين رئيس كتبة محكمة اسبوط ، ومحمود واصف
الذي يعمل محررا بالعدل (٢٢١)

وكانت الصحافة ايضا من جانبها لا تألوا جهدا في مطالبة الضباط
بانشاء الحزب الوطني .. فقد شجعت حرية النشر في اواخر عهد
اسماعيل وبداية عهد توفيق الصحافة على المطالبة بالحریات ، وضمننا
حرية تكوين الاحزاب ، وعلى رأسها الحزب الوطني .. واصدر جميل
صنوع اليهودي المصري جريدة تحت رعاية جمال الدين الافغاني ومحمد
عبده اسمها « ابو نضارة » دأبت على نقد سياسة الخديوي والحكومة
بشكل حاد (٢٢٢)

واندفع المسيحيون السوريون يمدون الصحافة بخبرتهم ويلعبون
دورا هاما في تطويرها ورفع مستواها (٢٢٣) .. وكانت ثقة الضباط
المصريين ومجموعة ثورة عرابي قد دفعتهم الى ان يتعاونوا مع الكثير
من الصحفيين ، بل وان يجذبوهم من العمل الصحفي الى ميدان
السياسة ليساهموا معهم في تطوير مبادئهم السياسية الى الاحسن (٢٢٤)
فقد استطاع اديب اسحاق بمعونة الضباط المصريين ان يستمر في
اصدار مجلته القاھري في باريس (٢٢٥) وفي مصر نفسها اصبح عبدالله
النديم الصحفي الملهم احد المعروفين كمكافح ومن قواد الثورة
العراية (٢٢٦)

هناك ثلاثة استنتاجات لقيام الوعي الوطني في مصر ..
اولها : الحركة الافغانية لاعادة بناء الاسلام وقد اصبحت دافعا
في المؤخرة بنفي قوادها من مصر ..

والثاني : الحركة التي قام بها شريف باشا لوضع الدستور ، وقد
ايقظتها الاوتوقراطية الاسماعيلية والتوفيقية

والثالث : الحركة الوحيدة النقدية التأثير بقيادة الضباط المصريين
والتي بقيت مع المصريين لآخر انفاسها تحاول بكل جهودها قيادة مصر
للاستقلال من التدخل الاجنبي (٢٢٧)

ففي عام ١٨٧٩ كون الضباط جمعية لمقاومة النفوذ الاجنبي
وسموها الحزب الوطني (٢٢٨)

وعرف بوجود هذا الحزب ، ولكن اعضاؤه بقيت اسماؤهم سرا ..
والى جانب الضباط المصريين انضمت قيادات دينية مثل السيد البكري
وبعض الشخصيات الكبيرة مثل اسماعيل راغب باشا (الذي كان
رئيسا لمجلس شورى النواب ووزيرا سابقا) .. وسلطان باشا (رئيس
ذلك المجلس مستقبلا) .. والمديرين مثل سليمان ابازله باشا (الشرقية) ،
وحسن الشريعي (المنيا) ، والاثنان عضوان بارزان في المجلس .
وآخرين مثل شريف باشا ، وعمر لطفي باشا لم يكونوا اعضاء بها ولكن
لهم اتصالا به فقط .. وكان رئيس الحزب حلیم (٢٣٠)

ويجب ان يظل ثابتا في الذهن ان الحزب لم يكن منظما ، ولهذا
كانت كل ارتباطاته شخصية ، وظلت العضوية فيه غير ثابتة او مؤكدة ..
لأنها غير مسجلة .. فقد كان بيان ١٣ ابريل ١٨٧٩ الذي صدر عنه
يتحدث عن انشاء جمعية او جماعة (٢٣١) .. واكد بالتحقيق ان العضوية
ليست ممكنة .

وقد اعلن عن هذه الجمعية او الجماعة بمناسبة نشر برنامج تحت
عنوان اللائحة الوطنية الذي انتهى من وضعها اقواد الجمعية في ١٢
ابريل ١٨٧٩ (١٠ ربيع ثاني ١٢٩٢ ،) ، في بيت اسماعيل راغب باشا ،
بحضور شريف باشا ، وشاهين باشا ، وحسن راسم باشا ، وجعفر
باشا ، والسيد البكري والشيخ الخلفاوي والشيخ العدوي .. وان
هؤلاء جميعا وافقوا على البرنامج الذي كان يناقش اساسا المشكلة
المالية والدستورية .

ولقد كان الجزء المالي من اللائحة الوطنية يعارض مشروع
ريفيرز ويلسون (٢٣٢) الذي كان يرمي الى اعلان

افلاس مصر .. وقد اعتقد موقعوا اللائحة الوطنية ان الدخل المصري قادر على موازنة مصروفاتها وسد ارتباطاتها العامة .. وكان الفصل الثاني يطالب بتعديل دستور مجلس شورى النواب ، وانه يجب ان يكون على نمط الحياة البرلمانية الاوربية مع النص على مسؤولية الوزراء . (٢٣٣)

ورفعت صورة من البرنامج الى الخديوي الذي ابدى موافقته على خطوطها ، وأمر بترجمتها ونشرها ، وارسال صور منها الى قناصل الدول الاجنبية .. وعزل ابنه توفيق من رئاسة الوزارة وعين شريف باشا بدلا منه ، واعلن قراره هذا في اجتماع حضره قناصل الدول الاجنبية وبعض الشخصيات البارزة من الموقعين على البيان (٢٣٤)

وكانت الاهمية الرئيسية في البرنامج ، انه قدم اقتراحات معقولة للخطة المالية والاصلاح الدستوري بما يخدم الصالح المصري العام . وهو يأخذ في اعتباره الارتباطات المالية المصرية مع الدول الاجنبية .. وكان هذا الحرص على مراعاة الديون المصرية للممولين الاوربيين قد وضع تحت تأثير شخصيات معتدلة في الجماعة التي اعدت البيان مثل : اسماعيل راغب باشا وشاهين باشا ، والمعروف صلتهم بالخديوي .. ولا شك انهم لم يشتركوا في وضع هذا البيان الا بعد تأكدهم من استعداد الخديوي للموافقة على مثل هذا البرنامج .. بل ومن المحتمل ان يكون الخديوي قد اطلع على مسودة البرنامج قبل صدوره في شكله النهائي ..

وعلى اي حال .. فقد كان البرنامج يعمل لصالح الخديوي قبل اي انسان آخر في مصر .. فهو على الاقل يمثل الطريق الدستوري السليم لتخليصه من الوزراء الذين يشرفون على شؤونه المالية ونظام حكومته المحجب اليه .

وفي احصائية للمركز الاجتماعي عن الموقعين على البرنامج ، سجل

انهم كانوا ٣٢٧ توقيعا تنقسم كالآتي : (٢٣٥)

٩٣ ضابطا بنسبة ٢٨٤٤ ٪

٧٢ رسميا بنسبة ٢٢٠٢ ٪

٦٠ عضو بمجلس النواب بنسبة ١٨٣٥ ٪

٦٠ عضوا بمجلس النواب بنسبة ١٨٣٥ ٪

٤٢ اعيان وتجار بنسبة ١٢٨٤ ٪

كان الموقعون على البرنامج من مختلف المراتب في الحياة الاجتماعية .. شيء واحد عام كان يجمع بينهم ، هو انهم كانوا على درجة من الثقافة .. وكان الضباط اغلبية فيهم ، وكان امر طبيعي .. فازدياد قوة الضباط وازدياد نفوذهم كان قد اصبح ملموسا في هذا الوقت ، حيث كانت مظاهر الثورة قد بدأت تظهر ، وبدأ انهم صانعوا المستقبل القريب .. وكان الضباط على كل حال يحملون ضغينة للوزارة .

اما وجود المدنيين العاملين بين الموقعين فيمكن تفسيره بانه تعبير عن السخط على عزلهم بعيدا عن عملية البناء الاقتصادي في الداخل الحكومي .. ومن المدهش ان يكون ستون عضوا من مجلس شورى القوانين بين الموقعين .. وبالرغم من انهم كانوا يمثلون ١٨ ٪ من الموقعين .. فقد كانوا في الواقع ٨٠ ٪ من جميع اعضاء المجلس الذي كان عدده في ذلك الوقت ٧٥ عضوا .. وهذا مرة ثانية يشير الى ازدياد المعارضة للخديوي ووزرائه بين الاعضاء البارزين في مجلس ١٨٧٩ . وكان التمثيل الديني عاما .. وان كان هناك بين الممثلين الدينيين زعماء مسيحيين ويهود ، فان المسلمين كانوا اغلبية .. وهذا يثبت ان العداء الديني للاجانب قام بدور فعال في المقاومة المذهبية المبكرة للتدخل والسيطرة الاجنبية .. اما التجار فجاء دورهم في آخر القائمة لان اغلب العاملين في ميدان التجارة في مصر في ذلك الوقت كان من الاجانب ، خصوصا اليونانيون والمالطيون .

ولم تكن الارستقراطية ممثلة اطلاقا ، بصرف النظر عن وجود شريف باشا او اسماعيل راغب باشا .. فقد كانت الغالبية من الطبقة الارستقراطية من الاتراك والشراكسة وتعيش مركزة حول الخديوي وبلاطه .. وكان من المتوقع ان يوجد فلاحين بين الموقعين .. ولكن سلبية الفلاحين وتجمدهم السياسي في هذه الفترة منعهم من المشاركة في هذه الابتفاضة السياسية .. وان كان يمكن اعتبارهم ممثلين الى درجة ما في شخص الضباط المصريين واعضاء مجلس الشورى والاعيان الريفيين .

بعزل الخديوي اسماعيل بعد ذلك بقليل دب الخلاف بين اعضاء الحزب .. ربما لم يكن الضباط ينظرون الى مركز شريف باشا بكثير من الارتياح .. وربما كانوا يتعاملون معهم في هذه المرحلة ليحموهم من غضب الخديوي فقط .. اما وقد عزل الخديوي ، فقد ترك هؤلاء اماكنهم في الحزب ، وعاد الضباط ينفردون بادارة الحزب .. وعادوا الى سريرتهم مرة ثانية .. وان ظلت بعض العناصر المدنية بين اعضاء الحزب تؤيد الحزب وتدعمه ، ولكن دون اشتراك فعال في نشاطه كما كان الحال اولا .

وفي هذه الظروف وضع بيان الحزب الوطني المصري في ٤ نوفمبر ١٨٧٩ ونشر بعد ذلك بقليل .. ولان البيان كان موقعا باسم « علي الروبي » فمن الصعب الحدس باسم واضعيه الحقيقيين .. ولكن على ضوء شهادة جون نينيت السويسري الذي حضر اعداد البيان وترجمه الى الفرنسية فيما بعد (٢٣٦) .. فالى جانب مجموعة الضباط ومؤيديهم البارز سامي البارودي باشا ، كان هناك اناس مثل سلطان باشا ، وشريف باشا ، وعمر لطفي باشا ، واسماعيل يسري باشا ، ساعدوا في كتابة المسودة لهذا البيان .. والثلاثة الاخرين كانوا مقررين الى الخديوي وبلاطه .

وكان البيان طويلا ٠٠ (٢٣٧) وقد كشف ان اسماعيل عندما ووجه بالعزل طلب معونة الحزب الوطني ، ولكن كان قد فات الاوان ٠٠ ثم اعلن البيان بعد ذلك تكوين الحزب الوطني المصري ، وهدفه انقاذ مصر من الافلاس ٠٠ وبعد ان اكد حق المصريين جميعا في الحرية شدد على اهمية اصلاح وتنظيم التعليم ٠٠ وان الحزب الوطني - وليس الخديوي الذي يحكم بالقوى الاجنبية - سيحرر مصر من الدين العام ٠٠ وندد البيان بالاتصالات الاجنبية مستكبرا تدخل الاجانب في الادارة المصرية ، مطالبا بأن يكون الاتصال الاجنبي استشاري فقط ، مع الاعتبار بان الحزب يثق في النوايا الحسنة .

ثم اعلن البيان في النهاية ان واضعي هذا البرنامج من اعضاء الحزب يستعدون للظهور علنا تحميم الحصانة الدبلوماسية ٠٠ وان الديون ستدفع ٠٠ ولكن الاملاك المصرية لن تمس او ترهن .

وكان الجزء المالي من برنامج الحزب الوطني يتضمن اربع نقاط :
١ - الرجوع على الخزائن الخديوية لكل املاكه ، ما عدا الخزينة الخاصة .

٢ - عودة دخل السكة الحديد الى الخزينة المصرية

٣ - تجميد ديون مصر لغاية ٤٠ ٪ ، على ان تعطى تعويضات لاصحاب الحق فيها .

٤ - تكوين لجنة مؤقتة من ثلاثة اعضاء تمثل القوى الدولية للدين ، وعلى ان تكون اتصالاتهم بالحكومة محددة باتفاق وبدون الحاجة لمراجعة برنامج الحزب ، فانه كان يتضمن رغبة المصريين العامة في الاستقلال الذاتي ، ولقد ابدت هذه الرغبة القوية في محاولة دفع الدين المصري الذي لم يستطع الدائنون الاتفاق عليه ٠٠ في الوقت الذي يهدف احد بنوده الرئيسية الى العودة الى مصر في تأمين صرف القروض

.. وحتى هذه اللحظة لم يكن قد تم اي اتفاق حول المسائل المالية ..
وكان البيان هو اول بادرة ثقة في النفس تعبر عن مصر .. وتصدر من
الحزب نفسه ..

وفي ديسمبر ١٨٨١ وضع ولفريد سكاون بلنت الانجليزى صديق الحزب
الوطني والمقرب الى زعمائه ملخصاً لأفكار واتجاهات الضباط والعلماء الذين
يرأسون الحركة ، وراجعهم محمد عبده وسليمان ابازة ومحمود سامي البارودي ..
ثم عرض بلنت ملخصه بعد المراجعة على سير ادوار ماليت القنصل البريطانى
العام في مصر ، الذي أرسل نسخة الى جلاستون ، واخرى الى جريدة
التيمرز .

وكانت النقاط الاساسية في البرنامج هي :

١ - ان الحزب الوطني سيظل يحترم مكانة السلطان طالما توجد
الامبراطورية العثمانية .. ولكنه سيقاوم اي محاولة للعودة بمصر الى
عصر الباشوات الاتراك .

٢ - سيبقى الحزب على ولائه للخديوي توفيق طالما يرعى العدل
ويحافظ على وعوده التي اعطاها في سبتمبر ١٨٨١ .

٣ - يوافق الحزب على الاتفاق المالي والديون المصرية مع مراعاة
بان هناك عدة تعديلات واصلاحات يمكن اجرائها بدون عنف - يجب ان
تتم في التصرفات والاجراءات الاجنبية .

٤ - ان الحزب الوطني قد وضع كل آماله بين يدي الجيش المصري
الذي خفض الى ١٨ الف منذ ان قرر حماية مصالحه ضد طبقة الحكام
من سلالة الاوتوقراطية .

٥ - الحزب الوطني حزب سياسي وليس حزب ديني .. وبالرغم
من ان دينه الاسلام ، فهو يحمي الاقباط واليهود ، ويعتبر الجميع سواء
سياسيا وامام القانون .

٦ - الحزب يرغب في اعادة بناء البلاد معنويا وثقافيا بتوظيف
مصادره الخاصة ، عن طريق احترام القانون ونشر التعليم والتمسك
بالحرية السياسية (٢٣٨)

وبذلك ، كان برنامج الحزب الوطني لعام ١٨٨١ مختلفا بعض الشيء عن برنامجه الذي اعلنه في عام ١٨٧٩ .. فان هذا الاخير كان موجها اولا الى الشعب .. ، وباللغة العربية وترجم فيما بعد .. بينما كان البيان الاول مكتوبا وعينه على الرأي العام الاوربي ..

وكان البيانان يتحدثان عن الحق القانوني للدائنين ، وتبدو فيهما الرغبة الصادقة في عدم استعمال العنف ، ونية تغيير البلاد منذ ذلك اليوم لتتلاءم مع ظروفها الجديدة ..

مادتا ٤ و ٥ من بيان ١٨٨١ تحسمان مسألتان هامتان .. احدهما ضرورة زيادة عدد الجيش وهذا يرجع الى ان قيادة الحزب من الضباط المصريين .. والثاني ان هدف الحزب السياسي ومبدأه هو المساواة السياسية والعامة - وهذا يوضح تأثير بلنت (٢٣٩) - وان الحزب يريد تحقيق القوة مع العدل والنبيل في مطالبه .

واخذت ثورة عرابي مجراها .. ومن ١٨٧٩ عندما اعلن اول اعلان عسكري ، حتى سبتمبر ١٨٨٢ عندما انفجرت الثورة العسكرية تماما ، كان الحزب قد تقوى تدريجيا ، من بدايته البسيطة كجمعية عسكرية صغيرة ، الى ان اصبح حركة شعبية كبيرة .. ببساطة وبسرعة ملأ قلب الناس ومشاعرهم بالانفعال .. وببساطة وسرعة انتهى بالهزيمة العسكرية المريعة .

في اول الامر ، تطورت الحركة ضد الاجانب الى حركة عسكرية لا تقاوم .. وقد القت الحركة كل عبئها على كاهل العسكريين ، لان الجيش كان هو القوة الوحيدة في البلاد في ذلك الوقت .. وليحمي الضباط انفسهم ونجاحهم المتزايد في المؤامرات ويشعروا الاوربيون بطابعهم الاجتماعي ، كانت لهم مصادر الاثارة السياسية الناجحة في اوساط الجماهير وميادين العمل السياسي - وفي المرحلة الثانية ،

فلحماية الوضع المائي والسياسي ولخلق حياة نياية حقيقية في مصر قاد عرابي ومحمود سامي البارودي مجلس الوزراء والمجلس النيابي .. وفي المرحلة الثالثة وفي الدفاع عن مصر ضد الهجوم الانجليزي على الاسكندرية ، اجتذب الجيش - كقلب للحركة - طبقات المتعلمين والمثقفين وكثير من الصحفيين والاعيان وقدر ملحوظ من الفلاحين وعدد كبير من الزعماء الدينيين .. وتدرجيا انتقلت الحركة الى دفاع ديني ضد المسيحي المعتصب ، وعندئذ ذهب رسل عرابي الى العريش .. وجنوب فلسطين ليحتشد العرب تحت رايته . (٢٤٠)

وكانت اسباب هزيمة عرابي كثيرة .. احدها الخلاف المتواصل بين مجموعة عرابي والقصر .. كثير من المؤيدين وزعوا انفسهم بين الطرفين مما مزق قوة الحزب الوطني التنفيذية .. وعلى اي حال فان كثير من الناس وقفوا يراقبون الحركة ليروا اي الجانبين يفوز .. واكثر من ذلك فان خبرة الزعماء السياسيين والدبلوماسية كانت اقل بكثير من خبرتهم العسكرية .. وقد امكن اثبات ذلك كثيرا اثناء الحركة وبعدها ..

ولم يكن الهدوء الذي تبع هزيمة المصريين ، معناه انتهاء المقاومة تماما .. فقد كان حلیم باشا لا يزال يحرك مروحته تحت الجذوة .. ولقد ظل حلیم باشا الذي كان على اتصال منذ البداية بالجمعيات السرية في مصر محتفظا باتصالاته مع الضباط المصريين طوال احداث ١٨٨٢/٧٩ .. ولا شك انه اشترك في بعض اعمال وقرارات الحزب الوطني ، ولو ان دوره الحقيقي في تطور الحوادث وفي ثورة عرابي ظل مجهولا (٢٤١)

وبعد هزيمة الجيش ومحاكمة زعمائه ، (٢٤٢) ظلت سمعة حلیم باشا في مصر قائمة ، (٢٤٣) واستمر في نشاطه .. وقد ظلت الارستقراطية

التركية في مصر والذين ينتمون الى النظام القديم يؤيدون ترشيح حلیم
لعرش توفیق سرا ليكونوا مع الدوائر الفرنسية معارضة لانجلترا فسي
مصر ٠٠ (٢٤٤) وكان لحليم ايضا مؤيدين بين غير الاتراك من المصريين ،
وبعضهم قبض عليه من اجل هذه الاتصالات ٠٠ (٢٤٥)

كما ظل نشاط جميل صنوع الصحفي والسياسي في السبعينات من
القرن الثامن عشر ملحوظا ٠٠ وكان قد نفى ابان ثورة عرابي ، ولم يعد
لنشاطه وجود ٠٠ ولكنه ظل على اتصال بزعماء الحزب الوطني يشجعهم
في مجلته « ابو نضارة » التي كانت توزع مجانا بين ضباط الجيش (٢٤٦)
٠٠ ومن ناحية اخرى ظل صنوع يؤيد حلیم بحرارة في مجلته
ونشراته (٢٤٧) ٠٠ وفي مجلة « العروة الوثقى » التي كان يصدرها
الافغاني ومحمد عبده في باريس (٢٤٨)

كان صنوع حلقة الاتصال المفقودة بين حلیم وزعماء الحزب
الوطني ٠٠ وقد كانت مقالاته النارية التي اشتهرت في مصر مسؤولة
الى حد ما عن الاحتفاظ بروح المقاومة للاحتلال ٠٠ (٢٤٩)

وكانت هناك جريدة اخرى عربية في « مجهورن » يصدرها بعض
اصدقاء عرابي الذين هربوا ، والذين ظلوا يخدموا اهداف الحزب
الوطني ٠٠ (٢٥٠) وكانت الدعاية التي قام بها هؤلاء الصحفيين الى
جانب نجاح ثورة المهدي ، واحدة من الاسباب لتحليل كثير من
المعلومات عن ثورة عرابي ٠ (٢٥١)

كانت قيادة المقاومة للتدخل الاجنبي من وضع ضباط الجمعية
السرية ٠٠ وقد ظل عرابي بصفة شخصية يضع خطوط هذه المقاومة حتى
نهاية الثورة ٠٠ ولم يكن لشريف او الاغنياء امثال سلطان باشا (٢٥٢)
الكلمة الاخيرة في مجلس الجمعية العمومية ٠٠ كان الضباط هم ومن في
دائرتهم الذين يتخذون القرارات ٠

فقد كان عرابي شخصية مهيمنة .. وكان له نفوذ جذاب يفسر تأثيره العميق على الضباط وعلى الكثيرين من المصريين خارج الدائرة العسكرية .. وكانت له موهبة ملهمة في الخطابة ساعدته كثيرا على تأكيد سيطرته على تابعيه .. ولو ان نظرتة السياسية البعيدة اكتملت لكان في استطاعته ان يفعل الكثير لقضية مصر .. وكذلك كان رفضه للنصيحة العسكرية احدى عوامل تعثر حركته .

ومن اهم معاوني عرابي ، كان محمود سامي البارودي (١٨٤٠ - ١٩٠٤) : احد الشعراء الذين اعادوا للشعب العربي مكانته في مصر .. كان يعرف العربية والتركية والحشية وكرس نفسه للخدمة العسكرية في عهد اسماعيل .. وبالرغم من انه قام بكتابة الكثير من بيانات الثورة ، فانه كان قليل المعرفة بالسياسة والشؤون الدولية .. ولعدم معرفته باللغات الاجنبية فلم يكن في قدرته الاطلاع على الامكانيات الاوربية والاتجاهات الفكرية (٢٥٤)

ومن المعروف ان الصحافة كلها ايدت ثورة عرابي وامدتها بالقوة الفكرية اللازمة (٢٥٥) .. ومن بين الصحفيين اللامعين الذين ايدوها عبدالله النديم (١٨٤٥ - ١٨٦٠) .. ولد في اسكندرية في ظروف فقيرة .. ولعب الفقر دوره الفكري في حياته الاولى .. واصبح من الصحفيين المعروفين على ايامه واشتهر بكتاباتة ، ثم انشأ جريدته الخاصة باسم « التنكيت والتبكيت » ثم تغير اسمها الى « اللطائف » .. وبلهجة لاذعة كرس النديم نفسه وجريدته وخطبه لمقاومة النفوذ الاجنبي .. وكان الوحيد الذي لم يسلم نفسه للانجليز ، وظل مختفيا تسع سنوات في الريف حتى قبض عليه ونفي (٢٥٦)

من الصعب تحديد كيف بدأ الضباط يحولون جمعيتهم السرية الى حزب سياسي ، ثم الى حركة شعبية .. فقد كان تنظيمهم دائما

مجهولا ، بالرغم من انه مثل احيانا كحزب سياسي ، وبالرغم من استعماله لشعارات اوربية واصداره بيانات ، عندما ترجمت ذكرت العالم بالبيانات السياسية التي تصدر في انجلترا وفرنسا .

وبتأييد الصحوة الروحية للسخط الضارية في الشرق الادنى في ذلك الوقت . . . وبتشجيع العواطف الاوربية قاد الحزب الوطني حركته القصيرة الاجل في دورها الاثاري ، وانهاها دون ان يستطيع توحيد صفوف الذين ايدوها . (٢٥٨)

وكل ما يقال عن ان هذه الحركة كانت تؤيدها تركيا ، وان الاتصالات قامت بين زعمائها واسطنبول . . . فان التأييد والتشجيع الذي لقيه الحركة يعطي احساسا عميقا بشعبيتها ، ولو ان الشعور الوطني لم يكن قد تهيأ بعد . . . والحقيقة الكبيرة ان هذه الحركة دينية . . . وكان قادتها العسكريون يوجهون دعايتهم لاهم واول اهدافها . . . وهي اجلاء العناصر الاجنبية عن مصر .

مصر الفتاة

جمعية سرية أخرى اتجهت لان تكون حزبا سياسيا .. بدأت في الاسكندرية عام ١٨٧٩ ، دون ان يكون لها اي ماضي قبل ذلك .. ولكنها لا بد ان تكون قد تكونت قبل ذلك .. وليست مثل الحزب الوطني فقد تشكلت من المثقفين والمتعلمين الذين لعبوا دورا هاما فيها .. كان اسمها مصر الفتاة .. ولا شك ان فكرتها منقولة من الجمعية الوطنية المشهورة ايطاليا الفتاة ..

وزعماء هذه الجمعية كانوا مسلمين .. ورئيسها كان مجهولا تماما . ولكن محمد امين رئيس محكمة اسبوط كان نائبا للرئيس ، كما كان محمود واصف المحرر بالعدل السكرتير (كاتم الاسرار) .. وهذان الاثنان هما اللذان اغريا الصحفي المشهور في ذلك الوقت عبدالله النديم لينضم الى جمعية مصر الفتاة .. وكان في الجمعية من الاعضاء المشهورين الاخرين اديب اسحاق وسليم النقاش .. وكان عبدالله النديم هو الذي نصح محمد امين ومحمود واصف لترك مصر الفتاة وينضموا الى جمعية غير سرية اخرى ، هي الجمعية الخيرية الاسلامية . انتي كانت ترفع مبادئ اعمال الخير والتعليم . (٢٦٣)

وكانت اخبار مصر الفتاة واجتماعاتها الاسبوعية ترسل الى صنوع لينشرها في مجلته « ابو نضارة » (٢٦٤) .. وكانت الجمعية على درجة

من الوعي ، دفعها لان تصدر جريدة خاصة لها تحت اسم « مصر الفتاة » ، بدأت في الاسكندرية ، واستمرت حتى عام ١٨٧٩ • وقد صدرت اولاً باللغة الفرنسية ثم بالعربية بعد ذلك •• وانتقدت بشدة النفوذ الاجنبي في مصر ، واتخذت رياض باشا رئيس الوزراء في بداية عام ١٨٨٠ هدفا لهجومها وكان رئيس تحرير المجلة اديب اسحاق ، وكتب فيها عبدالله النديم (٢٦٥) •• وكانت المجلة هي قمة النشاط السياسي للحزب •

وبعد تولي توفيق العرش بقليل ، اصدرت الجمعية — او بعض من فيها — برنامجا بمشروع للتنظيم وجهته الى « صاحب السمو توفيق الاول خديوي مصر من اتحاد الشباب المصري » •• وكان البرنامج مكتوبا بدقة وطلباته قوية ولكن عادلة • (٢٦٦)

وكان برنامج الجمعية طويل ومفصل •• (٢٦٧) وقد بدا بالثقة في الحكام الجدد •• ثم راح يصف حال الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية باللغة السوء ، بعد ان اخذت اراضيهم واصبحوا يلاقون صعوبات في دوائر القضاء الاداري والحكومي في مصر •• واعطى البرنامج اربعة اسباب لمتاعب المواطنين • ١ — تجميع كل القوى في يد فرد واحد •• ب — افتقار التنظيم القانوني في العلاقة بين الحاكم والمحكومين •• ج — الافتقار الى الحماية والادارة الحسنة القضائية •• د — عدم كفاية التعليم العام •

ثم قدم البرنامج مشروعا للتنظيم •• بفصل السلطات الحكومية وتحديد المسؤولية الوزارية ، وتأكيده المساواة امام القانون ، وتحقيق والحصانة للحرية الشخصية والامن وحرية الدين والصحافة •• واعادة تنظيم الجيش بفرض قانون للخدمة العسكرية ، وضمان للدين المصري العام ، ووضع الضرائب حسب قانون ثابت ، واقامة حياة نيابية مستقلة بسلطات ثابتة وانتخابات حرة •• ووجه البرنامج نقدا مرا للقضاء والتنظيم المالي •• وفي الجزء الاخير اكدت ضرورة اصلاح جمع الضرائب وجعلها في موسم التحصيل فقط ••

وفي ديسمبر ١٨٧٩ طبع هذا الاتحاد المصري للشباب كتيب خاص
طالب بحرية الصحافة .. وظهر الكتيب في باريس ، ثم نقل الى العربية
بعنوان « حرية الطباعة » .. وفي هذا الكتيب الذي قدم الى توفيق
ايضا ، طالب الاتحاد بحرية الصحافة وهاجم مكتب الصحافة ومراقبة
الانباء ..

كان برنامجي الحزب يشرحان بصدق المتاعب التي تعانيها الجماهير
ويهاجمان المتسببين في هذه المتاعب .. وكانت اقتراحات البرنامجين تدور
حول حلول عادلة للمشاكل المصرية .. ويبدو ان زعماء الحزب لم
يكونوا قانعين بمجرد الاصلاحات المبدئية ، وكانوا يطلبون تنظيم مسح
لكل فروع الحياة في مصر •

لقد ظهرت جمعية مصر الفتاة في بداية عام ١٨٨١ ، واختفت بعد
ترك محمد امين ومحمود واصف والنديم والآخرين لها .. فبعض
اعضاؤها انضموا الى الحزب الوطني .. ومن الممكن تقدير ما اذا كان
هذا افاد كلا الحزبين •

الحزب الوطني

بدأ، بعد القضاء على الثورة العرابية وسجن او نفي زعمائها، ان مقاومة التدخل والنفوذ الاجنبي قد انتهت وخيل للكثيرين ان الحركة قد ماتت بنهاية زعامتها ، كما هو المتبع في الشرق الادنى عادة ..

الا ان المقاومة للسيطرة الانجليزية لم تتوقف ، خلال العشر سنوات الاولى من الاحتلال البريطاني ... ففي الخارج ظلت الدعاية تنظم المعارضة ضده فوق صفحات الصحف العاطفة على القضية المصرية .. اما في داخل مصر فقد عبثت المقاومة للسيطرة الانجليزية بالطرق الآتية :

أ - في الصحافة الفرنسية مثلا .. لم تقتصر المعاونة على مساعدة الدعاية الفرنسية ضد النفوذ الانجليزي في الصحف الفرنسية فحسب .. ولكن الامر تعدى الى تمويل ومساعدة الصحف العربية نفسها .. فقد كان رئيس تحرير جريدة « الاتحاد المصري » التي هاجمت الانجليز بعنف .. فرنسيا .. (٢٦٨)

ب - حظيت الصحافة الوطنية بالتأييد المعنوي ، بل والهمت في بعض الاحيان بموضوعات ومقالات للمساعدة من امثال « بلمرز كجك » كما قال عبدالله النديم في مقالاته النارية التي هاجم فيها الانجليز في مجلته الاسبوعية الاستاذ فيما بين اغسطس ١٨٩٢ ويونيو ١٨٩٣ (٢٦٩)

لم تتوقف المقاومة ضد الاحتلال .. ولكنها افتقدت على صفحات

الجرائد الوطنية ، وفي خارج البلاد ، مع ان الاحتلال كان شيئاً غير عادي في حياة الناس انفسهم .. (٢٧٠) ولذلك فمن الصعب تقرير الاثر الذي كانت تتركه الصحافة على الجماهير .. خصوصاً وأنه من المعروف ان غالبية الجماهير كانوا اوروبيين او نصف المتعلمين .. ولكنها بالفعل نجحت في ان تؤكد للغالبية من الاجانب وعلى الاخص الانجليز الذين يعيشون بين طبقة المتعلمين في المدن الكبرى - ان الشعب ومثقفيه لم تهدأ ثورتهم ضد الوجود الانجليزي غير المشروع في مصر . (٢٧١)

كان التجمد واللامبالاة السياسية قد انتقلت من الفلاحين الى غيرهم من الشخصيات في اواخر ايام عرابي واثناء الفترة الاولى من الاحتلال البريطاني . وقال بوريللي - احد الاوروبيين الذين احتكوا بالمصريين عام ١٨٩٥ ، انه لا الفلاحين ولا سكان المدن يهتمون بالسياسة . (٢٧٢)

ولكن بعض التغيير بدأ يحدث في اعقاب المرحلة الراكدة . ويبدو ان التقدم في التعليم ، وتضخم الصحافة الوطنية ، وبعض الاصلاحات الموضوعية لمستوى الحياة بدأ يشد اهتمام الناس للسياسة .. من المحتمل ان يكون المثقفون قد وجدوا في العمل بالسياسة اثاراً لاتباه الناس .. ولقد ساهمت الصحافة الفرنسية وبعض الصحف الايطالية الحرة ، في اثاره هذا الاهتمام بين الناس بالقضايا السياسية . -

وكان طبيعياً بعد ذلك ان يتكون بين المتعلمين والمثقفين فريق يجمعه شعور موحد تجاه الاحتلال ويحدد شخصيتهم ومطالبهم .. وان كانت العضوية في هذه المجموعات السياسية او الاحزاب تقوم على الارتباط الشخصي اكثر منه على المعتقد السياسي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى (٢٧٣) .

ففي اعقاب هزيمة ١٨٨٢ قامت جماعة سياسية بتوجيه من الخديوي

توفيق قيمت الاوضاع الجديدة في البلاد من وجهة نظرها ومطالبت بعلاقات مع بريطانيا العظمى ، ولكن بلا اي شروط .. فلم يكن هناك مصري يجرؤ في السنوات العشر الاولى للاحتلال ان يفصح عن نيته في المقاومة .. واولئك الذين كانوا يؤمنون بضرورة مقاومة الاحتلال فضلوا الصمت واقتصر نشاطهم على الانضمام الى الجمعيات التي تؤيد السلطان التركي الذي كان لا يزال يأمل في عودة مصر الى سلطانه .. او العمل مع الجمعيات الفرنسية التي كانت تعارض انفراد انجلترا بتصرف اعمال مصر .. وكانت تلك الجمعيات الفرنسية تطالب انجلترا باعطاء مصر حكما ذاتيا ، وتعتمد على تنمية وعي الشعب المصري تدريجيا (٢٧٤) .

وفي الاوضاع غير التنظيمية (٢٧٥) تكون عدد من الجماعات من تابعي عرابي • يشجعهم الخديوي عباس الثاني وكان اعداء الاتراك من اتباع عرابي قد اختفوا تماما ، ليظهر غيرهم ممن يعادون الانجليز (٢٧٦) وبعض المجموعات الاخرى تجمعت بتشجيع العناصر التركية والشركسية الغاضبة لتجاهل سلطات الاحتلال لمراكزها ونفوذها .. وكان مختار باشا يقوم بحلقة الاتصال بين هذه الجماعات والسلطان في استنبول • وكان يحمل اليهم تأييد السلطان ، وايضا يحمل اليه الحاحهم بأن يتخذ السلطان من جانبه موقفا عمليا من الاحتلال الانجليزي في مصر ..

وكان لهؤلاء جميعا عذرهم في كراهية الاحتلال الانجليزي في مصر • فلم يقف السخط عند حد النشاط العام ، بل امتد الى الرسميين في الادارات الحكومية ايضا .. وانتظمت في المكاتب الحكومية نفسها جماعات سياسية كانت تبادر باتخاذ قرارات سياسية كلما بدت الحاجة اليها .. ومن مراكز هذه التجمعات في القاهرة امتد الشعور بالسخط الى بقية القطر مثل المنصورة والزقازيق .. وفي اوائل التسعينيات كون

تنظيم ضد الاجانب تحت اسم « مصر للمصريين » كان هدفه الاول
ازاحة الاجانب الذين حلوا محلهم في الوظائف الحكومية • (٢٧٧)
ولكن هذه المقاومة فجرت بذكاء بواسطة شاب صغير اسمه
مصطفى كامل في نهاية القرن التاسع عشر ... عندما جمع حوله فريق
منظم كون منه حزب سياسي ضد انجلترا .. وكانت حياة مصطفى
كامل جزء مرتبط بتكوين الحزب الوطني .. كما كان الحزب - حتى
بعد موته ، وفي تطوره حتى الان - يحمل طابعه الشخصي الواضح •
ولد مصطفى كامل في ١٤ اغسطس عام ١٨٧٤ .. وسرعان ما
ظهرت شخصيته حين برز في مدرسته كطالب متفوق في اللغة العربية ..
واتم دراسته في مدرسة القانون ، وفي هذه المرحلة بدأت موهبته
الصحفية في الظهور .. وفي فترة متقدمة من حياته في سنة ١٨٩٣ اصدر
مجلة شهرية سماها المدرسة .. وهي بهذا تكون المجلة الاولى في التعليم
الحديث في مصر .. (٢٧٨) وكان قد مارس الكتابة في الصحف ايضا ،
فنشر بعض المقالات في الصحف العربية • وكانت الخطوة الهامة في
حياته يوم سمح له بان يتم تعليمه القانوني في فرنسا (٢٧٩) وفي فرنسا
.. في باريس وتولوز اتاحت الظروف لمصطفى كامل ان يتعلم ، ليس
القانون فحسب ، ولكن ايضا التاكتيك السياسي ، ومبادئ تنظيم
الاحزاب والدعاية •

وفي اوساط المثقفين والسياسيين الفرنسيين تعرف مصطفى كامل
الى رجل السياسة الفرنسي وعدو الانجليز ديلونكل De Loncle
وقدم ديلونكل مصطفى كامل الى جوليت آدم Juliette Adam
الدموية الكره للانجليز ، وواحدة من زعيمات الدوائر السياسية المثقفة
في فرنسا في النصف الثاني من القرن لتاسع عشر وهكذا ارتبط
مصطفى كامل بجوليت آدم التي فتحت امامه الصالونات السياسية
والثقافية في فرنسا وتولته بالرعاية والتشجيع والتوجيه •

كان مصطفى كامل قد وعى اهمية الدعاية في بدء حياته (٢٨٠) ..
وفي اوائل خطواته الدراسية وزياراته في اوربا شعر ان من واجبه ان
يؤدي دورا فراح يهاجم الانجليز بعنف كلما وجد الى ذلك
سبيلا .. (٢٨١) وفي اوائل يوليو ١٨٩٥ طبع كتيبا في فرنسا اسمه
Conférence sur l'egypte fait à Toulouse وصدى الكثير من خطبه
التي ندد فيها بالبنس والظلم الذي يشيعه الحكم البريطاني في مصر ..
ويطالب فيها بحرية بلاده ..

وعندما شعر مصطفى ان الاوان قد آن ليؤدي دوره في بلاده عاد
الى مصر ، حيث نجح في تكوين فريق من الاصدقاء الذين آمنوا مثله
بأن من واجبه بعث الروح الوطنية في الشعب المصري للمطالبة
بحقوقه .

تلك الجماعة من المريدين والمؤيدين والتي ظلت تتسع وتزداد ،
كانت هي النواة التي صنع منها مصطفى كامل حزبه الذي انشأه رسميا
في عام ١٩٠٧ .. والذي ظل يدعى « حزب كامل » كما يقول الاوريون
والمصريون بما في ذلك الدبلوماسيون الانجليز .. منذ انشئ حتى
نهاية القرن التاسع عشر .

واشهر الشخصيات - بين الذين كون منهم مصطفى كامل الحزب
- احمد لطفي السيد ، الذي اصبح بعد ذلك رئيس تحرير الجريدة ..
ومحمد فريد الذي خلف مصطفى كامل في رئاسة الحزب .. ومحمد
عثمان (ابو أمين عثمان) .. وليب محرم (اخو عثمان محرم) ..
وسعد الشيمي (٢٨٣)

ولينشر مصطفى كامل واتباعه هدفه الرئيسي - باستشارة الوطنية
الجارفة وحب الحرية بين المصريين ، واقناع القوى الدولية بحق مصر في
التحرر من الحكم الانجليزي الفاشم - اتخذوا ثلاث وسائل بالذات :
١ - النشاط الصحفي

ب - المحاضرات عن الافكار الوطنية المصرية في الداخل والخارج .
ج - التوسع في وسائل التعليم

ولم يكن بمحض الصدفة ان يتجه مصطفى كامل الى الصحافة في بداية عمله السياسي .. اذ يجب ملاحظة ان الصحافة كانت الميدان العملي الوحيد في مصر حتى نهاية القرن الثامن عشر لممارسة السياسة .. ففي اواخر حكم اسماعيل ، لم يكن في مصر الا جريدة واحدة .. وبعد عشرون سنة في عام ١٨٨٩ ، كان هناك خمسون جريدة عربية يومية (٢٨٤) في القاهرة وحدها .. وفي مصر حوالي ٢٠٠ جريدة ومجلة (٢٨٥) .. وفي خلال خمس سنوات من عام ١٨٩٥ الى ١٩٠٠ وصلت المجلات الى حوالي ٥٠٠ مجلة ونشرة دورية ، ولو ان اكثرها كان قصير الاجل (٢٨٦)

وسارت الزيادة في عدد الجرائد خطوة بخطوة ، مع الزيادة في عدد القراء .. في نفس الوقت الذي تقدم فيه التعليم ..

والجريدة هي حلقة الاتصال بين قرائها بعضهم وبعض .. ففي الوقت الذي تصدر فيه الجماعات والاحزاب في اوربا جرائدها ليلتقوا حولها .. ففي مصر تتبلور المجاميع حول الجريدة التي انشئت فعلا ، وبمضي الوقت تتكون الاحزاب ، وتتجسد الاهداف والانشطة والتيارات .. ولكنها تظل مركزة في الجريدة ..

وظلت هذه هي الظروف السائدة في مصر لتكوين الاحزاب والجماعات خلال السبعينيات والى اوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر .. حتى الحرب العالمية الاولى (٢٨٧)

وقد فطن مصطفى كامل الى اهمية اصدار جريدة كبرى يدعو فيها لمبادئه وآرائه ، وليقوي الروابط بينه وبين تلك العناصر التي ينوي قريبا ان يكون منها الحزب الوطني .. وكأنت « اللواء » هي الاسم الفذ الذي اعطاه مصطفى لجريدته اليومية العربية ، والتي صدرت لأول

مرة في القاهرة في ٢ يناير ١٩٠٠ .. وقد انشئت كرد فعل للصدمة التي شعر بها مصطفى كامل والآخرين حيال جريدة المؤيد (٢٨٨)

وفي العدد الاول كتب مصطفى كامل ٤ صفحات لبرنامج حزبه وسياسته بوجه عام .. فاللواء تصدر لخدمة الامة والاسلام باحترام وبشكل عملي ، ولتقوية الروابط بين المصريين بعضهم لبعض .. ولتطالب باصلاح التعليم والاقتصاد ، وتصنيع البلاد .

وفتحت اللواء صفحاتها للمثقفين .. وكتب فيها احمد شوقي و خليل مطران .. وكانت سمة اللواء وشخصيتها سياسية وليست ثقافية .. وفي اوائل القرن العشرين لم تدع للآراء الوطنية بتوسع فقط ، وانما جمعت حولها كل العناصر الوطنية المتطرفة وخصوصا المعادية لبريطانيا .. فقد كانت تدعو الى مبادئ الحزب الوطني ، وفيها ما فيها من هجوم عنيف على الاحتلال ، والمطالبة بضرورة استقلال مصر والسودان (٢٨٩)

وفي نهاية عام ١٩٠٠ ، كان مصطفى كامل قد طبع ملحق من اللواء اسمه مجلة اللواء .. وكانت توزع مجانا مرتين في الشهر لكل مشترك في اللواء .. (٢٠٩) وفوق ذلك كانت تطبع في المناسبات كتب وكتيبات .. وكانت خطب مصطفى كامل في كتيبات .. ففي اوائل ١٩٠١ طبعت كتابا مشهورا اسمه اخلاق وآداب .. « احلام الأحلام » حيث وسيلة نقد الحياة العامة تتم عن طريق النصائح الثقافية في صورة الاحلام .. (٢٩١) حتى ان اشخاص كجورجي زيدان الذي لم يكن يميل الى مصطفى كامل في نظره السياسية ، لاحظ ان شعبية اللواء قد فتحت افقا جديدة في تاريخ الصحافة المصرية (٢٩٢)

وقد شجع نجاح جريدة اللواء ونموها الشعبي مصطفى كامل على اصدار جريدتين يوميتين اخرتين .. L'étendard Egyptien

وظهرت لأول مرة مساء ٢ مارس ١٩٠٧ و The Egyptian Standard وتبعت زميلتها في صباح اليوم التالي ٠٠ والاسمين - كما هو ملاحظ - مأخوذتين من « اللواء » ٠٠ كما كانا يوزعان نفس مواد جريدة اللواء مع بعض التغيير الذي يتناسب مع قراءتهما الاجانب ٠٠ فقد كانت الاهداف الرئيسية للجريدتين اسوة بالجريدة الام - الدفاع عن حقوق مصر والمصريين ، وتقوية الروابط بينها وبين الاجانب الموجودين في البلاد ٠ (٢٩٤)

وكانت وسيلة جرائد الحزب العمل على تضيق هوة الشك والريبة بين الاجانب في مصر ، ليصلوا بذلك الى تحقيق الهدف الاول ٠٠ (٢٩٥) والى جانب الاشراف على ادارة الجرائد المصرية والفرنسية للحزب ، خصص مصطفى كامل وقتا كبيرا للخطابة في المجتمعات العامة ٠٠ وكان خطيبا مفوها ، اتاحت له قدرته الخطابية الرنانة ان يستولي على انتباه سامعيه وقد شكوا لجوليت آدم من اعبائه الكثيرة التي ترهق صحته في خطابات نشرت تحت عنوان « رسائل فرنسية مصرية » (٢٩٦)

ثم كان انتعيم احد الميادين التي قرر مصطفى ان يخوضها بسرعة الى جانب دوره الكبير في الكتابة والخطابة ٠٠ وكان طالما اتهم الانجليز بانهم يتعمدون اهمال التعليم وانهم يميلون الى اصلاح النواحي المادية للمصريين ٠٠ (٢٩٧) ولم يأخذ مصطفى كامل في اعتباره السرعة التي يتم الاصلاح المادي عن الاصلاح التربوي وفي الوقت الذي كان فيه تعليم المرأة شيء مكروه في انحاء العالم الاسلامي ، دعى مصطفى كامل الى تعليم المرأة لتكون زوجة صالحة وامرأة مخلصة ٠٠ (٢٩٨) كما طالب بتوجيه الاطفال المصريين ليتجهوا الى دراسة المهن الحرة والموضوعات الصناعية ٠٠ (٢٩٩) وكان يقابل افتتاح كل مدرسة

بالتحية والترحيب ؛ وظل يدعو الاغنياء المصريين الى التبرع لتشجيع التعليم .. (٣٠٠) ولعب دورا كبيرا لانشاء مدرسة كبيرة في الحلمية في بداية عام ١٨٩٩ .. (٣٠١) ثم وجه اهتمامه الى التسك بشعار الآ تقام مدينة كبيرة الا اذا كانت فيها مدرسة ، حتى يرتفع مستوى الثقافة الاسلامية ، مع تهيئة الجو الثقافي بدراسات انجليزية وفرنسية .. (٣٠٢) ويبدو ان هذه المدارس قد حققت نجاحا فرديا ، وسريعا .

وكان مصطفى كامل كما نعرف اول من طالب بانشاء جامعة في مصر .. ففي ٢٦ اكتوبر ١٩٠٤ اطلق اول صرخة في جريدة اللواء يطالب بضرورة انشاء الجامعة .. وفي ١٩٠٥ عاد يدعو الى نفس المشروع واعلن عن قبول التبرعات لهذا الغرض ، ولكن ما جمع لم يكن فيه الكفاية فارجأه الى حين .. ولكنه لم ييأس ابدا .. وفي خطاب ارسله الى محمد فريد من باريس في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ عاد يكرر ايمانه بأن انشاء جامعة في مصر ، هو ما خير ما يقدمه الوطنيون المصريون لبلادهم من جميل . (٣٠٣)

وحتى نهاية التسعينيات وبداية القرن العشرين كان مصطفى كامل منهمكا في نشر افكاره في مصر والخارج ، زيادة على ادارة والاشراف على جرائده بالعربية والانجليزية والفرنسية وخطبه العامة ومحاضراته مطالبا برفع مستوى التعليم الوطني في فرعيه العام والعالي .. ومن خلال هذه النشاطات الواسعة والمختلفة استطاع مصطفى كامل ان يجمع حوله مجموعة من الاصدقاء والمعجبين والتلاميذ .. وكان يخطب ويحاضر ويتكلم باسم مجموعته .. وبعد قليل لاحظ انه يجب ان تتحقق لهذه المجموعة فاعلية اكثر بتنظيمها كحزب قانوني على الاسس التي تقام عليها الاحزاب الاوربية .

ولقد هيات الاحداث المناخ المناسب لما كان يدور في خلد مصطفى

كامل عن تنظيم الحزب من اصحاب النظرة العدائية المتطرفة للانجليز ..
فقد كان اتفاق ١٩٠٤ بين بريطانيا وفرنسا ، صدمة للكثيرين من
المصريين .. واثارت الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤/٥ ذعرا بين
الشرقيين الذين لم يكونوا يقدرُوا امكانياتهم .. فلقد كان للنصر
الياباني يومها تأثيرا غريبا في الشرق الادنى وكتب يومها مصطفى كامل
كتابا عن اليابان الجديدة .. (٣٠٤) كما كانت حوادث « توبا » (١٩٠٦)
بمثابة حشد اكبر للاعداء الانجليز ... فالمسلمين كانوا لا يزالون
يتعاطفون مع شركائهم المتدينين المسلمين في تركيا .. ثم في النهاية
فجرت حوادث دنشواي : كما اطلق مصطفى كامل والصحافة الوطنية ،
حمم الدعاية العدائية ضد الانجليز (٣٠٦)

حتى عام ١٩٠٧ ، كان مصطفى كامل والمحيطين به يعتبرون
انفسهم المتحدثين باسم مصر الجديدة ، اكثر مما هم حزبا سياسيا ..
وبالرغم من انهم كانوا منذ عام ١٨٩٦ يطلقون على انفسهم اسم الحزب
الوطني في بعض المناسبات .. خصوصا عند الحديث الى الصحافة
الاجنبية .. (٣٠٧) ولكن مصطفى كامل لاحساسه العميق بان الوقت
قد نضج لاقامة حزب سياسي منظم .. وربما لانه كان في شوق لان
ينافس الاحزاب التي كانت قد قامت قبل ذلك بقليل .. او ربما لانه
شعر ان ايامه قد اصبحت معدودة .. فقد اعد مصطفى كامل الارض
لاقامة الحزب رسميا .. ومن المثير مقارفة السرعة التي اقام بها مصطفى
كامل حزبه بتلك التي تم بها تشكيل حزب الوفد بعد ذلك بسبعة
عشر عاما كحزب سياسي .. فلقد ظل سعد زغلول منذ عام ١٩١٨ الى
١٩٢٤ يصر على ان يمثل الشعب المصري فقط .. ولكن اجبر في بعض
المناسبات السريعة ان ينظم نفسه كحزب ..

نشر مصطفى كامل برنامجا لحزبه في جريدة الفيجارو في مايو عام
١٩٠٧ .. وفي ٧ اكتوبر من ذلك العام عاد الى الاسكندرية قادما من

اوربا .. وبعد وصوله بثلاثة ايام كتب في اللواء يقول ان الوقت قد حان لتكوين الحزب الوطني ، تنظيما كاملا ليجمع المؤيدين والاصدقاء الذين شاركونا في الكفاح الوطني لسنين عديدة (٣٠٨)

واعقب مصطفى كامل نداؤه هذا بدعوة ٦٠٠ شخص الى اجتماع في مسرح زيزينيا بالاسكندرية في ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧ .. وكان مصطفى كامل يقصد ان يكون هذا الاجتماع الكبير بمثابة الدعوة للعضوية في الحزب .. (٣٠٩) فتحدث الى الحاضرين عن الحياة الوطنية المصرية بعد اتفاق ١٩٠٤ والتقدم الذي احرزه لعمل لوطني ثم اكد مصطفى كامل انه بالرغم من محاولات الاحتلال الانجليزي ، فانه يشق من ان الشخصية المصرية الحقيقية ستشق طريقها الى الاستقلال ..

ثم دعا الجمهور للاشتراك في الحزب الوطني .

احدث الخطاب دويا كبيرا في مصر ، ونشرت فقرات طويلة منه في الجرائد المصرية وتناقلته النشرات السياسية .. وانهالت طلبات العضوية على مقر الحزب من كل انحاء مصر .. وعقد الاجتماع الاول للحزب في مبنى اللواء بالقاهرة بعد ذلك بخمسة ايام .. (٣١١) وكان احتفالا مهيبا وفخما حضره عدد ضخم يمثل كل الطبقات والهيئات .. اعيان وزراع ومحامون ومهندسون وعمال ... وبناء على الدعوات التي وجدت على الباب فقد كان عدد الحاضرون ١١١٩ ، بينما كان المعتذرون ٨٤٠ .. اعتذروا عن حضورهم بالبرقيات والخطابات .

وفي كلمة الافتتاح قال مصطفى كامل ان الحزب قد انشئ منذ وقت طويل ، وان ما يحدث الان هو تنظيمه فقط .. ثم انتقل الى استعراض عام عن المبادئ التي ينبغي ان تتبع في الحزب الوطني .. فالتعليم للجميع والتفاهم مع الجميع ، والاهتمام بجموع الفلاحين . ثم تمت الاجراءات بعد ذلك على الطريقة الاوربية في الاجتماعات

.. فقد اثنى محمود انيس على مصطفى كامل ورشحه لرئاسة الحزب ،
فاتتخب بالاجماع .. وقرأ فؤاد سليم لائحة الحزب ، ثم نوقشت بندا
بندا فووفق عليها .

وتبعاً لهذه اللائحة فقد اتتخب مصطفى كامل رئيساً للحزب مدى
الحياة .. كما تقرر ان يعقد اجتماع عام باسم المؤتمر الوطني يعقد كل
سنة لاتتخاب اللجنة الادارية ، ومناقشة ميزانية الحزب ومراجعة نشاطه
وللتصويت على اقتراحات الاعضاء .. ثم وضع القرارات ، وان
تسجل الاجراءات وتشر دورياً ..

وتقرر ان تنتخب لجنة مركزية من ثلاثين عضواً لمدة سنتين ، عدا
الرئيس .. وتجتمع مرة على الاقل كل شهر .. ويجب ان ينتخب
الرئيس ونائبيه والسكرتير وامين الصندوق من بين اعضائها .. ثم
تنتخب من بين اعضاء هذه اللجنة مكتب تنفيذي من ثمانية اعضاء بما
فيهم الرئيس الاول والسكرتير وامين الصندوق .. والمكتب التنفيذي
يجتمع كل اسبوع مرة على الاقل ويقوم بتنفيذ قرارات اللجنة
الادارية .. (٣١٢) وينشأ نادي مركزي للحزب ، وفروع له في جميع
انحاء القطر (٣١٣)

وكان هذا هو التنظيم الحزبي الاول الحقيقي في مصر الحديثة ..
ومن المؤكد انه اثبت نه حتى بعد موت مصطفى كامل ، وبعد ان
اصبحت شعبيته في الذكريات ، فقد ظل احدي حقائق الحياة السياسية
في مصر .

وكان برنامج مصطفى كامل الذي اعلنه يوم ٨ مايو ١٩٠٧ في جريدة
الفيجارو الفرنسية واضحاً وليس خيالياً .. وكان من ستة مواد
وطالب فيه :

١ - تكوين برلمان مسؤول تنفيذي عملي نشيط يتلقى نصائح من
الانجليز وليس اوامر

٢ - اصلاحات مختلفة في التعليم

٣ - تعيين الكفاءات المصرية في الوظائف الحكومية تدريجيا بدلا من الرسميين الاجانب

٤ - اعادة تنظيم الامتيازات بتقييد سلطات المحاكم المختلطة (٣١٤)

كانت مطالب مصطفى كامل في اهتمامها بالتنظيم الدستوري والاداري والقضائي ، اكثر اعتدالا مما كان متوقعا .. وربما كان لتأثر مصطفى كامل بافكار الجمهورية الفرنسية في الحرية سببا في ذلك .

وفي اجتماع ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧ تلى برنامج مصطفى كامل ، ووفق عليه بعد ذلك بخمسة ايام .. وبالرغم من ان بعض المتحدثين قد اثاروا الحماس والانفعال ، الا أنه هو شخصا ظل معتدلا في موقفه وفي تعليقاته (٣١٥)

بالاستقلال الذاتي لمصر بدا مصطفى كامل مطالب برنامجا كما فعل منذ عام ١٨٤٠ .. وان كان فيه بعض الاختلاف عما كان يعلنه عن تمسكه بالجلاء التام منذ وقت قريب .. واحتفظ في الطلب الثاني من البرنامج بالدعوة الى حكومة نياية ودستور - بقصد ان يكسب ارضا تحت تأثير التطورات الدستورية في روسيا وتركيا .. (٣١٦) وتوجه في البند الثالث من برنامجا الى الدائنين الاجانب يهدىء خواطرهم .. وقد حوى البرنامج كثير من اتجاهات عرابي واسبابه .. ففي البند الرابع استمر في نقده للحكومة كما كان يفعل وزملاؤه منذ سنين .

ان الاجزاء الاربعة التالية من البرنامج ، كانت تدعو الى التعليم العام ورفع مستوى الثقافة وليمكن توحيد لمسلمين ولاقباط .. الامر الذي كان يمثل احد اهداف مصطفى كامل التي يعتزم تحقيقها .. والجزء الثامن يتجه الى الاجانب في مصر يدعوهم الى تأييد المصريين في

مطالبهم .. ويتناول في البند التاسع والاخير فكرة تقوية الروابط المصرية للصدقة والمحبة والتفاهم مع الشعوب الاخرى .. خصوصا شعب الامبراطورية العثمانية .

وبشكل عام .. كان البرنامج عملي ، ووضع الخطوط النهائية لحركة الحزب .. واقرب ما يكون الى نشاط مصطفى كامل السابق .. فقد كان البرنامج مثلا لادراك الزعيم السياسي في ذلك الوقت لظروف بلده .. وكان البرنامج سياسيا بالدرجة الاولى .. ودستوريا يظهر اهتماما حيويا بالتعليم .. ولكن بلا اي اهتمام .. بالشؤون الاقتصادية .. ولا يذكر المشاكل الاجتماعية اطلاقا ..

وعمل مصطفى كامل بكل جهده لانجاح حزبه حتى يوم وفاته بعد ذلك باربعة اشهر .. وكان الاحتفال بجنازته صورة كبيرة للاسف الذي عم مصر .. كان احتفالا يعتبر الوحيد من نوعه في تلك الفترة من الزمن .. وعلى كل حال ، فقد ضمن مصطفى كامل حزبا ذو تنظيم قوي يعطيه القوة والثبات حتى امام مثل هذه الضربات .. وظل الحزب يعمل ويؤدي واجبه تحت رئاسة خلفاء مصطفى كامل حتى يوليو ١٩٥٢ .

ولقد كان من الاهمية بمكان في البناء السياسي انشاء حزب سياسي رسمي يعمل في الحياة العامة .. وكان مصطفى كامل يعلم هذا ، وقد تعلم من شؤون السياسة الدولية ما كان يفتقر اليه احمد عرابي .. فقد كان ايضا يعلم انه لا امل في هذه الفترة المبكرة من حياة الاحتلال الانجليزي ، في الحصول على استقلال كامل .. ولذلك طالب وزملائه - في مبادئهم لسياسية بالجلء .

وقد امضى مصطفى كامل وقتا طويلا في دراسة المسألة المصرية .. والدرس الاول الذي تعلمه مصطفى من فشل عرابي ، هو الا يسمح للاحتلال ان يستغل الخلافات بين القوى الوطنية وبين الخديوي لصالحه

لذلك فلم يقطع صلته بالخدوي عباس الثاني لفترة طويلة .. (٣١٧) وحتى في الاوقات التي لم يستطع فيها ان يقي علاقته الطيبة به ، فقد تحاشى تماما الدخول معه في معارك عامة ، ينتهز الانجليز فرصتها ليستفيدوا منها .

والدرس الثاني الذي تعلمه مصطفى كامل ، هو ان الجهل هو العدو الاول لمصر .. ولهذا نادى في كل خطبه ومقالاته بالتوسع في التعليم الى اكبر قدر في مصر .. واقام المدارس التي تحمل اسمه في كل حي .. وكانت من فضائل كامل وحزبه ان فتح عين مصر على اهمية التعليم وخطورته ..

اما الدرس الثالث الذي تعلمه مصطفى كامل - وكان يحاول ان يستفيد من مأساة الفشل العرابي - فهو ان الاتحاد بين جميع القوى في مصر ضرورة للمناداة بالجلء والاستقلال .. ومن عام ١٨٩٦ حتى نهاية حياته (٣١٨) دأب في كل اعماله وكلماته ومقالاته على تنظيم الرأي العام وتوحيده .. وكان حريصا في مبادئه واهتماماته على تجميع كل القوى في الشعب وحول الشعب .. لانه كان مقتنعا - كما قال في خطابه الذي القاه في مسرح ايطاليا بالقاهرة بان العدو الاول لمصر ليس بريطانيا العظمى ، ولكن الفرقة .. (٣١٩) وفي مارس ١٩٠٧ وعد مصر بالاستقلال اذا هي اتحدت (٣٢٠)

واعتمد مصطفى كامل ومن جاؤوا من بعده على شكل من الدعاية يسمى « الابيض والاسود » .. وهي نفس الدعاية التي تبناها بعد ذلك مصطفى كامل بنجاح كبير .. ففي خطب مصطفى كامل ومقالاته التي نشرها في اللواء كان يقول ان المصريين يجب ان يكونوا في احد المعسكرين : الوطنيون الذين يطالبون بالاستقلال .. او المحتلون الذين يساعدون الانجليز .. ثم يهاجم هؤلاء المحتلين بعنف ويطلق

عليهم الصفات التي سرعان ما تنتشر بين الناس .. ولقد جمعت هذه الوسيلة من الدعاية حوله الكثير من المؤيدين ، واسكتت المعارضين .. على الاقل موقتا (٣٢١)

ولا شك انه لو لم يكن مصطفى كامل ومؤيديه الزعماء ينتمون الى العائلات ، لما امكنهم ان يتجاهلوا وجود طبقتين اجتماعيتين ، هما الاغنياء والفلاحين الفقراء .. وكانوا طالبوا بطبقة متوسطة كحلقة اتصال .. ولقد كان ذلك واضحا في بيانهم الذي لم يبدو فيه اي اهتمام يذكر بالمشكلة الاجتماعية في مصر .. كما ان مصطفى كامل منذ عام ١٩٠٧ حتى وفاته ، لم يبد اي اهتمام يذكر بالمشكلة الاجتماعية في مصر .. كما ان مصطفى كامل منذ عام ١٩٠٧ حتى وفاته ، لم يبد اي اهتمام في خطبه او مقالاته بالفلاحين ..

وربما كان مصطفى كامل يظن انه لا يوجد صراع اجتماعي في مصر .. او ان الخلاف بين الاتراك الشرقيين وبين العناصر المصرية قد طوته اسباب الاهمال .. ولذلك اتجه بكل ثقله وشخصيته ليجمع بين المسلمين والاقباط كزعماء متفاهمين في حزبه ، ويقنعهم بان يتناسوا خلافاتهم وحزازاتهم الدينية ، ظنا منه ان هذا هو الصراع الوحيد الموجود في المجتمع .. ولقد نجح مصطفى كامل في هذا الامر فعلا .. ولكن خلفاؤه لم يستطيعوا الاحتفاظ بهذا التجاح من بعده .. ولم تكرر هذه الوحدة بين الطائفتين ، الا بعد الحرب العالمية الثانية تحت تأثير شخصية سعد زغلول الفذة .. وقد كان مصطفى كامل يبرر ضرورة هذه الوحدة بقوله

ان المسلمين والاقباط شعب واحد متحدون في الوطنية والعادات والمبادئ ونوع الحياة ، ولا يمكن التفريق بينهم (٣٢٢)

كذلك .. فان تأييد الكثير من الاقباط لحزب مصطفى ، نوع من الدفاع العملي عن حزبه في شبهة انه نوع دعائي لجهة اسلامية .. فبالرغم من أنه لم ينف ابدا اهمية الدين والتعاليم الدينية .. وكان

يكرر أهمية تعلم الدين خصوصا عندما يلتقي بطلبة المدارس فيؤكد لهم ان الدين والوطنية عنصران مكملان لبعضهما • (٣٣٣)

ولا شك ان اتجاه مصطفى كامل الذكي هذا في التوحيد بين المسلمين والاقباط قد هدا الكثير من مخاوف اولئك الذين كانوا يخشون وقوع انفجار تعصب ديني في مصر • وبأي شكل كان فمن البديهي ان مغاضيه هم الذين اساءوا اليه في عين فرنسا ، التي كان لا بد ان يلقي معاوتتها في بدء نشاطه السياسي • فقد كانت فرنسا لا تزال قلقة من المقاومة ضدها • خصوصا مقاومة المسلمين لنفوذها في شمال افريقيا ومناطق اسلامية اخرى • ولهذا فقد حرص مصطفى كامل على ان ينفي في عدة مناسبات انه ينوي تكوين جبهة اسلامية سياسية •

وقد كان من الصعب على مصطفى كامل ان يوضح علاقته وتعاطفه مع الباب العالي في استنبول - فما كان يستطيع - والاحتكاكات بين المسيحيين والمسلمين في مقدونيا ومراكش تشتعل - ان يلتقي مع المصريين • والمسلمين بنصف قلب او نصف عقل • وما كانت احداث مثل انتصار الاتراك في اليونان ، او حوادث ثوبا تمر به دون ان تتركه بلا حركة • ولقد اعلن مصطفى كامل مرة ثانية انه من الطبيعي ان يكون المسلمين تابعين للسلطان • وهو نفسه - مصطفى كامل - استقبل بحرارة في حضرة السلطان عام ١٨٩٩ وفي مناسبات اخرى • (٣٣٤) وظل بعد ذلك على اتصال « بليزركجك » (٣٣٥)

ولقد رفض مصطفى كامل ان يتورط في الدعوة لعودة مصر الى نفوذ السلطان التركي مرة ثانية • وبسر اتصاله بالقوى التركية في استنبول على انها للحيلولة دون استمالة انجلترا للسلطان ليعود فيستعمل حقوقه على مصر لصالح الاحتلال الانجليزي • وهذا يجعل الشعب المصري بلا معونة مرة اخرى • ومعنى هذا ان مصطفى كامل

كان يقف الى جانب السلطان التركي كرها للانجليز فحسب .. ولكن دون ان تكون عنده نية تكوين جبهة ثورية اسلامية .. وانه يرجو ان يكون على علاقة طيبة وصداقة بالاجانب المقيمين بمصر . (٣٢٦)

ولم يكن بيانه الذي اعلن فيه انه لا ينوي تكوين جبهة ثورية اسلامية ، نفيًا لتعاونه مع القصر التركي في استنبول فقط .. (٣٢٧) وانما يحاول به ان ينفي ايضا اتصاله ببعض الدوائر شبه السرية التي كانت تدار من استنبول في مصر تحت رئاسة لشيخ علي المؤيد الذي يشرف على عملها السري وادارتها العلنية .. ولو ان الوعي الداخلي لم يسمح لاغراضها ان تنتشر ابدا ! ..

ولكن كانت هناك جمعية اخرى اكثر اهمية من سابقتها .. وهي جمعية مكارم الاخلاق .. وكان اعضاؤها حوالي الالف ولها فروع في جميع المدن الهامة في مصر .. وتجمع في عضويتها بعض الشخصيات البارزة في الدين ومختلف نواحي الحياة .. ومن محاضر جلسات هذه الجمعية وكانت جلسات سرية - فقد تبين ان من اهدافها تكوين حكومات بقوانين اسلامية في كل البلاد العربية .. وان تتجمع بعد ذلك كل هذه الحكومات في كتلة اسلامية واحدة . (٣٢٨)

ولكن الحزب السياسي اضطر للتعاطف مرة ثانية مع تركيا بعد ان فشل في الحصول على التأييد الفرنسي .. كان التأثير الفرنسي واضحا في اول الامر على افكار واسلوب العمل في الحزب ، وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية في البلاد بعد اللغة العربية .. اما بعد الصدمة التي فلفتها مصر من فرنسا في حوادث الفاشودة ، ثم في توقيع اتفاقية ١٩٠٤ بين فرنسا وانجلترا ، بدأت لهجة المديح التي كانت تكال لفرنسا في الجرائد الوطنية تخف تدريجيا ، ويحل محلها دعوة الى المصريين للاعتماد على قواهم الذاتية وحدها ، دون انتظار اي عون خارجي يسافدهم في محنتهم .. وعقب توقيع الاتفاقية مباشرة دعا مصطفى كامل الى اجتماع وطلب من مستمعيه ان يعتمدوا على امكانياتهم

الذاتية فقط عن طريق نشر التعليم على اوسع مدى ، والتمسك بالوحدة الوطنية ، والثقة في الصحافة المصرية ورفع مستواها .. (٣٣٠) ومن المحتمل انه في هذا الوقت بدأ يتجه الى تقوية الروابط باللندوبين الالمان في مصر .. وربما تكون هذه الصدمة السياسية في فرنسا ، هي التي دفعته الى تحقيق ذاته بالاعتماد على قاعدة سياسية جماهيرية تحت يديه تعوضه عن الاعتماد على القوى الخارجية وحدها .. وبذلك فكر في اقامة حزبه السياسي ... الحزب الوطني ..

كان مصطفى كامل قد بدأ يطالب بالدستور والحياة النيابية في عام ١٩٠٠ .. ففي ٥ اكتوبر من ذلك العام نشر مقالا بعنوان « الحكومة والامة في مصر » طالب فيه الانجليز بان ينفذوا ما قال « انه وعد لورد دوفرين باقامة حكومة دستورية في مصر » .. وظل يردد هذا الرأي مرات خلال السنوات التالية مؤكدا ان الحياة النيابية الدستورية في مصر هي الضمان الوحيد لأمل الانجليز في الوئام والاستقرار مع المصريين .. وكذلك فان تحقيق الحياة المستقرة للمصريين لن يكون الا بدستور مكتوب .

وقد استقر مضمون هذه الافكار الاصلية عن الدستور والحياة النيابية في البند الثاني من برنامج الحزب (٣٣٣) وكان نجاح التجارب الدستورية في كل من روسيا والبلقان وايران وتركيا يلعب دوره في اثارة حماس السياسيين المصريين .. اما حقيقة ان هناك تجارب فاشلة للحياة الدستورية في الشرق الادنى ، فلم تكن في الحسبان .

وفي الفترة الاولى التي هيمن فيها مصطفى كامل على كل اشكال الدعاية السياسية ، من خطب ومقالات ومؤتمرات صحفية ، مع السياسيين والصحفيين في الكتب والجرائد العربية والانجليزية والفرنسية ، كانت اراؤه منقولة ومملوءة بالدراية السياسية .. ولكنها

تدرجيا تحولت الى محاورات ثقافية زكية ولكن تفتقر الى الحلول العملية والمبادرة .. كان في الاول قد اقنع المصريين والآخرين ان الاحتلال البريطاني ليس عسفا فحسب بل تجسيد اداري للدولة المصرية ككل ايضا .. ولاصلاح ذلك كان يرى أن يستعد المصريون لادارة انفسهم وان يضعوا أيديهم على الحقائق مهما كانت مرة .. وضرب بادارة الري واستغلالها لخدمة المصلحة البريطانية مثلا على عسف الانجليز .. ثم انتقل بعد ذلك الى التنظيم العام للنشاطات المحيطة به . واعتبر في ذلك الكفاية . (٣٣٤)

وكان مصطفى كامل قد مارس تأثيره على الطلبة ، الذين أحبوه بصدق .. لدرجة انهم كانوا يوافقونه على ما يوجههم اليه من دراسات ، حتى ولو كان في ذلك عصيان لوالديهم ومدرسيهم .. وكان هو ورفاقه وراء الاضراب الكبير الذي قام به طلبة مدرسة القانون عام ١٩٠٦ ، والذي اخرج كل طلبة معهد الدراسات العليا ، احتجاجا على سياسة الاحتلال في التعليم .. وكان هذا الاضراب هو اول اتصال بين الحركة الوطنية والطلاب ، كما اعطى المصريين اول احساس بقيمة الاضرابات بشكلها الواسع (٣٣٥)

لم يسبب موت مصطفى كامل للحزب الذي أنشأه خلا او انشقاقا ، ولو انه اصاب التنظيم نفسه .. فالذين جذبتهم شخصية مصطفى كامل الديناميكية الى الحزب ، قد احسوا الان بفداحة غيابه .. الا ان التنظيمات التي كان قد اعدّها مصطفى كامل قبل موته ، وبشكل كبير في التعاون بين الحزب والاحزاب الاخرى القائمة ، كانت تؤدي دورها في دفع طاقة النشاط في الحزب .. وقد ظل كذلك حتى عام ١٩٠٨ .

واتتخب محمد فريد المحامي واصدق مستشاري مصطفى كامل رئيسا للحزب بعده ..

وبدأ فريد حياته الطويلة في مصر بمجموعة من الخطب شيع بها كرومر بعد استقالته .. وكان ينصح مستمعيه ألا يلجأوا الى العنف ابدا ، وهو يطالب بالغاء الامتيازات الاجنبية ، او يتهم جماعة الاصلاح الدستوري التي يرأسها الشيخ علي يوسف بانها مثرة للخلافات ..

وجاهد باسم حزبه من اجل البرلمان .. وكان يوجه كلامه في هذا الصدد الى الخديوي وليس الى الانجليز فالحياة بلا برلمان ، خير منها برلمان انجليزي وهي ضربة مأكرة للأحزاب الاخرى :

واتهم الوزراء بانهم يتقاضون مرتبات عالية في الوقت الذي لا يفعلوا فيه شيئا .. اللهم الا تنفيذ اوامر المستشارين الانجليز .. واتجه بكل آماله الى تكوين جبهة متحدة مثل كل المصريين ، لتحقيق الحياة النيابية وتشرف على الحكومة ، وترفع سيطرة الانجليز .

وباسلوب مصطفى كامل : زار محمد فريد انجلترا في عام ١٩٠٨ ، فلقى مجموعة من الخطب ، ونشر عدة برامج وبيانات على الرأي العام الانجليزي ، يعلن فيها رأي الحزب الوطني بضرورة الجلاء التام عن مصر ، وضمان دستور لا يقل تحرا عن دستور ١٨٨١ .. وطمان الانجليز الى ان مصر تحترم كل الاتفاقيات الدولية ، والمحاكم المختلطة ، والامتيازات الاجنبية ، والدين العام ، وخراج الباب العالي .. ثم طرح على البرلمان الانجليزي ان يعاونه في وضع حد للعسف الانجليزي ، في مقابل ان تضمن مصر من جانبها الامتيازات للاوربيين المقيمين فيها ، وحقوقهم المشروعة .

وكما وعد فريد في خطبته الاولى ، فقد قدم الحزب في عام ١٩٠٨ التماسا الى الخديوي موقعا من عدد كبير من الشخصيات ، بعودة البرلمان الذي الغاه الاحتلال .. وكان الحزب قد نجح فعلا في ان يستميل الى جانبه عددا كبيرا من اعضاء اللجنة التشريعية التي كانت تمثل الحياة

شبه النيابية الوحيدة في مصر .. والتي عارضت الاجراءات البريطانية
عند مناقشة ميزانية ١٩١٠ .

كان الحزب الوطني في هذه المرحلة قد اندفع نشاطا بكل قواه
ليحبط خطة شركة قناة السويس لمد امتيازها حتى عام ١٩٩٨ .. فقبل
عرض المشروع على الجمعية العمومية لمناقشته ، بادر الحزب فدعا الى
مؤتمر كبير ، القى فيه علي كامل (أخو مصطفى كامل) خطابا عدد فيه
الاخطار التي ستضر بمصر لو مدد هذا الامتياز .. ولقد كان لهذا
الاجتماع تأثير كبير على نظرة الجمعية العمومية للمشروع
المؤامرة . (٣٣٦)

وعكست كل هذه النشاطات والنجاحات السياسية طموح برنامج
مصطفى كامل .. والخلاف الوحيد ، بين خطوات الحزب الحالية ،
وبين برنامج مصطفى كامل تبلور في الدعوة لتنظيم الدستور .. ولا شك
ان هذا الاختلاف كان مجرد رد فعل لاحداث تركيا (٣٣٧) وباريس في
اعوام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ (٣٣٨)

وانتشرت فروع الحزب في المدن والقرى الكبيرة تحقيقا لرؤى
مصطفى كامل .. وبمساعدة هذه الفروع وجهودها انطلقت ثورة تعليمه
عارمة تدق ابواق القرى والمدن ، حتى وصلت الى حد ابتكار الدروس
الليلية .. وقد اعتبر المحافظون هذه الثورة التعليمية احدى النتائج
المباشرة لسيطرة ما أسموهم « بالمتطرفين » في الحزب .. وكان هؤلاء
يكسبون أرضا يوما بعد يوم ، وبما يقدمونه للجماهير من كلمات
وشعارات مثيرة تتسم بالمطالب « الكاسحة » والحارة .. على حد قول
المسؤولون في السفارة البريطانية ..

وتحت رئاسة الشيخ عبد العزيز جاديش أصبح لتلك العناصر
التقدمية في الحزب اليد الطولى في جريدة « اللواء » وجرائد عربية

اخرى يسيطر عليها الحزب كجريدة العلم اليومية القاهرية (١٩١٠) ، (٣٣٩) والتي اطلق منها العنان لحملة تفضح الانجليز .

وفي حزم .. اتخذ الحزب قرارا بتحديد أي موقف يراد منه الوقفة بين الاقباط والمسلمين بعقد اجتماعات بدأت في اسيوط ، واطتمت في القاهرة بنجاح .. كان الحزب لا يزال يلعب دور مصطفى كامل في الحفاظ على الوحدة الوطنية ، حتى تلك الفترة من عام ١٩١١ .. (٣٤٠)

وبطبيعة الظروف التي كان يعيشها الحزب فقد كانت الروح المهيجة والعداوية تسيطر على اجتماعات المؤتمرات السنوية للحزب ، والتي كانت غالبا ما تعقد في احدى العواصم الاوربية بواسطة الطلبة المصريين في الخارج ..

عقد اول مؤتمر في جنيف عام ١٩٠٨ على مستوى صغير .. وعقد الثاني في سبتمبر من ١٣ الى ١٥ عام ١٩٠٩ .. وقد نظم ليكون في ذكرى معركة التل الكبيرة ، ونظمه الطلبة بدعاية كبيرة ، وحضره عدد من اعضاء الاحزاب المصرية الاخرى ، (٣٤١) وزعماء M. B. S. الانجليز الايرلنديين ، والنواب الفرنسيين وعدد ضخم من الصحفيين العالميين .. وعلى الدراسات المقارنة للمسألة المصرية والمسألة الايرندية ، فقد كانت موضوعات المناقشة تتركز حول :

- ١ - ايجاد منهج عملي لنشر المبادئ الوطنية بين الشعب .
- ٢ - ايجاد منهج اكثر فائدة لنشر التعليم الدستوري والسياسي
- ٣ - خلق منهج اكثر فعالية لاقامة مدارس حرة شعبية مستقلة عن الحكومة الانجليزية . مصرية .
- ٤ - اتخاذ الاجراءات الايجابية اللازمة لالغاء الرسوم الذي صدر اخيرا ضد حرية الصحافة - وحرية الدفاع عن حقوق الشعب .

٥ - اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد القانون الجديد بشأن رقابة
البوليس على الافراد . (٣٤٢)

كانت المناقشة في المؤتمر منظمة ومعقولة في موضوعيتها
ولهجتها (٣٤٣) ولكن روح المؤتمر الحقيقية تجلت في القرارات (٣٤٤)
وكان اول هذه القرارات هو المطلب التقليدي بالجلء الكامل ، مع
بعض الاضافات الحادة التي تعكس روح التقدميين الشبان .. ، عن
الحياة النيابية كما كان القرار الثاني يخص المعركة الناشئة ، والصراع
الحاد بين الاحزاب المصرية المختلفة ، وعن موضوع التعليم بشكل
خاص .. وبينما كان القرار الثالث عن الصحافة ، كان الخامس
احتجاجا على قانون الصحافة .. باختصار كانت القرارات هي الجلء ،
والحياة النيابية ، وحرية الصحافة .

وفي سبتمبر عام ١٩١٠ في الفترة من ٢١ الى ٢٤ عقد مؤتمر
الحزب الوطني الثاني في بروكسل .. ووسط حشد من المظاهرات في
القاهرة والاسكندرية ، غادرها ٢٢ عضوا برلمانيا مصرية على باخرة
خاصة الى المؤتمر .. ودعا فريد واعضاء الحزب كثير من السياسيين
الاحرار والصحفيين والمؤلفين الاوربيين .. وارسل بلنت - بطل
المسألة العراقية - الانجليزي برقية مطولة ملووءة بالعواطف للمؤتمر
وطرحت للمناقشة اربعة موضوعات بشكل رئيسي :

١ - السياسة العامة في مصر والسودان

٢ - المشكلة الادارية والزراعية

٣ - المشكلة المالية لاعادة وضع مصر المالي الصحيح في العالم .

٤ - التعليم (٣٤٦)

وقرأ حامد العلايلي سكرتير المؤتمر احد الاوراق المشيرة
المعروضة .. (٣٤٧) وكان حامد العلايلي وورقته يمثلان شخصية المؤتمر
كله .. فبالرغم من انه كان سطحيا وتافها ، فان ورقته كانت تحتوي

على بعض المعلومات المميزة وبدأت الورقة بتحيةة اصدقاء مصر ، ثم انطلقت في حشد من الموصوفات الغريبة للقوى والمنابع الثقافية للوطنية المصرية بالاسماء : الوطنية الزاهرة في التاريخ المصري القديم .. والمستوى الثقافي في الحضارة العربية .. والقوة المعنوية في الاسلام .. واكتساب الثقافة الاوربية الحديثة بالطبقات الرائدة .. ثم وصف المؤلف ما يتوقعه من صعوبات صحيحة وتقسية ومعنوية المصريين تحت الحكم البريطاني المضاد للسلام .. والنضج الذي يأمله للشعب اذا تحررت بلاده (٣٤٨)

كان المؤتمر - و تطرف النشاط الصحفي والفكري - دليل واضح على ان الحزب الوطني ، كان لا يزال اكثر الاحزاب تنظيما في الحياة الحزبية والسياسية في مصر .. (٣٤٩) بالرغم من ان المنافس القريب له قد وافق على تأييد انجلترا وفي ذلك ما فيه من استقرار معنوي .. والمنافس الثاني - اي الاصلاح الدستوري - يتمتع بحماية الخديوي ، الامر الذي يحصنه ويدعمه .

وليس من السهل تحديد السبب في استمرار انحدار الحزب الوطني خلال سنوات ١٩٠٨ - ١٩١٤ .. فهناك مجموعة من العناصر ربما تكون قد قامت بدور في هذا الانحدار .. كالصدمة التي تلقاها الحزب بالانشقاق بين الاقباط والمسلمين .. او تباعد الذين يؤيدون الحزب بعد تطرف صحافته .. او ربما كانت الشبهات التي القيت على شاويش وفريد في تعاونهما مع الباب العالي ، والتي اصابته منهم مقتلا ، واثارت ضدهم غضب الخديوي والاوروبيون الذين كانوا يعيشون في مصر ، وبالطبع الاحتلال الانجليزي .. اما اهم سبب وأقواها ، فهو غياب رئيس الحزب الكفاء بعد موت مصطفى كامل ، وهو أول مصيبة اصاب الحزب .. ثم كانت الخسارة الثانية بنفي محمد فريد بطريقة فظة في عام ١٩١١ .. والسبب الاخير هو اقرب الاسباب

الى المنطق .. ففي اكثر من مرة خلال الثمانيات ، كان بقاء او غياب الانسان الكفاء يقرر النجاح او الفشل في الحياة السياسية .

وتتضاءل المعلومات بعد ذلك عن الحزب الوطني خلال الحرب العالمية الاولى ، خصوصا بعد ان وقفت عداوته للانجليز تماما .. (٣٥٠) والحقيقة انه لم يوقف عداوته بمحض ارادته ، ولكن بقيام الحرب العالمية الاولى اعلنت الاحكام . ووقفت كل انواع النشاط السياسي والصحفي .. ولا شك ان ذلك الصمت الذي فرض على الاحزاب والاقلام كاد ان يلقي بالاحزاب كلها في غياهب النسيان في مصر .. وان كان الحزب الوطني قد حاول الافلات من هذا الصمت المفروض بالهرب الى اوربا حين كان يطمح في ان تنتصر القوى المضادة (٣٥١) لانجلترا ولو ان هذا الاتجاه يصعب اثباته ، كما يفتقر الى الادلة المادية لتأكيد .

ظل فريد وشاويش ينظران الى الباب العالي نظرة الحليف الطبيعي .. (٣٥٢) وكان يؤكد موقفهم هذا انهم وصلوا الى نقطة اللاعودة في عدائهم للانجليز ، بعد كل هذا الهجوم الصارخ .. وبقيام الحرب العالمية الاولى وجد فريد في القوى المعادية لانجلترا حليفا محتملا ، فذهب الى برلين ، (٣٥٣) ومات هناك في عام ١٩١٩ .. (٣٥٤) كذلك فعندما عاد الطلبة المصريين من الدول الحليفة الى مصر اثناء الحرب ، بقي اولئك الذين كانوا في برلين ، سواء الذين ارادوا البقاء ، او الذين اضطروا للبقاء رغم انهم لصعوبة العودة .. وبعض هؤلاء الذين ظلوا في برلين ، ايدوا المحور وسبوا للانجليز الموجودين في الشرق متاعب جمة .. (٣٥٥) وقد كان الالمان يركزون دعايتهم على مصر بوجه خاص .. (٣٥٦) وفي اوائل ١٩١٥ وصل نشاط المصريين في برلين الى حد انهم نظموا في برلين جمعية الوطنيين المصريين الشبان للاحتجاج على عزل الخديوي عباس حلمي الثاني . (٣٥٧)

نشرت مجلة Der neue Dierut خطابا وصلها من مصري تحت اسم « ابن طولون » في نهاية الحرب العالمية الاولى ، ازاح فيه الستار عن جمعية نظمها المصريون الوطنيون المعادين للاحتلال البريطاني في سويسرا ، واتفاقهم مع الالمان على القيام بحرب مفاجئة في مصر لطرد بريطانيا .. ولكن الشقاق دب بين اعضاء الجمعية لسبب لم يذكره الخطاب ، فاستقل اولئك الذين لا يريدون الارتباط بالمانيا بجمعية خاصة بهم .. واصبح للوطنيين المصريين في سويسرا جمعيتان ، احدهما على اتصال بالالمان سياسيا .. (٣٥٨)

ولم تكن سويسرا وحدها مقر الدعاية المصرية ضد انجلترا .. وانما ملأت دعايتهم كل اوربا .. ففي عام ١٩١٣ نشر محمد فهمي رئيس جمعية مصر الفتاة ، والروح المحركة للحزب الوطني - كتابا بعنوان :

La vérité sur la question d'Egypte memoire presente au 6ème congres universale Genève 12 - 28 Septembre 1912

وفي ١٩١٧ اعيد نشر الكتاب مع بعض التعديلات تحت عنوان La question d'Egypte وتميزت أصالة الكتاب في مناقشته الموضوعية للتاريخ السياسي والاقتصادي والقانوني في مصر منذ عهد محمد علي . والاسس العلمية التي دعم بها انكاره للوجود والاحتلال البريطاني في مصر .. وعاد محمود فهمي مرة اخرى يناقش بريطانيا بعمق في كتاب مفتوح الى المستر سكويت رئيس وزراء انجلترا يذكر فيه بريطانيا العظمى بوعودها التي لا تنفذ ويحذرهما من مكيدتها السرية لعزل حلمي الثاني ..

ولقد كان مشيرا حقا تحرك هذا الحزب الوطني بهذا الشكل النشط في اوربا .. ففي استوكهولم نشر فرع آخر للحزب كتيباً خلال

الحرب ، شرح فيه الحالة في الشرق الاوسط عموما ، وفي مصر بشكل خاص .. وعلميا اصدر برنامج يطالب فيه بالاستقلال الكامل لمصر والسودان ، ويختلف فيه مع حزب الوفد ، من انه يعارض المفاوضات مع بريطانيا ، الا اذا اعلنت الاستقلال الكامل لمصر ، بينما كان الوفد في الناحية الاخرى على استعداد للمفاوضات فورا .. وفي برن ، في ١٠ مارس ١٩١٩ نشر كتابا آخر بعنوان (٣٥٩) Appel on monde civilise وصف فيه الاستعمار البريطاني في مصر بالبوليسية المتطرفة والتجبر والفظاعة ، واتهم السلطات الانجليزية بشنق واعتقال الوطنيين المصريين الشرفاء باسم المحافظة على النظام فقد كان الانجليز فعلا يتهمون الحركات الوطنية في مصر خلال السبعة والثلاثون من الاحتلال (١٨٨٢ - ١٩١٩) باثارة الحقد ضد الاجانب .. وان كان الاضطهاد الذي اتبعه الانجليز ضد الوطنيين المصريين كان خليقا بان يثير أعماق مشاعر انكره لهم .. وكان بالفعل يحمل الاحرار في كل انحاء العالم - وخصوصا في بريطانيا العظمى ان يبدووا يد العون لحصول مصر على استقلالها .

واستمرت دعاية الحزب الوطنية لا تهدأ .. أصدر احتجاجا قويا ضد لجنة ملنر في ١٩١٩ و ١٩٢٠ (٣٦٠) وضد اتفاق ملنر - زغلول .. (٣٦١) كان حريصا على ان يظل الرأي العام المصري متحفزا ضد انجلترا .. حتى ولو كانت الوسيلة اثارة الشعور ضد ابسط الموضوعات .. مثل الاحتجاج على التهنئة التي ارسلها اللورد اللنبي باسم حكومة صاحبة الجلالة الى البرنس احمد فؤاد لمولد فاروق .. ورد فاروق على اللورد اللنبي بوصفه ولي العهد لعرش مصر (٣٦٢)

كما لم يتغير موقف الحزب الوطني العنيد من المفاوضات مع انجلترا .. فعندما كان عدلي يكن يتفاوض في لندن مع الحكومة البريطانية عام ١٩٢١ ، نشر فرع الحزب في برلين اعتراضا على المفاوضات قبل

اعتراف بريطانيا باستقلال مصر ، محددا مطلبه في خمس نقط :

- ١ - الاستقلال التام لمصر
- ٢ - الوحدة بين مصر والسودان
- ٣ - لا ارغام لمصر في تقديم المساعدة العسكرية لـانجلترا في المستقبل
- ٤ - لا معاهدات تربط الاقتصاد المصري باقتصاد الكومنولث البريطاني (٣٦٣)

٥ - لا تفرض معاهدات على مصر لمساعدة انجلترا في خططها الاستعمارية (٣٦٤)

وكما كان متوقعا ، فقد عارض الحزب الوطني اعلان فبراير ١٩٢٢ الجائر لموضه . . وارسلت اللجنة التنفيذية للحزب احتجاجا شديدا للجرائد تعترض فيه على الاعلان الانجليزي، وتحذر الاعضاء من الاشتراك في اللجنة المعنية لوضع الدستور . . (٣٦٥)

ويلتقط تونبي Taynbee المؤرخ البريطاني هذه الظاهرة ليقول انه للمرة الاولى منذ سنين عدة ، يجد المصريون انفسهم منقسمين على مسألة داخلية سياسية واضحة . . لانها تتعلق بموضوع ليس للاحتلال فيه دخل : (٣٦٦) والتقاط تونبي لهذه الظاهرة له مغزاه . . ان الواقع ان هذا الحدث في حد ذاته كان تحولا هاما ، تطورت فيه الحركات الوطنية في مصر من طور الاثارة ، الى مرحلة التحرك السياسي العملي . .

أبدى برنامج الحزب الوطني الذي نشر في جريدة اللواء ، بينما اعضاء الحزب يحملون حقائبهم للسفر الى لوزان ، بعض التغيير في الاهداف عن البرنامج الذي نشر في عام ١٩٢١ . . وعن برنامج ١٩٠٧ . . (٣٦٧) فمن فقرات البرنامج الثمانية ، كانت المطالب المعروفة تملأ الفقرات الخمس الاولى . . الاستقلال التام لمصر والسودان . وجلاء القوات البريطانية ، ورفض اي مفاوضات مع انجلترا ، او عقد اي اتفاقيات استثنائية معها في حوض النيل . .

اما الفترة السادسة فكانت تعترض على جميع القوانين التي فرضتها
انجلترا في ظل الاحكام العرفية خصوصا تلك التي تحد من
اتصال الحزب بالخدوي عباس حلمي الثاني .. (٣٦٨) وكان قد قضى
الجزء الاكبر من حياته مع الالمان والأتراك في بداية الحرب .. ثم اوضح
الجزء السابع من البرنامج الاتجاه الاسلامي للحزب وتعاطفه مع تركيا ..
كما كان يفعل مصطفى كامل من قبل .. وفي الجزء الثامن يتحدث
البرنامج عن طبيعة قنائة السويس ، كمصدر للمتعاب الاقتصادية
والعسكرية ، ويدعو الحزب لان يتمسك بالسيطرة على القنائة . حتى
لا تستغل في واحد من هاتين المشكلتين . (٣٦٩)

وبالرغم من غناء وجهة نظر الحزب ، كما هي واضحة في البرنامج
.. فان اعضائه الى مؤتمر السلام في لوزان ، حرصوا على ان يتخذوا
موقفا معتدلا ، حتى لا يبدون متعارضين مع حزب الوفد هناك .. (٣٧٠)
وقبل الانتخابات البرلمانية ، كان الحزب قد اختار محمد حافظ رمضان
النشيط ليحل محل محمد فريد في رئاسة الحزب .. (٣٧١) وقد بذلت
اللجنة التنفيذية للحزب - والتي كانت قد خفضت الى ٢٥ عضوا فقط
- جهدا كبيرا اثناء الانتخابات ، وحقت نجاحا تنظيميا على مستوى
عال . (٣٧٢)

ولان سياسة الحزب وجهت كلها لمقاومة الوفد ، فلم يحصل
الحزب في الانتخابات الا على عدة مقاعد بسيطة ومنى بعض زعماء
الحزب انفسهم بالهزيمة .. وركز الحزب جهوده في برلمان ١٩٢٤ على
نقد سياسة سعد زغلول الخارجية ، التي وصفوها بالتهاون فيما يختص
بمسألة السودان .. (٣٧٣) واستمر تضائل الحزب في التأثير السياسي،
حتى اصبح صفرا في السياسة المصرية . بلا فعالية ولا نشاط .. (٣٧٤)

وقد كان أمرا عجيبا .. من وجهة النظر العلمية .. ان ينتهي مثل

هذا الحزب ، وقد كان أكثر الاحزاب المصرية تنظيما ، بلجنته المركزية ، وفروعه المنتشرة في جميع انحاء القطر ، ونظامه الدعائي الممتاز ليفشل بهذا الشكل البائس في كل ما تناوله من أمور بعد الحرب العالمية الاولى .

لا يمكن تصور ان هذا الفشل يعود الى اسباب شخصية فقط . . . فقد تلقى الحزب ضربه الاولى بالمكيدة المؤامرة التي اوقعت الشقاق بين الاقباط والمسلمين داخله ، ثم ظلت تنخر عظامه حتى عام ١٩١٨ . . . وفي الفترة التالية والتي اشتبك فيها مع الوفد . . . لم يكن هناك فارق أيديولوجي كبير بين سياسته وبين سياسة حزب الوفد بما يميزه عليه . . . أما أسباب تفوق الوفد عليه بين الجماهير وتضاؤل شعبيته هو ، فيعود الى الاسباب الثلاثة :

اولا : ان سعد زغلول استطاع ان يقنع المصريين بعدم جدوى العناد في موضوع « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » الذي كان الحزب الوطني يتمسك به ، طالما ان بريطانيا اقوى من مصر .

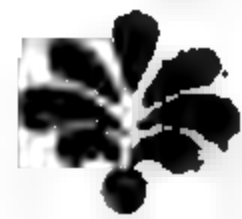
ثانيا : بينما كان الحزب الوطني يعتمد على « الانتلجنسيا » المثقفة وحدها في القاهرة والاسكندرية فقط انتشر الوفد في الارياف يقدم نفسه لجماهير الفلاحين ، حتى اصبحت له لجنة نشطة في كل قرية صغيرة في مصر . . . وكان الفلاحون انفسهم قد اصبخوا الان على درجة معقولة من الوعي السياسي يمكن ان يكون بها الوفد قاعدة له .

ثالثا : كان زغلول نفسه من اهم اسباب تفوق الوفد . . . في الوقت الذي يفتقر فيه الحزب الوطني الى الشخصية الكبيرة الكفاء ، بعد موت مصطفى كامل ، ثم نفي محمد فريد . . . ففي الشرق يقرر الرجال الكفاء مسيرة التاريخ . . . وفي التاريخ الحديث يعطي سعد زغلول اكبر الدلائل على ذلك . . . فمع ان سعد زغلول لم يقدم الى المصريين الا البرنامج الذي كان قد وضعه الحزب الوطني . . . فان الوفد هو الذي قاد مصر لعدد من السنين بعد ذلك .

بينما كانت الحركة الوطنية دينية عاطفية في ايام عرابي ، تهدف

الى تحريك الوعي الفلاحي لدواعي القضايا الوطنية .. قادت الحزب الوطني عقلية بوجوازية متأثرة بالثقافة الغربية .. يداعبها حلم اعادة تنظيم الاسلام ، ويسيطر على كل تنظيمها الفكري والحزبي في نظرتها للحرية السياسية وشكل الحكومة .. فلم يكن تغييرا حقيقيا في مناهجها .. وانما كان مجرد وسيلة لتنظيم حزبها وبرامجها ، بينما ظل يحتفظ بشكله الاوربي في جميع عناصره السياسية .

كان الدين هو كل قوة عرابي ، وسيطر الى درجة كبيرة على مواد السياسة ، وتنظيم الحزب ، وتقدم الحركة الوطنية في مصر حتى عام ١٩١٨ .. ثم جاء النفوذ السياسي والاقتصادي والفكر الاجتماعي مع الحرب العالمية .. حيث كانت الضرورة تدعو الى تعالي الدين كعقيدة مقدسة ، بعيدا عن الحركة السياسية العامة الشعبية التي تقدمت لتناضل من اجل استقلال مصر .



أحزاب ثانوية في أوائل القرن العشرين

بلغ النضال ضد الانجليز في مصر اقصاه خلال السنوات الاولى من القرن العشرين .. وتعمق الكره والشك في خطط الاحتلال البريطاني لعوده التي لا تنفذ ، وفشله في كل الميادين .. وأمدت المعتقدات الدينية والاسباب الاقتصادية والطموح ، مثقفي مصر بمادة للكفاح ضد الانجليز وعسفهم الاستعماري في مصر .

بعنوان « خطاب من مصري الى سياسي انجليزي حول المسألة المصرية » كتب احد المصريين الى جون م. روبرتسون السياسي الانجليزي يعدد المظالم الانجليزية في مصر بانها : (٣٧٦)

١ - في الادارة القضائية في المحاكم الشعبية : الاشراف الانجليزي على وزارة العدل ضعيف ومتهافت وسلبى .. واغلب الموظفون الانجليز في المحاكم الشعبية صفار السن يفتقرون الى المعلومات الخاصة بالحقوق الشعبية ويجهلون العربية .

٢ - في التشريع : ليس للقضاة الانجليز الذين يعملون في التشريع خبرة عملية سابقة يابسط المسائل التشريعية في مصر .

٣ - السياحة : ينظر الانجليز الى هذا الموضوع من وجهة نظر واحدة ، لا تتصل بمصلحة مصر .

٤ - موت الاطفال : لم يهتم الانجليز بمشكلة السكان او اصلاح الحالة الاجتماعية في المدن او القرى في مصر .. وقد ارتفعت ارقام الاموات بين الاطفال ، بدلا من ان تنخفض (٣٧٧)

٥ - الشؤون المالية : لا تزال المصروفات متضخمة ، و لا يوجد دخل مباشر من القناة . وهناك امثلة كثيرة اخرى .

٦ - التنظيم المدني : اهتمت موضوعات التنظيم المدني تماما خصوصا بين الطبقة العاملة ، مما سبب تفشي الامراض وتعرض الكثيرين لخطر الموت .

٧ - الفقر المتفشي : لم تناقش هذه المشكلة ابدا .

٨ - المرتبات الحكومية : لم يراع العدل في اجراءات المرتبات .. فهناك وظائف كثيرة بلا عمل ، والمرتبات غير مناسبة خصوصا في الدرجات الصغرى من الوظائف للذين يحصلون على ٣ او ٤ جنيهات شهريا .

٩ - الزراعة : لا تزال دائرة الزراعة ضيقة .

١٠ - التعليم : لا ترى انجلترا في التعليم الا انه وسيلة لتخريج موظفين .. واغلب العلوم لا تزال تدرس بالانجليزية .

حزب الامة

تحت ضغط هذه المظالم الانجليزية في مصر .. ومظالم اخرى اكتشفها وعرفها المثقفون المصريون بتأثير الثقافة الاوربية التي ايقظت وعيهم على المصالح المادية والاقتصادية للشعوب .. تكونت احزاب اخرى في مصر الى جانب الحزب الوطني .. ولكنها لا تماثله في تنظيمه السياسي والفكري الحديث .. ولان هذه الاحزاب لم تكن تقوم على اساس تنظيمي او برامج سياسية محددة ، فقد ظل ارتباط اعضاؤها يقوم على العامل الشخصي وحده .. وحتى هؤلاء الاشخاص الذين يرتبط بهم اعضاء الحزب ، كان يؤيدهم القليل من الناس ، وافكارهم لا تخرج عن دائرة نفوذهم الضيقة .. ولذلك فلم يكونوا يستطيعوا أن يقدموا عضوا واحدا للبرلمانات التي قامت على أيامهم * (٣٧٨)

وعلى هذه الصورة خرج « حزب الامة » .. تكون في سبتمبر ١٩٠٧ بتأييد غير رسمي من اللورد كرومر والدوائر الانجليزية في مصر ..

جمعهم اللورد كرومر كاشخاص « حسني النية » لا يرضون عن برنامج الحزب الوطني « العنيف » ولا يريدون سيطرة الاتراك في مصر .. (٣٧٩) اغنياء ارسقراطيون ، يتعاطفون مع مبادئ الحزب الوطني احيانا ، ولكنهم يفضلون اتباع المزيد من الصبر والتفاهم مع

الانجليز في تحقيق هذه المبادئ... (٣٨٠) تجمعوا حول جريدة «الجريدة»
يشد أزهرهم تأييد اللورد كرومر واعوانه مثل رئيس الوزراء
مصطفى فهمي... ثم اطلقوا على تجمعهم اسم «حزب الامة» ونصوا
عليه حسن عبد الرازق رئيسا ، وبعد موته خلفه محمود سليمان . (٣٨١)

ولم يكن اعضاء المجلس التشريعي والجمعية العمومية وبعض كبار
الرسميين وحدهم الذين يؤيدون حزب الامة... فقد كان يؤيده سعد
زغلول وفتحي زغلول رئيس المحكمة العليا ، وأحمد لطفي السيد رئيس
تحرير الجريدة وبعض المعروفين الآخرين...

وواجه الحزب تحديان زعزا صفوفه الاول عندما تولى جروست
القنصلية العامة البريطانية خلفا لكرمر فوقف تأييده للحزب...
فاضطر الحزب ان يغير سياسته ايضا ، وعندما كان يطالب بالاصلاحات
التدريجية والتنظيمية اتجه الى المطالبة بالاستقلال التام في جريدته...
فلما غير الحزب سياسته عائدا الى مطلب الحزب الوطني ، انفض من
حواله الذين كانوا يتعاطفون الى الحزب الوطني ، وعلنوا عودتهم الى
حزبهم الاول ، حتى ولو سموا بالمتطرفين... وكان ذلك هو التحدي
الثاني .

ولد حزب الامة وعاش حياته كلها حول جريدة «الجريدة»
التي كان يرأسها المفكر الذكي أحمد لطفي السيد... والذي عين
بعد ذلك مديرا للجامعة ، ثم وزيرا في وزارة محمد محمود عام
١٩٣٨... (٣٨٣) اما الجريدة فانشئت في ٩ مارس ١٩٠٧ ، وفتحت
صفحاتها للشباب الوطني ، وكون منهم لطفي السيد جمعية من المؤلفين
والصحفيين لينظموا دراسات وتحقيقات للمطالبة بالتوسع في التعليم
وبعض التنظيمات الاخرى... وبالرغم من تكاليف الانتاج الغالية فان
الجريدة لفتت الانتباه اليها ، ولكن توزيعها لم يصل الى الانتشار الذي

وصلت اليه جريدة اللواء بما كانت تقدمه لقراءها من موضوعات
مشيرة (٣٨٥)

كانت الجريدة هي لوحة اعلان الحزب التي يعلن فيها برنامجها ..
وكانت فكرة الحزب الرئيسية تدور حول منح سلطات اوسع للمجلس
التشريعي والمجالس البلدية والجمعية العمومية ، خطوة في طريق الاعداد
التدريجي لمصر الى حياة نياية كاملة .. (٣٨٦) .. أما الوسيلة عند
الحزب بعد ذلك ، فهي اصلاح التعليم بجعله حرا وعاما واقامة المعاهد
مع تشجيع خاص للتعليم العالي .. كانت بصمات الشيخ محمد عبده
واضحة في سياسة الحزب .

وظلت سياسة الحزب من عام ١٩٠٧ الى ١٩١١ واحدة بلا تغيير او
تطور .. فلما خرجت انجماهير اول مرة ، كانت في آخر مرة اذاعها
الحزب تتحدث عن تبني اللغة العربية كافة رسمية ، واشراف المجلس
التشريعي على التعليم والاهتمام بالتعليم الصناعي في المدن .. ويبيدي
ايمانه العميق بالحريات وسلطة الشعب ، ورفع مستوى المصريين
الاداري ومحاكمة الاجانب في المحاكم المختلطة محاكمات حقيقية . (٣٨٧)

فقد كان الذين يضعون سياسة الحزب من طبقات مختلفة في
الشكل والموضوع ، ولكن الاغلبية السائدة في الحزب كانت من الاغنياء
والارستقراطيين وذوي النفوذ .. ولو ان عددهم القليل وضعفهم وقلة
تنظيمهم لم تمكنهم ان يواجهوا الحرب العالمية وانوائها ، كحزب .. فانهم
بشخصيتهم الواعية ذات الادراك العالي ظلت تجاهد فيما تظنه مطلبا
عاجلا لاجتمع يتطور بسرعة .. ولكنهم لم يؤمنوا بالقدرة على تغييره
بسهولة .

حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية

وصفت جريدة عربية تصدر في امريكا حزب آخر قام في مصر ، بأن اعضاء الحزب فريق من الناس الذين يأسوا من اخراج الانجليز فبدأوا يفكرون في خدمة مصر عن طريق التعاون مع الانجليز (٣٨٨) نشأ هذا الحزب ايضا حول جريدة المؤيد في عام ١٩٠٦ .. ما ان تكون الحزب الوطني ، وحزب الامة ، حتى بدأوا هم أيضا في اجراءات العضوية لتكوين ما سمي بحزب الاصلاح على المبادئ الدستورية .

ولوضع الشيخ علي يوسف كرئيس لجريدة المؤيد وعضويته البارزة في الجمعية العمومية ، (٣٩٠) فقد اصبح رئيسا للحزب الجديد .. واصبحت الجريدة كما هي العادة اللسان الناطق باسم الحزب .. (٣٩١) وكانت المؤيد مؤهلة لتقوم بهذه المهمة فهي جريدة قوية لها نفوذ كبير بين القراء .. ومنذ ان افتتحت في ديسمبر عام ١٨٨٩ .. وهي تلعب دورا هاما في الحياة والدين والسياسة في المجتمع المصري .. كانت تناقش الكثير من الموضوعات الاقتصادية والتجارية والمالية .. وكان تحمل عبء رفع مستوى العمل والادارة والتعليم والثقافة والشؤون السياسية والاكتشافات الجغرافية . (٣٩٢)

واذا كان حزبا يدعو الى التعاون مع الانجليز ، فهو لا بد يبدأ بالمداء للخديوي .. هكذا كان يقول برنامج السياسي في اول بنوده :

- ١ - تأييد سلطات الخديوي حتى لو لم تتفق مع فرمان السلطان
- ٢ - المناداة بتنفيذ الوعود البريطانية لمصر
- ٣ - الحياة النيابية بكل السلطات الكاملة السياسية والادارية في شؤون مصر

- ٤ - تعميم التعليم الاولى الحر ، وتدريس العلوم بالعربية .
- ٥ - زيادة عدد المصريين الموظفين في الحكومة ، مع تخفيض متساوي لهذه الزيادة بين الاوربيين .
- ٦ - اعطاء المحاكم المختلطة سلطة محاكمة الاجانب على جرائمهم (٣٩٣)

كان الفرق ضئيلا بين برنامج واهداف الاصلاح الدستوري ، وبين برنامج واهداف حزب الامة ، بصرف النظر عن موضوع الولاء للخديوي .. ولم يكن هذا البرنامج « خطابا ميتا » للاعضاء ، ولكن كان اهدافا القى به على صفحات المؤيد في مارس ١٩٠٨ ، يدعو المصريين الى مطالبة الخديوي ليقم حياة نيابية بسلطات مجلس شورى النواب لعام ١٨٨١ . (٣٩٤)

ولم يجد حزب الاصلاح الدستوري ما يضيفه الى سياسته بعد خمس سنوات ، الا بعد الاضافات التي اعلنها في عام ١٩١١ ، في الرأي والقانون والادارة واملاك الايتام .. وغيره .

وكما هو واضح فقد كانت سياسة الحزب اكثر من معتدلة .. وظلت كذلك حتى مات الشيخ علي يوسف .. في عام ١٩١١ وبموته وقف الحزب . وبعض الاشياء الصغيرة التي صنعها هذا الحزب انه جمع حوله مجموعة من الامراء المؤيدين .. ومحاولته التي لم تتم لافتتاح فروع في الريف تحت اشراف الجمعية العمومية .. (٣٩٦) واجتماع المؤتمر العام للحزب ليعترض على اقتراءات كرومر في كتابه « مصر الجديدة » (٣٩٧)

الحزب الوطني الحر

كانت القاعدة في ذلك الوقت ان يتكون الحزب حول جريدة ..
حول اللواء قام الحزب الوطني .. وحول الجريدة ولد حزب الامة ..
وحول المؤيد ولد الحزب الدستوري .. وحول المقطم خرج حزب
جديد اسمه الحزب الوطني الحر .

على ان الحزب الوطني الجديد .. كما يبدو من اسمه - كانت
له ظروف خاصة ومميزة فقد كان الدكتور صروف والدكتور نمر
والدكتور مكاريوس مجموعة من السوريين الذين فروا من عسف
الحكم التركي في سوريا ، وجاؤا الى مصر ليقدّموا للصحافة المصرية
كل خبرتهم الثقافية السياسية .. وقد فعلوا .. ولكن بهجوم اللواء على
السوريين المسيحيين لاتهامهم بالاستيلاء على المناصب الهامة في الدولة
وتحيز الاحتلال الانجليزي لهم جعلهم يتخذون موقفا غير ودي من
المصريين ، وبالذات جريدة اللواء التي كان ينشر فيها هذا الهجوم ،
والحزب الوطني .. وقام المقطم بالفعل بحملة للدفاع عن فوائدهم
الاحتلال والخدمات التي أداها لمصر وقد وجد بعض الاقباط
الارثوذكس السوريين في المقطم ركيزة يستندون اليها ، وكذلك فعل
بعض الاغنياء الذين رأوا في الحزب الوطني وتطرفه عمل ضمن
فتجمعوا كلهم حول المقطم يقودهم محمد وحيد الايوبي ، الذي اصبح

زعيمًا للحزب الوطني الحر وإنشأه في مايو ١٩٠٧ .. وان لم يبدأ
نشاطه الحقيقي والعملية العام ١٩٠٨ .

وقد أطلق الايوبي اسم الحزب الوطني الحر ليعدل على منافسته
ومعارضته المضادة للحزب الوطني .. وكأنه كان يمثل القوى الضارية
في الحزب وقلبه النابض ، فقد كان من الشجاعة ليكتب مقالا نشره في
المقطم عام ١٩٠٨ يودع فيه كرومر بحرارة ويرحب بحرارة اكثر
بالمستر جروت خليفته في قيادة النظام الانجليزي في مصر .. ولم يكتب
محمد وحيد بهذا الموقف السلبي ، فأقدم على موقف ايجابي اكثر
فكتب خطابا مفتوحا نشره في المقطم طبعا في سبتمبر ١٩٠٨ - الى
سير ادوارد جراي .. تحدث فيه عن المنفعة والآلاء التي أسبغها
الاحتلال البريطاني على مصر (٤٠١) ثم انتهز الفرصة ليقدّم برنامجا
لسياسة الحزب ذات الهدفين الرئيسيين .. يبدأ الاول بفائدة علاقات
الصداقة مع قوى الاستعمار الانجليزي والتعاون معه حتى يمكن
الاستفادة في اصلاح البلد .. وينتهي الهدف الثاني وهو التوسع في
نشر التعليم ليتمكن المصريين من استيعاب الحضارة الاوربية التي ادخلها
الانجليز الى مصر . (٤٠٢)

وبالطبع أثار هذا الخطاب ثورة الاحزاب والصحافة وظل وحيد
مادة للتشهير به كمثل للعملاء المفضوحين حتى اختفى ، ولم يسمع عنه
بعد ذلك ابدا ..

حزب مصر المستقلة

كانت المؤامرة التي دبرت للحزب الوطني وتسببت في تصدع الوحدة بين مسلميه واقباطه بعد موت مصطفى كامل ، احد العوامل التي دعت شخصية ممتازة من اعضائه هو اخنوع فانون (١٨٦٥ - ١٩١٨) الى الخروج من الحزب وتكوين حزب مصر المستقلة من الاقباط العاملين في حقل السياسة مع بعض الاغنياء ذوي النفوذ والسلطة ..

وبعد تكوين الحزب بقليل عام ١٩٠٨ دعا الى مؤتمر صحفي في الجريدة المصرية وبمقدرته انكبيرة الخضبة على التعبير ، وبمعلوماته الغزيرة القانونية ، اعلن انه بعد الضمانات التي اعطيت للانجليز ، فقد اصبح للمصريين ضمانات مماثلة لادارة شؤونهم وحدد سياسة الحزب في خطوط عدة :

- ١ - وحدة مصر والسودان
- ٢ - استقلال مصر
- ٣ - الفاء الامتيازات القانونية
- ٤ - تحقيق الرخاء والتقدم للمواطنين في وادي النيل
- ٥ - التوسع في اعطاء الجنسية المصرية لتشمل المصريين والذين تمصروا
- ٦ - تبسيط القانون المدني المصري من حيث المعنى والمبدأ
- ٧ - تحقيق صداقة حقيقية بين مصر وبريطانيا
- ٨ - الاحتفاظ بالطلاقات الطيبة مع الاجانب ، وضمان امتيازاتهم وحقوقهم المشروعة قانونا .

- ٩ - الفصل بين الدين والسياسة ، بقانون
- ١٠ - فرض ضريبة دخل على الأجانب
- ١١ - عقد معاهدة بين مصر وإنجلترا ، تحقق لمصر التسهيلات التجارية والحماية العسكرية البريطانية
- ١٢ - انشاء مجلسين نيابيين بسلطات تشريعية نصف احدهما يتكون بالانتخاب من الأجانب الذين يقيمون في مصر منذ خمس سنين على الأقل .
- ١٣ - التعليم الاجباري الاول للجنسين
- ١٤ - اعادة تنظيم القضاء بقانون واحد مدني وجنائي (٤٠٣)
- ولكن الحزب لم يكتب له النجاح ولا البقاء بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها لكي يلعب دورا اي دور في الحياة السياسية المصرية .

حزب النبلاء

سألت العلاقات بين الخديوي ومصطفى كامل قبل موته الى درجة كبيرة ، ثم سار خليفته محمد فريد على نفس المنوال بل ذهب الى ابعد من ذلك فهاجم الخديوي هجوما قويا على صفحات اللواء ، فخرج بالخلاف من السر الى العلن ، في نفس الوقت الذي توطد فيه التعاون بين الخديوي وجروست مما جعل للخلاف مضمونا غنيفا وعميقا ..

ولاتخاذ موقف مضاد ضد هذا الاتجاه في الحزب الوطني ، خرج مجموعة من اعضاء الحزب الذين لا يوافقون على موقفه من الخديوي ليكونوا مع بعض الاثراك من المتمصرين الطبقة العليا من النبلاء في عام ١٩٠٨ ، ليكونوا حزبا مضادا اسمه حزب النبلاء ..

وكان حسن حلمي بك هو قلب حزب النبلاء المحرك ، اما مفكره وصانعه فكان فرج الجرجاوي ابن احد الوزراء السابقين الذي دافع بحماسة عن ولاء الحزب للسلطان التركي والخديوي والتعاون مع الانجليز لصالح مصر (٤٠٤)

ولم يكن لحزب لنبلاء هذا اي شكل ولا تأثير ، وسرعان ما ذهب ادراج الرياح ، بلا اي ذكرى تقال .

حزب مصر الفتاة

احيا نجاح حزب تركيا الفتاة في صيف ١٩٠٨ ، امل الكثير من الزعماء المصريين في ان تنال مصر حقوقا برلمانية مماثلة .. ولو ان الهواية السياسية كانت عنصرا مشتركا بين الزعماء السياسيين جميعا في ذلك الوقت فان ابرز العاملين في هذا الميدان هو ادريس راغب بك صاحب فكرة اقامة حزب مصر الفتاة .. وكما انشأ ادريس راغب بك حزب مصر الفتاة على قاعدة كره الحزب الوطني لموقفه من الاستعمار ، فان حزب الاصلاح الدستوري ، كان يكن له نفس عواطف الكره كمنافس في تأييد الاستعمار ، ثم لانه اشيع ان ادريس بك ينوي تغيير اسم الحزب من مصر الفتاة الى الحزب الدستوري ..

كان ادريس بك يعتقد ان الشعب البريطاني يظن ان في مصر حزبا واحدا بعدة اسماء لاتفاق الاحزاب على معاداة الانجليز ، وان هذا فقدان الثقة بين مصر وانجلترا سببه سوء التفاهم بين البلدين .. وفي برنامج حزب مصر الفتاة السياسي قدم ادريس بك العلاج لفقدان الثقة هذا ، باعلان تمثيله لمجموعة المصريين الممثلين للشعب الانجليزي العارفين بأفضال انجلترا ، التي لم تألوا جهدا - على حد قول برنامج الحزب في ان تستمع لشكاوى مصر وتحقيق مطالبها العادلة - واطرى الحزب الخدمات التي ادتها انجلترا لمصر - بالرغم من ان التعليم

والحياة النيابية ليست على مستوى الامال التي يرجوها اعضاء الحزب ..
حيث يجب ان تكون الحياة النيابية مرحلة انتقالا بين النيابية القنصلية ،
والنظام النيابي الكامل .. مع ضمان مركز مصر الدولي * (٤٠٩)

ولم يشعر انسان بما قاله ادريس بك ولم يبد احد اهتماما به وفي
عام ١٩١٠ عاد ادريس بك ينشر اتجاهه هذا في جريدة مصر الفرنسية
التي كان يرأس تحريرها ، وهو يحاول ان يجعلها صورة لجريدة اللواء
في الحزب الوطني .. ولكنها كانت صورة اكثر من منسوخة ، فانتهت
بسرعة ، وانتهى معها الحزب ، قبل ان تقوم لهما قائمة (٤١٠)

في الفترة ما بين عام ١٩٠٧ ونهاية الحرب العالمية الاولى ، رأى
المصريون سبعة احزاب سياسية : الحزب الوطني ، حزب الامة ،
الاصلاح على المبادئ الدستورية ، الوطني الحر ، النبلاء ، مصر
المستقلة ، مصر الفتاة *

كان الاول اكثرهم صوتا واحسنهم تنظيما .. والثاني والثالث اقل
قليلا من اهمية الاول ، تابعان للاحتلال ويعملان في خدمة الخديوي ..
اما الاحزاب الاخرى فكانت تتسم بالغرابة والعجب .. فالوطني الحر
ومصر المستقلة ، كانوا احتلاليين اكثر من حزب الامة .. وكان حزب
النبلاء اكثر تبعية للخديوي من الاصلاح على المبادئ الدستورية (٤١١)

وعمليا ، كان الحزب الوطني ، اكثر الاحزاب الاخرى التي قامت
على التبعية الشخصية لزعمائها .. وكانت شخصية هؤلاء الزعماء
ممكن طموح هذه الاحزاب .. ولذلك ، ان ماتوا او اختفوا ، ماتت
واختفت احزابهم ومرة اخرى يستثنى من هذه القاعدة الحزب الوطني
.. وان كان هذا الاستثناء لم يدم طويلا بعد انتهاء الحرب العالمية
الاولى *

اما البرامج السياسية لهذه الاحزاب ، فقد كانت صورة للاختلاف

الواضح .. كانوا يشتركون في النظرة الى موضوع واحد هو التعليم ..
وكانوا اقل اهتماما بالمسائل الداخلية ، والثقافة والاجتماع والاقتصاد ...
وختلفت نظراتهم في الاهتمام والتأييد : ولكنهم جميعا لم يعطوا الاهتمام
الكافي لرفع مستوى أبناء جلدتهم البؤساء في الريف .. تركزوا في
المدن ووجهوا جهودهم المكثفة نحو الاحتلال .. وعلى كل حال ، ففي
اتجاههم لمناقشة موضوع الاحتلال البريطاني ، ودرجات المقاومة التي
اعلنوها أو أبدوها .. كان هذا هو شكل الاختلاف بين حزب وآخر .

حزب الوفد

بقدر ما كان ذاك العدد الكبير من الاحزاب التي قامت اثناء وبعد الحرب العالمية ، مظهرًا للانقسام في الجبهة الداخلية في مصر ، بقدر ما كان في نفس الوقت ظاهرة للصحة السياسية والوعي الوطني ، وعلامة على تبشير الثورة التي تملأ الهواء •

ونفخت الصحافة وتقدم التعليم في جذوة اهتمام الجماهير بالسياسة •• وشيئا فشيئا بدأ المصريون يضعون ايديهم على الطريق الذي يصل بهم الى الحياة الاحسن •• وكانوا قد قرروا ان العمل السياسي في النضال ضد الاحتلال كعقبة في طريق تقدمهم هذا - هو الذي يحقق آمالهم في هذا التقدم •• اما الاسلوب فكان قد تقرر في ذهنهم من خلال ما كابدوه في الحرب العالمية الاولى ، وما بعدها • (٤١٣) كانت البيروقراطية غير الشعبية التي فرضها الانجليز على حياة المصريين من خلال جهله للنشاط السياسي محددة السلطة والعمل في ظل الاحكام العرفية ، قد اثارت غضب الرأي العام الوطني الذي ولد الان في مصر ونهيا •• وكانت مبادئ الرئيس ولسن قد اعلنت وقبلتها انجلترا عن الحكم الذاتي للشعوب وحقها في تقرير مصيرها قد شددت انتباه المصريين وأحيت الامل فيهم وانتظروا جميعا ان تنفذ انجلترا تلك المبادئ (٤١٤) التي قبلتها من ولسن •• الا القليلون ، وكانوا اقل من ان يكون لهم وزن •

ان اول ظاهرة هامة لثورة ١٩١٩ ، انها لم توجه بواحد من كل تلك الاحزاب التي كانت قائمة في مصر ، قبل الحرب العالمية الاولى - فكلها كانت تؤيد الاحتلال علنا او سرا .. وانما خرجت الثورة من الجميع وباسم الجميع الذين ذاقوا مرارة الحرمان في الحرب العالمية الاولى بشكل او بآخر .. واجتمعوا الان على تحقيق مطالبهم الوطنية - ليس فقط في الحكم الذاتي ولكن في الاستقلال التام ، بشكل عام وفي كل السلطات ... كانوا جميعا ابتداء من الوزير الذي أيد الانجليز في وقت ما ، حتى الطلبة الذين اندفعوا في مضمار الحركة الوطنية ، يشاركون الامة في الاضراب واشعال نار الثورة الشعبية العارمة . (٤١٥)

وكانت حركة الاحزاب والثورة قوية كاسحة .. طالبت بالجمهورية في المنيا وزفتى ، واماكن اخرى .. (٤١٦) كان خيال الثوريين ابعد من ان تقف في سبيله حدود ، ولكنهم كانوا صورة من روح ذلك الوقت .. ليسوا كالجيش والعناصر الدينية في ايام عرابي .. ولا المثقفون والمتعلمون ايام مصطفى كامل .. وان من هؤلاء من شاركوا في الحركة ، ولكن الفلاحون والريفيون والبسطاء وحدهم الذين كانوا وقود الثورة وعمادها الاول ضحوا بحياتهم وأموالهم ووقتهم ، وفي النهاية قدموا كل ما بين ايديهم ليدفعوا ثمن رحلة الوفد الى اوربا .. اما البورجوازيين في المدن فقد اقتصر دورهم في المدن على النفخ في النار بينما وقف الارستقراطيون على الحياد وبلا فعالية .. كان كل ما يستطيعوا ان يفعلوه هو الا يعارضوا الثورة .. احيانا بجذوة الوطنية الباقية .. وحيانا بالخوف من التعرض لتيارها الجارف .

ولم يكن اقتحام سعد زغلول للثورة مفاجئا .. كان نجاحه ونشاطه الملحوظ بين اعضاء المجلس التشريعي قد هيا عديدا من الاصدقاء الاوفياء والمعجبون بشخصيته القوية وآرائه القوية السديدة ..

وفي اثناء اشهر الحرب الاخيرة ، وضع سعد زغلول ومؤيديه طلبا بالغاء الامتيازات الاجنبية ، واقامة التنظيمات الدستورية على اسس سليمة ، واصلاح التعليم والزراعة .. وفوق ذلك كله الاستقلال التام . (٤٢٣)

وحول هذه المجموعة سيتكون الوفد .. وهؤلاء هم اول مهندسو هذه الحركة الشعبية ، التي ستهيء مصر لان تفوز بالاستقلال .. وهناك ثلاث روايات عن حقيقة الذين بدأوا هذه الشرارة التي اشعلت الثورة ..

الرواية الاولى .. تقول ان عمر طوسون (١٨٧٢ - ١٩٤١) (٤٢٤) واحد المثقفين من اسرة الخديوي ، وضع اثناء الحرب خطة لمشروع يقدم لمؤتمر السلام حين تتهيا الوفود الدولية في هذا المؤتمر لمناقشة المسألة المصرية وتقول الرواية انه استشار محمد سعيد باشا الذي رشح سعد زغلول ليقوم بمهمة عرض المشروع امام المنظمة الدولية وقد اصبحت هذه الفكرة هي احدي المبادئ الوفدية الدائمة الذي لم يتخل عنها ، حتى بينما كان الوفد يحاول الوصول الى اتفاق سريع مع انجلترا كحل موقت للمشكلة .

ان الرواية الثانية ، وهي مباشرة .. فتقول ان سعد زغلول ناقش الموضوع مع بعض الزعماء المصريين مثل عبد العزيز فهمي بك - وعلي شعراوي باشا ، واحمد لطفي السيد .. وان مناقشتهم انتهت في نهاية سبتمبر ١٩١٨ ، بوضع خطة لخطوات دبلوماسية للعمل ضد بريطانيا في الداخل والخارج ..

والرواية الاخيرة ترشح حسن رشدي باشا رئيس الوزراء ، انه اشعوره بمسؤوليته عن مستقبل مصر ، قد وضع خطة للكفاح الدبلوماسي ضد انجلترا ، وعرضها على عدلي يكن باشا الذي كسب الى جانبه سعد زغلول ومؤيديه . (٤٢٥)

ولا يهم اثبات اي الروايات أصح ، فلا توجد وثيقة مكتوبة تحدد حقيقة ما جرى في تلك المرحلة .. ولربما ، كان مناخ هذه الفترة فني حياة مصر ، قد اوحى الى جميع الزعماء السياسيين في تلك الفترة ان يفكروا في مشروعات مماثلة لتحقيق استقلال مصر بعد انتهاء الحرب .. ثم تلاقت افكارهم جميعا في خطة واحدة - تلك التي اتبعت بصرف النظر عن الوسيلة الرسمية او غير الرسمية التي تم بها الاتصال بينهم .

ولقد كتب كثيرا عن ثورة ١٩١٩ ، عظمتها واهميتها وآثارها الضخمة ، (٤٢٦) والصعوبات التي قابلتها ، والتي استمرت بعدها .. اما الضعوبة التي تهمننا هنا ، فهي تلك التي قابلت تكوين الوفد الذي يشارك سعد زغلول لحضور مؤتمر السلام ليمثل مصر .. فقد تكون وفد آخر ليقوم بنفس العمل يرأسه محمد سعيد باشا رئيس الوزراء ويرعاه الامير عمر طوسون ويشارك فيه بعض القيادات من اعضاء الحزب الوطني .. واختار سعد زغلول لقب « الوفد المصري » ينمى ابتكر الآخرون لقب « الوفد الوطني » .. وبعد صراع طويل استطاع سعد زغلول ان يكسب الى جانبه عددا من مؤيدي الحزب الوطني .. واهمهم جميعا مصطفى النحاس الذي كان جذوة المؤيدين .. وغدا اسم الوفد ينال الاسماع .

ومن اعضاء المجلس التشريعي كون سعد زغلول الوفد من اصدقائه ومؤيديه .. علي شواربي ، وعبد العزيز فهمي ، واحمد لطفي السيد ، وعلي المكباتي ومحمد علي واحمد الباسل وسنيوت حنا .. كان تشكيلا روعي فيه تمثيل مختلف العقائد والعناصر الاجتماعية في مصر . (٤٢٨)

ولكي يبقى اعضاء الوفد بعيدا عن يد الاعتقال ، وايضا لحمايته من الدسيسة والوقية والشقاق ، فقد ظل تشكيل الوفد سرا لفترة

طويلة بعد الاتفاق عليه .. وكان هذا التقليد اهم مميزاته لوقت طويل .
وبعد مقابلة جافة مع المفوض البريطاني سير ريجنالد وينجيت ،
اذاع الوفد اول بياناته باسم الشعب يطلب الاستقلال التام لمصر
بالوسائل السلمية .

وكان المفروض ان يحمل البيان توقيع اعضاء اللجنة التشريعية
فقط .. ولكن فكرة تدعو الى جعل البيان وثيقة شعبية دعت الى
توزيع صور من البيان على الجماهير ليوقعه كل المواطنين .. (٤٣٠)
وتحرك الحماس الوطني وراء صور البيان الموزعة وانفجرت المتاعب في
مصر مرة اخرى .. ولكن السلطات استطاعت ان تصادر نسخ البيان
التي امكن التوقيع عليها والتي لم توقع بعد .

بالتنظيم المحكم اكتسب الوفد قوة معنوية ضخمة ، وبفروعه
المنتشرة في جميع انحاء البلاد والمتصلة جميعها بيت الامة مباشرة
حيث يقيم سعد زغلول ، كان الوفد يسيطر على كافة المجالات في مصر
.. قادرا بإشارة واحدة تحويل البلاد كلها الى شعلة من الاضرابات
والمظاهرات مقفلة المحلات تموج بالغضب والعنف تلك القوى المعنوية
كانت زاد الوفد في نجاحه الساحق في انتخابات ١٩٢٣ - ١٩٢٤
البرلمانية . (٤٣٢)

ولعب هذا التنظيم دوره الكبير ابان سفر الوفديون الى اوربا في
ابريل ١٩١٩ .. فقد ظلت لجنته المركزية التي تركها وراءه في القاهرة
على اتصال بالاحداث العامة تمدهم بالمعلومات والمواد التي تساعدهم
على اداء عملهم في اوربا وتسيطر على الرأي لعام في مصر بما تذيعه من
اخبار الوفد في اوربا وجهوده للنضال من اجل مصر ونقلها عن الاسلوب
الهندي في التنظيم السياسي كانت تلك اللجان تؤدي عملها بنجاح ،
ولكل منها بديل تحل محلها فور القبض على سابقتها او تعطيلها عن
العمل .

ويحكم هذه اللجان لائحة تنفيذية من ٢٦ مادة • (٤٣٤)

فبعد قائمة اسماء الاعضاء ، يأتي الهدف الرئيسي وهو تحقيق الاستقلال لمصر بالوسائل السلمية ، وتستمد قوتها وتأيدها من ارادة الشعب الذي تمثله •• وتنص اللائحة على ان يقسم العضو بالمحافظة على السرية في كل المهام والاعمال التي يكلف بها ، وان ينفذ ما يصدر اليه من اوامر دون اعتراض ، ما دام في خدمة الشعب والحزب •• الرئيس والسكرتير وامين الصندوق يعينون ، وبجانب الاجتماعات التي يديرها ، فرئيس اللجنة مسؤول عن مراقبة تنظيماته والاشراف على اجراءات اللجان واعمال السكرتارية ، وحالة الدخل •• ويدير السكرتير الاعمال الكتابية للجنة الحزب الكتابية وشؤون الارشيف والمستندات ، ما عدا الحسابات •• اما امين الصندوق فمسؤوليته تقتصر على الاعمال المالية للحزب •• اي الدخل •

وعلى الاسلوب الحديث في الاحزاب الاوربية نظم طريقة وضع اعمال الاجتماعات - وأيبح لكل عضو في الحزب حرية مناقشة الآخرين في السياسة بصفته الشخصية وليست الحزبية •• وعلى ان يكون قد استأذن رئيسه المباشر في لجنة الحزب ، وعلى ان يرفع اليه تقريراً كتابياً عن موضوع المناقشة ••

وفي النهاية حددت اللائحة انتخاب لجنة مركزية للحزب ونظمت طريقة هذا الانتخاب •• وروعي ان يكون شخصيات اللجنة المركزية من القادرين على تدبير وسائل تمويل الحزب بصفتهم الشخصية ، او بجهودهم العامة •

ولم يكن التنظيم المركزي الشامل لجهاز الحزب ، هو الظاهرة الوحيدة ، في لائحة الحزب •• وانما كانت سلطات الرئيس المركزية التي اختص بها وحده احد العلامات المميزة في تنظيم الوفد •• فالرئيس

لا يرأس الاجتماعات ، ويوقع جدول الاعمال فحسب .. بل ايضا يهيمن على كل الاعمال التي يقوم بها رؤساء اللجان في الوفد وكل اعضائه .. حتى مناقشاتهم الخاصة التي يشتركون فيها خارج نطاق الحزب ، تخضع لاشرافه الكامل وسيطرته ..

صنعت ثورة ١٩١٩ لحزب الوفد مبداءه الرئيسي للنضال من اجل حق مصر في الاستقلال .. وعلى ضوء هذا المبدأ صاغ الوفد بقية خطوطه السياسية باقامة حكومة دستورية تحترم حقوق الاجانب ، والامتيازات الاجنبية ، والدين العام ، وطبيعة قتال السويس .. (٤٣٦) وطأنت الخطوط الاخيرة ظنون اصحاب المصالح في مصر .

واضيفت في فترة لاحقة مبادئ اصلاح التعليم ، وتحسين مركز الفلاحين المادي والمعنوي (٤٣٧)

ولكن الوفد لم يكن قادرا دائما على السيطرة بالتزام الاعضاء بنصوص هذه المبادئ او الخروج عليها ... فمع ان جريدة الاخبار القاهرية والتي كانت تمثل حزب الوفد ، قد نشرت في عام ١٩٢١ نفس هذه المبادئ كبرنامج للوفد .. فان محمد كمال العضو العنيد في ايمانه بالاستقلال الكامل والعاجل كتب تعليقا على هذا البرنامج يحث فيه اعضاء الوفد الرسمي الا يقنعوا الا بالاستقلال الكامل خارجيا وداخليا .. وفسر الاستقلال الداخلي بالاشراف المصري الكامل على الشؤون المالية والتشريعية والقضاء والادارة الحكومية والتجارية ، والزراعة والبوليس والاعمال العامة .. اما الاستقلال الخارجي فكان معناه عند محمد كمال سيطرة مصر على كل ارتباطاتها الخارجية بما فيه مصلحة مصر الخاصة وحدها .. (٤٣٨) بما يعني بشكل عام جلاء الانجليز والقضاء على كل تدخل اجنبي في شؤون مصر .

ويعيد الوفد الاعلان عن مبادئه في مذكرة ارسلت الى جريدة التايمز Times في لندن ، بمناسبة بدء الدورة البرلمانية لمجلس العموم في فبراير عام ١٩٢٥ ، ويناشد فيها ممثلو الشعب البريطاني ان يساهموا في رفع المظالم التي يتعرض لها الشعب المصري ، بوجود الاحتلال الانجليزي . . وفي غيبة سعد زغلول في المنفى ، وقع البرقية حمد الباسل عضو المجلس التشريعي السابق واحد مؤسسي الوفد ، وواصف غالي المحامي ، وويصا واصف محامي المحكمة المختلطة بالقاهرة ، وجورج خياط من اعيان اسيوط ، وعلي ماهر المحامي ، وعلوي الجزار عضو المجلس التشريعي السابق ومراد الشريعي من اعيان المنيا .

ولكي تبرر المذكرة البرقية ان مصر لم تكن ابدا ضمن ممتلكات الامبراطورية البريطانية ذكرت اربعة نقاط :

١ - ان مصر لا يمكن ان تحكم بقوى اجنبية ، ولكن يمكن معالجة الامر باتفاق تحالف بين مصر وبريطانيا العظمى .

٢ - تاكد تأمين قناة السويس وحيادها بالاتفاقيات الدولية ، ويمكن للجيش المصري ان يكون مسؤولا عنها .

٣ - يمكن التاكد من ضمان المصالح البريطانية في مصر ، والاجانب كانوا يوجدون في مصر قبل الاحتلال وحقوقهم كانت مصونة . والامتيازات المنصوص عليها في مصر الان تحمي مصالح الاجانب في مصر . . ولو انه يجب ان تحقق .

٤ - نصيب الحكومة البريطانية في الدين المصري العام مصونة بخطاب الضمان العام . . ويمكن اعادة تأكيد ضمانها .

بهذه البرقية كان الوفد يعيد تأكيد سياسته الرسمية التي سبق واعلنها في جريدة الاخبار كبرنامج سياسي له . . ويؤكد انه يسعى للحصول على الاستقلال التام ويلتزم بالوسائل السلمية ، عن طريق معاهدة تحالف ومن حيث كان الوفد يريد ان يضمن حماية المصالح المصرية والمصالح البريطانية بهذه الاقتراحات ، لم يكن يتصور انه باقتراحه هذا يقطع كل صلة للمالين البريطانيين بمصر . . الامر الذي يشكل عقبة كبرى في وجه الاستقلال .

وتأكدت قيادة الوفد للحركة الشعبية في عام ١٩٢٢ ، واصبح سعد زغلول بطلا وطنيا اسطوريا تؤلف فيه الاغانى المصرية ٠٠ (٤٤٠) فما ان صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، حتى تقبلته الاحزاب السياسية الاخرى بالترحيب واعتبرته تقدما كبيرا وهاما بوصفه اعترافا رسميا لأول مرة - من احدى الدول الاستعمارية بحق بلد كان قد احتلها بالقوة - بالاستقلال ٠٠ اصدر الوفد اعتراضا عنيفا على التصريح يسميه فيه الاستقلال مع العار ٠٠ (٣٤٣)

ويختلف حزب الوفد مرة اخرى عن بقية الاحزاب الاخرى في تصوره لدستور ١٩٢٣ ، الذي يرى ان تضعه لجنة منتخبة من الجمهور ، وليس لجنة معينة ٠ (٤٤٤)

كل هذه الاختلافات بين نظرة الوفد ونظرة الاحزاب الاخرى في هذه الموضوعات الجذرية ، عرقلت محاولة قام بها الوفد لتوحيد الاحزاب السياسية ٠٠ (٤٤٥) ودفعت في نفس الوقت اعضاء الحزب نفسه الى التفكير جديا في تشكيل تكتلهم كحزب ، وبين ايديهم صورة تنظيمية على أحدث الاسس ، وبرنامج متكامل التصور ٠٠ ودفع هذه الفكرة الى حيز التنفيذ بعض الاخطاء التي كان يرتكبها المؤيدون للوفد في برلمان ١٩٢٤ باحراج الحكومة او معارضتها في اخذ الاصوات ٠٠

وفي قرار عاجل. تقرر تكوين حزب الوفد كتنظيم حزبي للقضاء على كل هذه المتاعب ٠٠ وفي بيت حمد الباسل باشا قرأ مكرم عبيد الذي كان يسمى خطيب الوفد - الاعلان التشريعي لتشكيل الوفد ٠٠ واختير له اسم « حزب الوفد النيابي »

وفي هذا الاجتماع تقرر قانون الحزب الذي على أساسه تتكون اللجنة التنفيذية برئاسة سعد زغلول وعضوين من كل مديرية ٠٠ وانتخب الاربعة عشر عضوا في الحال وضمت اللجنة التنفيذية الجديدة

الى اللجنة الوفدية وفي ١٤ مايو ١٩٢٤ قرر الشيوخ الوفديون تكوين « الهيئة الوفدية بمجلس الشيوخ » ، وانتخبت اللجنة في الحال .. وحضر سعد زغلول كلا الاجتماعين ، ولا شك انه كان الملهم لهذه الحركة الجديدة في تاريخ حزب الوفد . (٤٤٦)

بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٤ ظلت مهمة الوفد الرئيسية النضال من اجل الاستقلال التام ، ان يحقق الوحدة الوطنية بين المصريين جميعا .. واطلقت الصحافة على هذه المهمة لفظ « الاتحاد المقدس » نسبة للاتحاد المقدس الذي استعملته صحافة الحلفاء اثناء الحرب العالمية الاولى . (٤٤٧) وكان مبدأ الاتحاد المقدس يفرض على الوفد ان يجاهد من اجل :
١ - توحيد المصريين جميعا تحت قيادته بصرف النظر عن الدين او الطبقة . ب - تنظيم الرأي العام المصري بما يحقق هذا الغرض الوطني لصالح مصر ..

ونجح الوفد في تحقيق وقيادة العهد المقدس ، بالدعاية والمثابرة .. فمن القرارات التي اثبتت نجاحها الباهر ، منذ القبض على سعد زغلول ، السرعة في تشكيل اللجنة الادارية بمجرد ابطال سابقتهما او اعتقال اعضائها .. (٤٤٨) ففي هذه الحالات لم تكن اعمال الدعاية والاثارة تتوقف .. وتنتشر الخطوط الدعائية بسرعة لا يمكن تصورها تدعو للافراج عن البطل الكبير المريض ، الذي ارسله الانجليز المتوحشين الى المناخ المميت في سيشيل .. كانت هذه الدعاية تجعل من سعد زغلول ورفاقه المعتقلون ابطال شهداء تنفعل باخبارهم ثورة الجماهير وغضبها .

ثم تتحول خطة الاثارة الى توجيه الجماهير للوسيلة التي بها يعلنون غضبتهم على الانجليز باسلوب عملي .. ففي ٢٣ يناير ١٩٢٢ صدر اعلان يطلب من جماهير الشعب مقاومة الانجليز سلبيا عن طريقين : عدم التعاون ، والاضراب . عدم التعاون : بان يقطع كل من له عمل مع

الانجليز علاقته بهم ، ويهمل توجيهاتهم ، ولا يشترك معهم في اي اجراء تنفيذي حتى يكونوا وحدهم المسؤولين عن سياسة القوة التي تتم ضد الوطنيين والجماهير في مصر .. وان يرفض الرسييون ان يطيعوا اوامرهم .. ولا يتعامل المصريون الا مع مصريين .. ولا يتعامل المحامون الا مع قضاة مصريين . (٤٥٠)

والاضراب : بان يسحب المصريون اموالهم المودعة في البنوك الانجليزية وان يحفظوها في بنك مصر ... والذين يشتركون في شركات انجليزية عليهم ان يبيعوا انصبتهم فيها ويقاطعوا التعامل معها .. ولا يستعملوا البواخر الانجليزية في اي غرض مهما كان ، وان يرفض الحمالون المصريون خدمة البواخر الانجليزية مهما تحسنت معاملتها معهم ، ولا يقربوا الا البضائع المصرية .. والتجار كذلك يجب ان يقاطعوا الانجليز مهما كانت الاسباب والمغريات .. وسيعطى التجار مهلة من ٣ الى ٦ اشهر للتخلص من البضائع الانجليزية التي في مخازنهم .. وعلى كل لجان الوفد ان تعلن تفاصيل هذا الاضراب على اعضائها المتصلون بهذه الاعمال والاضراب ضد المصريين الذين يرفضون تنفيذ هذه القرارات . (٤٥١)

وفي يونيو ١٩٢١ وزع طلب بدعوة الوزارة الى الاستقالة طاف القطر المصري كله ، وجمعت عليه التوقيعات باسرع مما تستطيع الوسائل البرقية .. وفي ١٤ من نفس الشهر ، لم يكذ ينتهي سعد زغلول من خطاب الاحتجاج الذي اعلنه في اجتماع في القاهرة على خطاب تشرشل عن مصر ، حتى كان في عدة ساعات على مائدة الاجتماع في كل لجنة حزب في انحاء القطر .. وفي سبتمبر واكتوبر زار خمسة من اعضاء مجلس العموم عمال القاهرة .. واصر حزب الوفد توجيهها للجماهير بان يكون الصوت الوحيد وموضوع المناقشة الوحيد مع اعضاء الوفد

هو استقلال مصر .. ومن التقرير الذي قدمه اعضاء الوفد البرلماني الانجليزي بعد عودتهم الى لندن ، تبين اثر تلك الوحدة الفكرية بين الجماهير للمطالبة بالوحدة فيهم . (٤٥٤) فقد كان رأيهم ان كل الذين قابلوهم في مصر من اغنياء وفقراء ومتعلمون وجهلة في الحفلات او الاجتماعات والمؤتمرات والوفود يصرون جميعا على الاستقلال .. وحتى الاوريون الذين قابلوهم في القاهرة ، قالوا انهم يؤمنون بإمكان عقد اتفاق ما ..

ولم تستطع الاختلافات في وجهات النظر في الرأي العام الوقوف في وجه اجراءات ودعايات الوفد .. (٤٥٥) وظل يعقد الاجتماعات وينشر دعايته ضد التدخل الاجنبي والاحتلال ، وينظم الاضرابات ويصدر البيانات ضد الانجليز او الحكومة المصرية المتواطئة .. (٤٥٨) وكان كل هذا الحشد من الدعاية ينشر في الصحف او يطبع في كتيبات .

وكانت آثار الوفد الدعائية في الصحافة فعالة بشكل عام ، اللهم الا بعض الجرائد مثل الكشكول ، التي كانت تهاجمه غالبا .. ولكنها في بعض الاحوال القليلة كانت تؤيده ولكن حزب الوفد استطاع الى جانب مجلته الرسمية كوكب الشرق ان يصدر مجلة هزلية اسبوعية اخرى باسم « خيال الظل » .. كما كسب تأييد الاهرام والبلاغ ووادي النيل ومصر .. (٤٦٠)

ويعبر مصطفى لطفى المنفلوطي الكاتب المشهور عن اثر الوفد في الكتاب والصحفيين في كتاب عن المقالات السياسية التي كتبت في عام ١٩٢١ - ١٩٢٣ ، (٤٦١) وكيف عكست العداء للانجليز وفقدان الثقة فيهم .. ثم كيف كالت بعد ذلك المديح لسعد زغلول والتأييد لحزبه ومعاونيه .. وكان مصطفى لطفى المنفلوطي يمثل في كتابه هذا جميع المثقفين الذين اتجهوا الى السياسة لتأييد حزب الوفد .. كما فعل

شوقي وحافظ من الشعراء الموهوبين الذين كتبوا قصائد في تأييد
الحركة واشادوا بسعد زغلول .

الا ان اثار سعد زغلول لم تتضح تماما في البلاد العربية والاسلامية
.. ولم يذكر عن هذه الاثار الا ما كتبه مراسل الهيرالد تريبيون في
القاهرة عن حجاج عرفات في عيد الاضحى وصلواتهم ودعائهم لتحرير
.. مصر وتأييد سعد زغلول .. وربما كان السبب الرئيسي لعدم ظهور
الدعاية الوفدية في الدول العربية هو تركيز دعاية حزب الوفد على
الجهة الداخلية في مصر .. والقوى الاجنبية في الخارج ..

فالى جانب الوثائق والبيانات التي ارسلت الى مؤتمر السلام خلال
عام ١٩١٩ (٤٦٣) ، قام الوفد بحملة اتصالات واسعة النطاق بين
الشخصيات السياسية الدولية .. وعلى صدى الدعاية الامريكية ، ظن
كثير من المصريين ان أمريكا قد دخلت الحرب العالمية دفاعا عن مبادئ
العدل والسلام ، فارسل الوفد عدة برقيات الى الرئيس ولسون وبعض
الزعماء السياسيين الامريكيين مثل السناتور بوراه كمشل للشيوخ
الامريكيين ، (٤٦٤) ليحاولوا استمالتهم لتأييد مصر .. بل اوفد الوفد
محمد محمود العضو المشهور في الحزب الى امريكا ليتقنع السياسيين
الامريكيين بحق مصر العادل في الاستقلال .

اما ايطاليا فكانت الدولة الوحيدة في الحلفاء التي لم تؤيد الحماية
على مصر .. وليستغل الوفد هذا الوضع ارسل بعض البرقيات الى
أورلاندو السياسي الايطالي المشهور ، كما ارسل مذكرة للبرلمان الايطالي
في ١٤ اغسطس ١٩١٩ يحث فيها الشعب الايطالي الذي لم يؤيد الاحتلال
البريطاني على مصر ، ويحتج على مواد ١٤٧ - ١٥٤ من معاهدة
السلام ، ويذكر الايطاليين بحضارة مصر الثقافية القديمة ، واستقلالها
الذاتي الذي يرجع الى عام ١٨٤٠ ، ثم يطالب بحق مصر في الاستقلال ،

وامل حزب الوفد في ان تستمر ايطاليا في رفض الحماية البريطانية على مصر ..

وبلغت الدعاية الوطنية للوفد ذروتها في انجلترا .. ففي عام ١٩١٩ طبع الحزب كتابا ابيض في باريس باللغة الانجليزية ، (٤٦٧) يجمع الوثائق ، وخطابات الزعماء المصريين ، وخطاب موجه الى لويد جورج ، وزعته في بريطانيا ومجلس العموم .. (٤٦٨)

وجاهد الطلبة المصريون لتوزيع هذا الكتيب ونظموا الاجتماعات مع النواب البريطانيين وطلبوا البيانات ، (٤٦٩) ونظموا الاضرابات حتى اذا كانت مشكلة مفاوضات ملنر (٤٧٠) عام ١٩٢٠ اضافت جمعية الطلبة في بريطانيا الى منشوراتها الكثيرة كتيبا : ايدت فيه الوفد ونقدت الانجليز بشدة على اقتراحهم الذي يعترض على مفاوضات ملنر - زغلول . (٤٧١)

وفي باريس ركز الوفد دعايته بخطاب ارسله الى كليمنصو (٤٧٢) وشجعوا ونشروا موضوعات اخرى في الصحافة الفرنسية مثل تقرير اللبني الذي اذاعه عن اسباب عدم الاستقرار والسخط في مصر .. وقد اذيع بترجمة فرنسية ، (٤٧٣) واخرى انجليزية . (٤٧٤)

وفي باريس ركز الوفد دعايته بخطاب ارسله الى كليمنصو (٤٧٢) الى مؤتمر السلام ، بعد اضافة بعض المعلومات عن الاضطهاد الانجليزي في مصر .. (٤٧٥) وركز الكتاب على المساعدات التي قدمتها مصر للحلفاء اثناء الحرب ، كما اعترض على تجزئة السلام الذي تعرضه انجلترا ، والذي يحول اعضاء الوفد المصري الى تجار في سوق السياسة

وبمساعدة الحزب الوطني ، ارسل الوفد الى مؤتمر لوزان في نوفمبر ١٩٢٢ مذكرة بتوقيع حسيب باشا نيابة عن سعد زغلول لاعادة مناقشة حق مصر في الاستقلال ، من اربعة نقاط :

١ - ان مركز مصر الدولي المعروف منذ عام ١٨٤٠ يؤكد ان مناقشة دولية يمكن تغيير اتفاق لندن الذي يضمن لمصر الحكم الذاتي الداخلي القريب من الاستقلال .. وان يدعم هذا التغيير بفرمان تركي .. فان بريطانيا احتلت مصر وفرضت حمايتها عليها ضد الاتفاقيات الدولية .

٢ - كل النقاط التي قدمتها انجلترا غير عادلة بواقع الحال الذي يشهد اعتدائها على سلطة مصر داخليا وخارجيا ، وان الحماية والاستقلال في نظر انجلترا ، هي اخضاع مصر تحت الاحتلال .

٣ - على عكس ما تقوله انجلترا ، فان رؤوس الاموال الاجنبية في مصر ليست في خطر ، ويمكن تأكيد ضمانها بمفاوضات بين مصر والدول مباشرة .

٤ - كانت السودان دائما جزء من مصر ، ويجعلها النيل مصدرا لحياة المصريين .

وبينما كانت المذكرة تشرح للمؤتمر كيف ان مصر عوقبت لانها طالبت بالاستقلال ، طالبت المؤتمر بالتالي :

- ١ - الاعتراف بالاستقلال التام لوادي النيل (مصر والسودان)
- ٢ - جلاء الجنود البريطانيين عن وادي النيل كله
- ٣ - تأكيد الحياد الفعلي التام لقناة السويس ، وان يعهد الى مصر المحافظة على هذا الحياد .

ولم يعترف الوفد ابدا بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ للاستقلال ، وكان في نظره شيء تعافه النفس .. ولان الدستور ١٩٢٣ قد ذكر في هذا التصريح ، فان الوفد كان يعارضه على اساس :

- ١ - ان الدستور لم يوضع بتمثيل نيابي في البلاد
- ٢ - ان كل الاجزاء الخاصة بوحدة وادي النيل قد حذفت
- ٣ - ان مصر لم تكن مستقلة في ظل الدستور الجديد باكثر مما كانت تحت الحماية . (٤٨٦)

ومع ذلك ، فان الوفد شارك بجد في اول انتخابات في ظل هذا الدستور .. بل كان المدافع المخلص عنه عندما اراد القصر ان يغيره باخر اقل منه حرية ..

وبديناميكية الوفد وتنظيمه المحكم اكتسح الوفديون هذه

الانتخابات في المدن والقرى ، وفازوا في مجلس النواب بمائة وثمانين مقعدا ، مقابل ٢٧ لكل الاحزاب الاخرى • (٤٨٧)

ووضعت حكومة سعد زغلول بعض المشروعات الداخلية فقط قبل تشكيل برلمان ١٩٢٤ •• ويقول امين يوسف (٤٨٨) احد المقربين الى سعد زغلول •• ان رئيس الوفد كان يضع الخطوط الرئيسية لاصلاح التعليم والادارة والقضاء والضرائب •• وسواء كان هذا صحيحا او خياليا : فان هذه المشروعات لم تخرج الى الوجود لان وزارة الوفد استقالت بعد مقتل سير لي ستاك •• ولقد كان المفروض ان يتجه نشاط أول وزارة للوفد للاهتمام بالمسائل الخارجية ، وخصوصا العلاقات الانجليزية المصرية المعقدة •• مما كان يحتم تعويق اي محاولة للاصلاح التنفيذي في الداخل • (٤٨٩)

عندما بدا الوفد نشاطه السياسي كقيادة شعبية تصنع الوحدة الوطنية من اجل الكفاح لتحقيق الاستقلال •• كان كمنظمة تحارب من اجل التحرر ، اكثر منها كحزب سياسي يضع برنامجا واهداف محددة •• اما بعد فشل مفاوضات ملر - زغلول ، فقد خرج بعض اعضاء الوفد الاقوياء وفي رأيهم ان مصر في حاجة الى قبول الشروط التي تنوي بريطانيا ان تقدمها •

ولقد فعل هذا الشقاق في حزب الوفد فعله • واندفع زعماءه يقودوا حركة شعبية متطرفة في انحاء البلاد •• وتنظيمات الوفد القوية ونفوذه الكبير ، استطاعوا توحيد القوى في مصر - بصرف النظر عن العقيدة والفوارق الاجتماعية - في جبهة واحدة تؤمن بالعداء للاحتلال الانجليزي ••

وقدم حزب الوفد لمصر اجل خدمة ، بخلق جبهة سياسية متحدة ، اخترقت حدود الدين والطبقات •• ونشرت الوعي الوطني بين القوى الجماهيرية العريضة ، التي كانت مبعدة دائما عن حقوقها السياسية •

أحزاب ثأنوية بعد سنوات الحرب

١ - الاحرار الدستوريين

بالرغم من غياب الرأي العام في مصر كحقيقة ايجابية في الحياة السياسية ، فالصحافة الوطنية والوفد استطاعا ان يحققا هذه الايجابية ، خاصة بعد الحرب العالمية الاولى ٠٠ (٤٩٢) ولقد كان غياب الرأي العام احد العوامل الهامة والحاسمة لظهور احزاب اخرى : الى جانب الوفد والحزب الوطني •

ولم تتوقف المنافسة والصراع بين سعد زغلول وعدلي ، بالرغم من انها لم تأخذ الشكل العلني ، الا في حالات قليلة ٠٠ (٤٩٣) ولا يمكن تحديد تطور الامور بينهما ، ولكن في اكتوبر ١٩٢٢ اجتمع ٢٥٠ شخصا في القاهرة لينشئوا حزبا جديدا كان رئيسه عدلي يكن ، ومعه من الاعضاء الوزير السابق احمد حشمت ، والسيد عبد الحميد البكري رئيس هيئة كبار العلماء ، والشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية ، وابراهيم الهلباوي وحسن عبد الرازق وعبد اللطيف المكباتي وشعراوي وصالح الملموم البدوي وتوفيق دوس بك ، وآخرين •

وبعد مقدمة عدلي يكن الحماسية تحدث عبد الحميد البكري ومحمد بخيت ٠٠ ثم تلا محمد محمود مبادئ تكوين الحزب الجديد الذي اطلقوا عليه « حزب الاحرار الدستوريين » ٠٠ وحسب النظام الاساسي للحزب تنتخب هيئة ادارية من ثلاثين عضوا ، كل ثلاث

سنوات ، بجمعية عمومية من الحزب .. وفي كل دورة تنتخب هذه اللجنة من بينها رئيسا ونائبين للرئيس وسكرتير وامين صندوق .

وسميت جريدة الحزب « الزمان » .. (٤٩٤) ثم حلت محلها جريدة السياسة فيما بعد . (٤٩٥)

ولم يكن نشاط الحزب ملحوظا ، ولا ناجحا .. ففي المراحل الاولى من حياة الحزب : تولى عدلي يكن الوزارة ثم عقد اجتماعا كبيرا ، القى فيه خطابا يبرر فيه اسباب قبوله دعوة الملك لتأليف الوزارة .. والحاجة الملحة لاتفاق الاحزاب ودور الصحافة في تحقيق الوحدة الوطنية . (٤٩٦)

فلما جاءت انتخابات اواخر عام ١٩٢٣ للبرلمان . لم يستطع الحزب ان يصل لأكثر من عدة كراسي ، بالرغم من البيانات التي وزعها ، والاجتماعات التي عقدها والنشاط الذي قام به زعماءه .. ففقدوا بذلك تأييد اعضاء البرلمان السابق ، ولم يستطيعوا كسب الكتل الحاكمة .. (٤٩٧) وفي غضبتهم لهذه الهزيمة الساحقة وافتقارهم للتأييد الجماهيري اندفعوا يهاجمون الوفد بضراوة ، ظهرت اثارها في مقالات هادرة على صفحات جريدة السياسة ، وعليها بصمات اعضاء الحزب المجربون ، والذين تعلموا هذا الاسلوب في الاحزاب (٤٩٩) الاخرى ... مثلما حدث في البيان الذي نشره الحزب بعد وقت قليل من هزيمته الانتخابية يهاجم فيها كلا من الوفد والانجليز على مفاوضات لندن الفاشلة ويحمل الوفد تبعة التهاون في المحافظة على الضمانات الكافية لحقوق مصر ، والمصالح المشتركة بين مصر والسودان .. ثم يطالب الجماهير في النهاية بان تحاسب الوزارة وان تجاهد في سبيل المصلحة العامة .. (٥٠١)

في مواد برنامج حزب الاحرار الدستوريين ، (٥٠٢) كان اولها

يعتبر اتفاق ١٩٢٢ عمل تقديمي .. ثم تسعى المواد التالية للاستقلال
ووحدة مصر والسودان .. وتطالب بدستور تقديمي ، ورعاية الحقوق
الفردية ومحاربة الامية بين الرجال والنساء ، واصلاحات الزراعة
والري ، والتصنيع واستغلال المصادر الطبيعية ، واصلاح الجمعيات
التعاونية ، وتنفيذ قانون عادل ينظم العلاقة بين الموظفين والوظائف .

ولم يضيف البرنامج بذلك جديدا في الاوساط السياسية .. ومع
ان الحزب كان له موقف التبعية للقصر ، فقد كان مع ذلك يطالب
بالاستقلال وحرية السلطات .. ولكي يرضي الحزب جميع الطبقات
والافكار ، شكل برنامجا لمجمع متقدم بالثقافة والاصلاحات
الاقتصادية . (٥٠٣)

كما لم يكن هذا البرنامج المزدحم هو البرنامج الوحيد الذي
اصدره حزب الاحرار الدستوريين بالطبع .. فالمعروف عن احزاب العالم
كلها - وليس الاحرار الدستوريين وحدهم - انها تصدر برامج قصيرة
حسب المناسبات . ففي اجتماع ٢٤ فبراير ١٩٢٣ ، وافق الحزب على
برنامج كان من الممكن لاي وزير ، بل لاي مصري ان يتبناه وان يتعهد
بتنفيذه باسمه .. مثل العمل على توحيد مصر والسودان ، واصدار
القانون الدستوري الكامل ، والغاء الاحكام العسكرية فورا ، والافراج
عن المعتقلين والمنفيين السياسيين ، وتبني سياسة للوحدة (٥٠٤)

١ - الاستقلال التام دون اي تدخل اجنبي في الشؤون الداخلية
والخارجية لمصر .

اما في انتخابات برلمان ١٩٢٣ ، فقد قدم الاحرار الدستوريين
برنامجا مخالفا تماما :

٢ - انتهاء الاحتلال العسكري لمصر .

٣ - لا توجد مشكلة سودانية ، ولا يجب ان تغطيها الحكومة اي
اهتمام

٤ - اجراء مفاوضات بين مصر وبين القوى ذات الشأن حول الامتيازات

٥ - تعيين الممثلين الدبلوماسيين المصريين في الدول الاجنبية فورا .

٦ - انضمام مصر الى عصبة الامم .

٧ - تصفية الخلاف بين الاحزاب المختلفة تمهيدا لتكوين جبهة متحدة تحقق هذه المطالب . (٥٠٥)

وكما هو واضح ، فالفارق بين هذا البرنامج وبرامج الاحزاب الاخرى ، يتركز في الاهتمام بالسياسة الخارجية والتعامل مع القوى الاجنبية .

وتعكس برامج حزب الاحرار الدستوريين جميعها طبيعة البورجوازيين الكبار .. فالحزب كان يمثل الاغنياء واصحاب الاراضي .. ثم بعض الارستقراطيين من سلالة العائلات التركية النبيلة .. مما كان يحتم اتصالهم بالقصر وارتباطهم بالملك ، مع انه كان يكره توقيع اتفاقية عادلة مع الانجليز .. (٥٠٦)

حزب الاتحاد

في ١٠ يناير ١٩٢٥ ، اوعز القصر الى رجله المخلص حسن نشأت باشا بالسعي لتكوين حزب يرأسه يحيى باشا ابراهيم ، رئيس الوزراء السابق - ورئيس اللجنة التي وضعت الدستور عام ١٩٢٧ ، والقفاز في يد الملك وقت اللزوم •

وهكذا جمع حزب الاتحاد بعض المؤيدين القلائل ليعمل في ظل القصر والملك بوضوح وعلنية • وبالرغم من انه نجح في ان يجتذب بعض الاعضاء في انتخابات برلمان ١٩٢٥ ، فقد ظل مؤيديه محدودي العدد ••

ولم يكن للحزب مهمة غير مساعدة الملك على حكم مصر بقوانين ملكية ، بدلا من حكم برلمان دستوري •• (٥٠٧) وكان وجود الحزب في الحكم امرا شاذًا • فلم يترك اي اثر على الحياة السياسية في مصر •

*

تميزت احزاب ما بعد الحرب العالمية الاولى بنشاطها الفياض في المعارضة ، واهدافها الكثيرة التي ملأت صفحات الجرائد •• ولقد لعبت الصحافة الوطنية دورا هاما في تنشيط حيوية هذه الاحزاب اكثر من ذي قبل •• ولقد كانت تلك الحيوية تبلغ ذروتها اثناء الانتخابات التي كانت عالم واسع مغموم بالاتصالات •

وبصرف النظر عن الخطط الرسمية للأحزاب وأهدافها التي ملأت البرامج والخطط ، فقد كانت الشؤون الخارجية لمصر ، وغالبا في العلاقة مع إنجلترا ، مركز اهتمام الأحزاب الأولى والأخير .. حتى أن هذا الاهتمام ينعكس في اهتمامهم الكامل للموضوعات الداخلية ، كالأصلاح الاجتماعي أو الإصلاح الاقتصادي ، لانشغالهم بمعارضة الانجليز .. وحتى يصل الأمر الى تجاهل المسألة الدستورية نفسها .. مع أهمية وضع الدستور كقاعدة لمعنى الاستقلال والحرية ..

واتفقت الأحزاب كلها في أمر واحد ، هو أن كل منها اعتقد أنه يمثل قلب الأمة الوحيد في تحقيق الاستقلال ، ومعارضة التدخل الأجنبي في شؤون مصر .. ومع أن الهدف عند الجميع كان واحدا ، فالوسائل كانت مختلفة .. فكانت وسائل الحزب الوطني تقليدية بينما كانت وسيلة الأحرار الدستوريين مقابلة الانجليز في منتصف الطريق . أما الاتحاد فكان يرجو ويسترضي .

وتشابهت كل أحزاب ما قبل الحرب العالمية الأولى في التنظيم .. وتحطم وانهار منها ما كان يعمل لحساب الاستعمار أو يؤيده بينما بقي من كان يقف مع القوى الوطنية فتخطى مرحلة الحرب العالمية الأولى ، ليأخذ مكانه في ميدان السياسة بعد نهايتها ..

وأهم تلك الأحزاب التي تخطت مرحلة الحرب العالمية ، الحزب الوطني .. ولكنه تضائل ليصبح أقل بكثير عما كان أيام الحرب الحرجية .. وليحل حزب الوفد محله ، وقد تبنى كل وجهات نظره ومبادئه في مقاومة الانجليز ، والعمل على تحقيق الوحدة الوطنية بصرف النظر عن العقيدة ، واشعال الثورة لتحقيق الاستقلال التام لمصر .

وفي مقابل حزب الإصلاح الدستوري الذي كان يؤيد صاحب العرش والإسلام علنا ، ويصادقه الانجليز في الخفاء ، قبل الحرب ..

جاء الاحرار الدستوريين بعد الحرب يعلنون نفس المبادئ ويدنون
بنفس الاهداف .

وكما فعل الخديو الذي لم يقنع في عام ١٩٠٨ بحزب الاصلاح
الدستوري ، فاعز بانشاء حزب النبلاء قليل العدد . ولكن مطلق
الاخلاص له . . فعل الملك نفس الشيء في عام ١٩٢٥ حين لم يقنع
بتبعية حزب الاحرار الدستوري فاتري الاخلاص له ، فاعز انشاء
حزب الاتحاد من مجموعة صغيرة ولكن يثق في اخلاصها العميق
لعرشه . .

وقد حدث تغيير في تنظيم الاحزاب المصرية : في خلال الربع الاول
من القرن العشرين .



مرحلة ما قبل ثورة ١٩٥٢

اوضحت طبيعة البرلمانات التي تكونت منذ ايام الخديوي اسماعيل ، ان الموضوعات التي كانت تناقش فيها عبرت في اغلب الاحيان عن المصالح الشخصية للاعضاء ، مثل المصالح الزراعية والضرائبية وغيرها ، مع تطور في التفكير للمطالبة بنصيب اكبر في ادارة البلاد .. وقد صبغت اغلب هذه الاهتمامات باهمال للموضوعات الاجتماعية يعززها مناخ سياسي عام مضطرب .. واثرا الاحتلال البريطاني وهموم الكفاح ضده في نمو الاهمال الاجتماعي لسنوات عدة ، سواء في المجلس التشريعي او الجمعية العمومية ، فاصبحت صورة للحياة البرلمانية ولكن دون فعالية ..

هذا المناخ لم يكن ليقدم عناصر سياسية ايجابية او نشطة . وكان الزعماء الدينيون في هذه المجالس انشط العاملين فيها .. فلما ضعفت هذه العناصر او تضاءلت ، تفتحت القوى الوطنية ، واصبحت تمثل الخبرة في هذه المجالس ، وفجرت اتجاهات جريئة وواعية استطاعت ان تكسب سلطات اوسع في مجلس شورى القوانين ، الذي كان بدوره يعطي اقرب التصور للتمثيل النيابي الحقيقي ، ويمنح الفرصة لرجل مثل سعد زغلول ليرفع صوت الامل والاماني الوطنية .

ولقد لعبت الحرب العالمية الاولى دورا هاما في الحياة البرلمانية

في مصر .. وبالرغم من ان المجلس التشريعي لم يدع في ظل الاحكام العسكرية ، فان الشعور بالوطنية السياسية كان اقوى من ان يموت .. بل على العكس فما ان انتهت الحرب العالمية حتى ارتفع صوت الرأي العام يطالب بدعوة البرلمان وبسلطات اوسع .

ومع ان جميع تلك البرلمانات من ١٨٦٦ الى ١٩٢٤ قد حاولت ان تبدو وكأنها تسير على نفس الخط الاوربي للحياة البرلمانية .. الا ان تصرفاتها كانت مظهرية .. فباستثناء برلمان ١٩٢٤ ، كان اعضاء تلك البرلمانات من اصحاب الاراضي الاعيان ، الذين لا يهتمون الا بالمسائل التي تؤثر عليهم شخصا .. او حين تهزم ثورة مؤثرة تدعو لاطهار قيمهم الشخصية ووطنيتهم العامة .

وبنمو الرأي العام ، تطورت الدعوة السياسية في الصحافة وازداد نضوجها .. وشيئا فشيئا كان على البرلمانية الدستورية ان تعتمد عليها وتركن اليها .. كما حدث يوم مناقشة واتخاذ القرار في مشروع مد امتياز قناة السويس عام ١٩١٠ .. فلم تكن الصحافة الوطنية تعبر عن الرأي العام فقط ، وانما ايضا تخرجه في شكله المؤثر .. ولذلك كان تأثيرها على الاحزاب السياسية قويا .. واكثر فعالية على البرلمانات الدستورية .

وتعرض تطور الاحزاب لمؤثرات عدة من الجمعيات السرية والهيئات الدينية ومؤامرات البيت الحاكم نفسه .. الا ان كل الاحزاب بلا استثناء منذ ايام عرابي ومصطفى كامل بدأت خطوتها الاولى بتجمعات حول الجرائد .. فلم تكن الصحف صوتها فقط ، ولكن عقلها ايضا .

ولاثبات ان جميع الاحزاب كانت تدور في حدود ضيقة ومحدودة، انها كانت كلها لا تسمح للمرأة ان تلعب فيها دورا .. والمرأة ليست نصف المجتمع فحسب ، وانما هي ايضا دليل على الاهتمام الحقيقي

بجوانب هامة ومتسعة من المجتمع .. وذلك معناه ايضا وبشكل غير واعي . الافتقار الى التعميم في اتجاهاتها .. فقد كانت جميعا وبلا استثناء ، تتبع شخصا واحدا معينا ، تتجمع فيه كفاءة الحزب كله . ويقرر مصيرها ، اكثر مما تقرره المبادئ .. حتى في الاحوال التي تخطط فيه بعض الاحزاب على اسس تنظيمية منقولة عن الانماط الاوربية ، كما حدث في الحزب الوطني او في حزب الوفد .. فلم تكن هذه التنظيمات تعمل بطريقة عملية حقيقية ، وقامت اكثر نشاطات هذين الحزبين على المزاج الشعبي اكثر مما تحركت وفق المبادئ الحزبية الفعالة .. ولا ادل على ذلك : من ان المثقفون المصريون مع انهم اثروا الحياة الحزبية بالكثير من افكارهم واعمالهم وتأيدهم الا انهم ابدا لم يلتحقوا بتنظيماتها .

وباستثناء ثورة عرابي ، فان الحزب الوطني وحزب الوفد وجميع الاحزاب السياسية كانت شكلا اكثر منها موضوعا .. لان الاجهزة التنظيمية في هذه الاحزاب ، كانت مجرد ادوات لتحقيق المطامح الشخصية لبعض الشخصيات في الحزب .. وفي حدود ثلاث احزاب رئيسية ، فقد بدأوا جميعا حركة وطنية شعبية .. فقد انتهت ثورة عرابي المعادية للانجليز قبل ان تجد الوقت الكافي لتشكيل حزبها الوطني .. اما مصطفى كامل فقد نظم السخط ضد الاستعمار في حزب حاول ان يكون له تنظيم اوربي حديث .. ولكن موته المبكر قضى على هذا الامل .. واخيرا جاء سعد زغلول يقود الاماني الوطنية في الاستقلال التام في حزب الوفد . وحتى عام ١٩٢٤ كان الوفد يتحمل المسؤولية بوصفه متحدثا باسم الشعب ، وليس كحزب .. ولكن ثقة الشعب الكبيرة فيه هي التي اضطرته لان ينضم الى قائمة الاحزاب السياسية العاملة .

ولم تكن بين الاحزاب السياسية في مصر اختلافات اجتماعية

واضحة ، لانها في محتواها الفكري والتنظيمي ، كانت جميعا تمثل كل الطبقات .. واكثريتها من الملاك .. ولم يكن نشاطها السياسي والدعائي يختلف كثيرا ايضا ، الا في درجة العنف والتأثير .. ولقد استغلت كل الاحزاب السلطات العاجلة الكاملة التي اعطيت للشعب وممثليه .. ولكن الحزبيون لم يحاولوا ابدا ان ينظموا لهذه السلطات الشعبية سياسة موجهة طويلة المدى .

أما الاختلاف الاول بين حزب وآخر ، فكان يتبلور في ميول الحزب نحو بريطانيا ومداه في التأييد او المعارضة .. حتى المشاكل الداخلية في مبادئ الاحزاب كانت تمارس حتى حوالى عام ١٩٢٢ — في ضوء العلاقة بين مصر وبريطانيا — .. كما كان الاختلاف الثاني بين الاحزاب يقوم في اتجاه الحزب للدين .. حتى في الايام الاولى للحياة الحزبية ، عندما كانت فكرة تكوين جبهة اسلامية عقيدة سائدة .. ومع ان الاغلبية من الاعضاء في الاحزاب كانوا مسلمين ، وميول الجميع اسلامية .. فقد حاول الحزب الوطني لعدة سنين ، كما نجح الوفد لفترة طويلة ، في تسييع اهمية اختلاف الدين بين اعضاء الحزب وتابعيه .

ان التناسق والاتفاق في الرأي العام الجماهيري ، كان اكثر قوة كحقيقة واضحة في هذا الجيل : كما كانت في الجيل السابق من السياسيين .. فبينما كانت كل الاحزاب تتحدث عن مقاومة التدخل الاجنبي والاحتلال البريطاني .. فان هذا الشعار كان يختلف تفسيره بين زعيم وزعيم ، او بين حزب وحزب .. اما ما كان يجب ان يكون متفقا عليه ، مثل التعليم والاقتصاد الاجتماعي ، وهي حقائق المحتوى الواسع للاماني الوطنية ، فقد كان يعيش سطحا في مبادئ الاحزاب .. والاعضاء يقفزون من حزب الى آخر .. حيث الولاء للطبقة ، اكثر تأثرا من الولاء للحزب .

قبل دعوة اول برلمان ، كانت الحياة النيابية والاحزاب مجرد أشكال ثانوية في المجتمع .. ومجرد واجهة رقيقة لتطور الحياة السياسية في مصر .. اما بعد عام ١٩٢٤ ، فقد تحولت الحياة البرلمانية والحزبية النشطة الى مرآة حقيقية للحياة السياسية في مصر .

وفي الجزء الكبير من هذه الفترة - فترة ما بعد عام ١٩٢٢ - لم تشكل الحياة السياسية اي نوع من المتاعب او الاحداث الهامة ، كتلك التي اقترنت بتاريخ مصر قبل ذلك ، وذلك لسيطرة الملك او بريطانيا على العمل السياسي والدستوري .. وحيث ظل العمل البرلماني والحزبي يخضع لنفوذ ثلاثة عوامل محددة ، هي الوفد والملك وانجلترا .. وبرغم تنظيم الوفد الفعال ، فقد كان يعتمد في مد نفوذه على الحماس الجماهيري الذي كان فعالا في حمل اعباء الثورة ، ولكن ليس في حكم البلاد .. واقتصر نفوذ الملك في اتجاهه الاستبدادي للحد من قوة الدستور لينفرد بالسلطة .. اما الانجليز فرحبوا بالصراع بين هاتين القوتين الوحيدتين في البلاد ، وايدوا الوفد احيانا ، والقصر غالبا ، في العن او في السر ، بالدسياسة او بالقوات العسكرية .. ليحتفظ بالصراع بينهما قائما وليظل للاحتلال الغلبة وحده .

وما كان هذا الصراع الذي استعملت فيه كل وسائل الدس والتآمر ليغير احد الطرفين ، الملك او الوفد ... فبينما كان الملك يتراجع في نظر الجماهير يوما بعد يوم .. كان الوفد يفقد اهم اعضائه بين حين وآخر لينضموا الى الاحزاب الاخرى ، او لينشئوا احزاب جديدة ، صغيرة .. وبطبيعة الامور ، فان تلك الاحزاب كانت تجد نفسها بالضرورة في موقف المؤيد للحكم الفردي الملكي عقب كل تعطيل للبرلمان .. وهكذا لم يبق برلمان واحد في دورته لخمس سنوات المحددة في دستور ١٩٢٣ .. كما وجدت هذه الاحزاب الصغيرة نفسها - وهذا هو الادهى - في خدمة الانجليز ، بشكل غير مباشر ،

من خلال الملك ، بتأييدها لمصالحه الشخصية الفردية .. خصوصا في علاقته بالوفد ..

ولم ير الملك في السلطات التي يمنحها له الدستور ، مجرد نوازع للسيطرة الفردية فحسب .. كما حدث حين حاول ان يفرض لنفسه تعيين خمس مجلس الشيوخ .. ولكنه كان يرى فيها اهم من ذلك سلاح يقضي به على كل حكومة متطرفة .. فاصدر عدة قرارات بتعيين شخصيات معادية للحكومة ، واسند اليهم وظائف القصر بمجرد رغبته في ذلك ، وبدون الرجوع الى اصول الدستور .. ليكونوا على اهبة الاستعداد لخدمة اغراضه ، في طرد الوزراء او تعطيل او حل البرلمانات ..

واحد من هذه الشخصيات كان احمد زيور .. فلما رفض سعد زغلول المذكرة الانجليزية بعد مقتل السير لي ستاك وقدم استقالته .. تقدم احمد زيور ليؤدي مهمته المدخر لها في القصر ، فيتولى الوزارة .. ويعطل البرلمان لمدة شهر .. ثم يفرضه في النهاية ليجري انتخابات جديدة .. ويستكمل كل اساليب الضغط على المرشحين ، ويزور الانتخابات بطريقة علنية شاذة تدعو فعلا لان يتوارى الملك خجلا منها .. ولكن اخلاقيات اشخاص مثل احمد زيور لا تتورع القبول بها .. (٥٠٨)

لمثل هذه المهام غير الطبيعية ، كان يجب ان تقوم احزاب تتخفى وراء وجه دستوري ، ليتسنى للملك ان يحكم من ورائها .. وكان عليها ان تقدم برنامجا ومبادئ تخدع به الرأي العام والوعي السياسي ، مثلما حدث في قيام حزب الاتحاد عام ١٩٢٥ .. فقد قدم حزب الاتحاد بعض المواد الشكلية - والتي لم تتحقق أبدا - لتذيعها في الجريدة الفرنسية « الحرية » La Liberté .. ولم يكن الشيء المؤسف الوحيد هو ان هذه الجريدة كانت تؤيد الوفد ، ولكن ان

بعض اعضاء الوفد - الحزب المنافس الوحيد للقصر - انضموا للحزب الملكي الجديد .. وحقيقة ان عدد الوفدين الذين انضموا لحزب الاتحاد كان صغيرا ، وباستثناء واحد او اثنين فلم يكن للآخرين اهمية ولكن هذه التغيرات في جو العمل السياسي في مصر في ذلك الوقت ، قد فجرت التوازن الاتهامية عند بعض السياسيين الذين فضلوا الولاء للقصر على تمسكهم بالمبادئ .. وبسرعة لم تكن متوقعة .

وبالرغم من كل ذلك ، فلم تعط الانتخابات لتحالف حزبي الاتحاد والاحرار الدستوريين الا بعض المقاعد القليلة .. مما اصبح محتما بعده ان ينتخب سعد زغلول رئيسا للمجلس .. وأمام هذا التحدي الجماهيري ، رفض الملك استقالة الوزارة كما كانت تقتضي الاصول الدستورية ، وأجل البرلمان مرة ثانية ، مصرا على الا يتولى شؤون الدولة الا رجالا يخلصون له وحده .. ولو على جثة الدستور .. معرضا مكائته والوزراء للنقد العلني لاعتدائه الصارخ على الدستور . ولم يقف الملك فؤاد عند حد في اعلان نواياه الاوتوقراطية ، فاتهم علي عبد الرازق بالتعريض بنظام الحكم ، في كتابه « الاسلام وعناصر الحكم » والذي حاول فيه ان يثبت ان الخلافة ليست عنصرا في الحكم الاسلامي ، فافسد على الملك فؤاد خطته في اعلان نفسه خليفة للمسلمين بعد الغاء الخلافة في تركيا .

وتحت ضغط السخط الذي انفجر في مصر وفي بلاد اسلامية اخرى على الوزراء لموقفهم السلبي من المحاكمة وموافقتهم على تقديم علي عبد الرازق للقضاء .. انقض التآلف الوزاري ، وخرج اعضاء حزب الاحرار .. الدستوريين من الوزارة وتركوا الاتحاديين وحدهم في الحكم .

ومع كل هذه البوار التي تدل على فشل تجربة التآمر على

الدستور .. فقد اندفع حزب الاتحاد في مغامرته ، فاصدر مرسوما ملكيا يحتم على التنظيمات السياسية (الاحزاب) ان تقدم بيانات لتنظيماتها واعضاؤها وفروعها وان تكون خاضعة لرقابة الحكومة ، والا تعرضت للاغلاق والمطاردة كتتنظيمات سرية ..

وفجر هذا المرسوم الغضب في الرأي العام السياسي ، ورفض الاحزاب الثلاثة - الوفد والحزب الوطني والاحرار الدستوريين - الخضوع لهذا القرار وعارضوا بشدة قبول مثل هذا التفويض بالاعدام . ولمواجهة التحدي الموجه للاحزاب الثلاثة ، فقد قرروا تنفيذ اقتراح امين الرافعي عضو الحزب الوطني ورئيس تحرير جريدة الاخبار، تطبيق المادة ٩٦ من الدستور المصري الذي ينص على اجتماع المجلس في يوم السبت الثالث من كل شهر نوفمبر سواء دعي او لم يدع ، في جلسة فوق العادة .

وفي يوم السبت ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ ، ذهب اغلب النواب والسيوخ محاطين بالمظاهرات الى فندق الكوتنتنال ليعقدوا اجتماعهم هناك ، بعد ان احتلت الحكومة مجلس البرلمان بقوات الجيش .. وبالاجماع وافقوا على افتتاح الدورة ومعارضة الاجراء غير الدستوري الذي اتخذته الحكومة ، وصدقوا على عدم الثقة بها .

وروعت الحكومة للجرأة التي اتسم بها قرار الاجماع ، وتصرف الاحزاب الثلاثة .. وان كانت قد تظاهرت بغير ذلك .. ثم لتفادي اتساع التمرد ووصوله الى الجماهير ، فقد ارادت ان تبرر استمرارها في تعطيل البرلمان ، فاعلنت في نهاية ذلك العام اصدار قانون انتخابي جديد تجري على اساسه انتخابات برلمانية اخرى .

واستجابة لبيانات الاحزاب الى الجماهير برفض التصويت في ظل هذا القانون الجديد الذي يحدد نصابا ماليا للناخبين في الدرجة الثانية ،

رفض بعض أعمد إجراء الانتخابات في بلادهم ، وأصرروا على الرفض حتى بعد أن فصلوا .

وفي غمرة المأساة انفجر تناقض مضحك .. اذ يطرد حسن نشأت باشا من منصبه في القصر تحت ضغط الانجليز ، وهو رئيس حزب الاتحاد الذي يتولى الوزارة . بعد أن يرتكب كل هذه المخالفات من أجل الملك .. وقد كان طرد حسن نشأت باشا من القصر ، مع التأييد الضخم الذي قدمه العمدة للحق الدستوري ، من العوامل التي شجعت الأحزاب الثلاثة على عقد اجتماع أعلنوا فيه مقاطعة الانتخابات .. ونشر القرار في الصحف .

وفي فبراير ١٩٢٦ عقد اجتماع شعبي موسع آخر .. حضره الى جانب نواب وشيوخ برلمانات ١٩٢٤ و ١٩٢٥ السابقة ، زعماء الأحزاب الثلاثة .. واتفق في هذا الاجتماع تأكيد مقاطعة الانتخابات تعبيراً عن المعارضة الموحدة من الأحزاب .. وأكثر من ذلك طالب الاجتماع بوقف المصروفات غير الواردة في ميزانية الدولة ، حتى يتم الموافقة على الميزانية بمجلس منتخب شعبي .

وتراجعت الحكومة أمام القوة الشعبية التي تحملها هذه القرارات - ولو انها اتخذت في اجتماع يضم البرلمانيون والحزبيون وحدهم - .. وأعلنت العودة الى قانون ١٩٢٤ في إجراء الانتخابات .

وأكد هذا النجاح الأولي أهمية الوحدة بين الأحزاب ، فازداد تماسكها .. وفي مظاهرة حقيقية للوحدة وضعت الأحزاب قوائم الانتخابات موزعة بينهم في المناطق المختلفة ، تحت عين الشك الحكومي في الائتلاف المشترك .

واعطت الانتخابات نصراً مؤزراً للوفد .. وبعد استقالة وزارة زيور ، تكونت حكومة ائتلافية من الوفد والاحرار الدستوريين ..

ورفض الحزب الوطني - كعادته - أن يشترك في وزارة بينما الاحتلال لا يزال يحكم البلاد ، مهما كانت الاسباب والاضاع .. وتخوفا من عداوة سعد زغلول للانجليز ، التي تهدد الوزارة الدستورية ، تقرر ان يتولى عدلي رئاسة الوزارة ، كعضو مستقل ، وقد ترك الان رئاسة الاحرار الدستوريين .. ولم يكن في هذه الوزارة وزيرا واحدا ممن اشتركوا في الوزارات السابقة . وقد ظل هذا المبدأ معمولاً به في الوزارتين التاليتين .. وفي ابريل ١٩٢٧ : استقال عدلي ، وتولى رئاسة الوزارة وزير خارجيته ثروت باشا .

وفي نشاط كبير عمل برلمان ١٩٢٦ تحت رئاسة سعد زغلول .. وبعد ان انتهى من مراجعة جميع القوانين التي صدرت في غيابه ، اتخذ خطوات عنيفة بتخفيض مصروفات الخدمات الاجنبية .. كما بذل بعض الجهود لاصلاح مركز القطن ورفع اسعاره ، كمصدر اساسي للدخل .. وفشلت محاولة لتخفيف سيطرة انجلترا على الجيش ، بعد مذكرات متبادلة مثيرة تعترض على وصول ثلاث بواخر حربية الى المياه المصرية .. فقد كان الانجليز يرفضون تخفيض حملتهم العسكرية الا على ضوء نتائج الاتفاقية التي ستتم .

وكان موت سعد زغلول في ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ ، صدمة كبيرة للسياسة المصرية .. فقد كان موت الزعيم العنيد الذي ناضل من اجل الاستقلال بعد الحرب العالمية الاولى ، خسارة حقيقية وكبيرة للقضية لا يختلف فيها المؤيدون والمعارضون .. وخسر البرلمان واحدا من افصح خطباءه ، ومحاربا من اجل حقوقه .. وفقد الوفد محقق وجوده .. بينما خسر الشعب مثلاً أعلا .

لم تتقدم المباحثات بين سير اوستن تشمبرلين وبين ثروت باشا تقدماً يذكر ، حتى بعد موت سعد زغلول .. فبالرغم من المكاسب التي

تضمنتها المباحثات لصالح مصر .. مثل وعد الانجليز باعادة النظر في امتيازات القوى الاجنبية والكبيرة في مصر .. فلم يكن ثروت واثقا من ان البرلمان سيوافق على طلبات الانجليز الاخرى ، التي تهدف الى تأكيد سيطرة الانجليز في مصر ، خصوصا في الاشراف على الجيش المصري ، وفي حماية مصر بالقوات الانجليزية ، واستمرار المستشارون الانجليز بوزارات المالية والعدل في مناصبهم .

واستقال ثروت في مارس ١٩٢٨ ، وخلفه نائب سعد زغلول السابق وخليفته المنتخب مصطفى النحاس .. ولم تستمر هذه الحكومة طويلا .. فقد تبودلت مذكرات حادة بين الحكومة الوفدية « وهوايت هول » انتهت بان امر الملك فؤاد بتعطيل البرلمان ثلاث سنوات . وقام بتنفيذ كل هذه الاجراءات غير الدستورية حكومة من الاحرار الدستوريين .. مما اثار سخط الوفد والحزب الوطني في معسكر متملىء بالغضب الشعبي ، ضد الانجليز الذين يقفون ضد الدستور .. ووجهت حملة ضارية في الصحف والاجتماعات الحزبية والشعبية ضد العسف الانجليزي في مصر .

ولاحظ الحزبين ان وقوفهما صامتين اجراء سلبي ، قد يجرفهما الى زوايا النسيان او انقراض الجماهير من حولهما .. وتقرر ان تعاد التجربة التي نجحت منذ ثلاث سنوات ، عندما اجتمع البرلمان من نفسه .. وفي هذه المرة كانت الدعوة للمجلسين لها اساس دستوري قوي ، بناء على قرارهم بالاجتماع بعد شهر يوم تعطل المجلس .. وكان الاجتماع في احد البيوت .. وكان الطريق الى مكان الاجتماع غاصا بالجيش والبوليس .. واعترض المجتمعون على قرار تعطيل المجلس غير القانوني ..

ولان قرار الحل لم يكن شمل مجلس الشيوخ ، فقد اعتبر نفسه

في دورة ، وهاجم اعتداء الحكومة على الدستور ، وحذرهما من ان كل ما تصدر من قوانين ، او تعقده من اتفاقيات لا تستند الى دستور او قانون .. ولم يشر الاجتماع الى حكومة محمد محمود الذي كان قد تولى الحكم بعد انقلاب مدبر ..

واقفلت الجرائد المعارضة ، ومنعت حرية الخطابة ، ومنع الرسميون في الحكومة من كتابة موضوعات في الجرائد او ارسال خطابات ، وحذر الطلبة من الاضراب .. ولتخدير الشعب قامت الحكومة ببعض الاصلاحات فاقامت مستشفيات ، وجففت برك ، وغيره من الموضوعات السطحية ..

ولكن هذه الاجراءات على كل حال ، لم تمنع البرلمان من ان يجتمع مرة اخرى من نفسه في نوفمبر ١٩٢٨ ، ويعلن عدم ثقته في الحكومة .. ومع ان الحكومة منعت نشر اخبار هذا الاجتماع ، الا انها انتشرت على اوسع مدى .

عندما سقطت حكومة المحافظين ب انتخابات ١٩٢٩ ، استدعى لورد لويد المعتمد البريطاني في القاهرة ، ليعود الى انجلترا .. واقترح ارثر هندرسون وزير الخارجية البريطاني الجديد على مصر عقد اتفاق ينهي المشاكل المعلقة بين البلدين .. والاتفاق المقترح الجديد كان ينص على انتهاء الاحتلال ، مع ابقاء قوة عسكرية في منطقة القناة .. وعلى ان تساعد الحكومة الانجليزية مصر في الغاء الامتيازات الاجنبية ، وان تنضم الى عصبة الامم .. ولانه كان من المفهوم ان موافقة البرلمان وحدها ، هي التي تجعل من هذا الاتفاق معاهدة قانونية ، فقد استقالت الحكومة وعقدت الانتخابات في اواخر ١٩٢٩ .

وقاطع الاحرار الدستوريون هذه الانتخابات ، ونال فيها الوفد اغلبية ساحقة في البرلمان ، وتكونت حكومة وفدية خالصة برئاسة

مصطفى النحاس في بداية ١٩٣٠ • واجتمع البرلمان مرة أخرى بعد غيبة •• وأهم ما أصدره هذا البرلمان هو دفعة الدفاع ، لزيادة الدخل في مصر وتشجيع الصناعة المحلية •• أما مشروع إنشاء بنك التسليف الزراعي ، فقد وضع هذا البرلمان مشروع قانونه ، ولكن الحكومة استقالت قبل ان توقعه •• ونسبت استقالة الحكومة الى الخلافات بين النحاس والملك فؤاد من جهة ، ثم فشل المحادثات بين النحاس وهندرسون من ناحية أخرى •• وكانت السودان هي الحجرة العثرة في المباحثات هذه المرة •

ورأس الحكومة الجديدة اسماعيل صدقي •• واحد من رجال زيور في حكومة الانقلاب والتأمر عام ١٩٢٥ •• وكون اسماعيل حكومته من رجال حزب الاتحاد المطوي في زوايا النسيان •• وكون الاثنان حزبا غريبا هو « حزب الشعب » •• وقد كون صدقي حزب الشعب الغريب هذا ليعطيه التأييد الشعبي •• ولو شكلا ••

وبدأ الصراع بين الحكومة والبرلمان ، حين اصدرت قرارا بتعطيله لمدة شهر •• وحطم النواب والشيوخ ابواب البرلمان ، وهم يطلبون سماع قرار التعطيل تحت قبة البرلمان •• ثم عقدوا اجتماعا قرروا فيه استمرار الجلسة ، ونقدوا حكومة اسماعيل صدقي بعنف ••

واجتمعت الهيئة البرلمانية الوفدية بعد ذلك مباشرة ، واصدرت بيانا طالبت فيه المصريين بحماية الدستور والامتناع عن كل انواع التعاون مع الحكومة غير الدستورية •• وبدأ زعماء الوفد جولات في انحاء البلاد ، وعقدوا مؤتمرات شعبية ، كانت غالبا ما تقاطع باشتباكات دموية مع البوليس والجيش ••

حينئذ عطلت الحكومة البرلمان نهائيا برغم صرخات الاحتجاج التي ارتفعت من كل جانب •• وبعد ثلاثة اشهر ، في ٢٢ اكتوبر ١٩٣٠ فض

البرلمان بمرسوم ملكي يعلن عن دستور جديد ، وقانون انتخابي جديد ..
وكان هذا القرار في حد ذاته اعتداء صارخ على الدستور ، الذي كان
يحتم اقلية ثلثي اعضاء المجلس لتغييره .. مع ان هذه الاقلية قد
اعترضت على قرار الغاؤه وتغيير الدستور الذي وقعه الملك .

وكانت المواد الاساسية في دستور ١٩٣٠ تختلف كثيرا عن
سابقه ، كما كانت حقوقه الاساسية واختصاصاته متنوعة .. كان دستور
١٩٣٠ الذي لم يتغير لمدة عشر سنوات ، يقيم العقوبات في التصويت على
عدم الثقة بالحكومة ، ويحدد فترة انتقال طويلة بين فضاء الدورة
البرلمانية ودعوة الاخرى ، ويعطي الهيئة التنفيذية سلطات تشريعية خلال
السبعة اشهر اثناء عطلة المجلس .. ووضعت شروط معقدة لمحاولة رفض
البرلمان للميزانية .. وزاد عدد الاعضاء المعينين في مجلس الشيوخ من
الخمسين الى ثلاثة اخصاس - واصبح اصدار القوانين المالية من حق
الملك ، ولا يعتبر مشروع القانون قانونا ، الا بموافقة الملك .. ويستطيع
الملك ان يجمع البرلمان كلما اراد ، (كان دستور ١٩٢٣ يجبر الملك على
دعوة البرلمان اذا طلب ذلك اقلية الثلثين من كلا المجلسين) . وتغير
قانون المجلس ليعطى تابعوا الملك فرصة للنجاح .

وعندما تبين ان المعارضة السلبية للدستور وقانون الانتخاب
الجديد ، لم تؤت ثمارا ، قرر الوفد والاحرار الدستوريون التحول الى
المقاومة الايجابية .. وبعد ان كانوا بدأوا معارضتهم بالطريق البرلماني ،
اتجهوا للجماهير في المؤتمرات والاجتماعات .. وكانت محاولاتهم لعقد
الاجتماعات دموية في جميع انحاء البلاد قبل واثناء الانتخابات ..
ومع كل هذا ، اجتمع برلمان ١٩٣١ ليصدر قرارا غريبا - من بين
قراراته الغريبة الكثيرة - باعطاء واحة جنوب ليطاليا .. وتلقفت الاحزاب
المعارضة الفرصة ، فانطلقت تثير الجماهير ، وامتلات الصحف بالدعاية
العنيفة .. ووجدت الحكومة في هذا المناخ المضطرب فرصة ذهبية لتزيد

من وطأة قبضتها الحديدية على البلاد.. وخصوصا على الصحافة. وتعثرت الاحوال اكثر بالمصيبة الاقتصادية التي حلت بالبلاد من جراء تدهور سوق القطن في العالم . ولم تتغير الامور بتولي عبد الفتاح يحيى باشا رئاسة الوزارة في نهاية عام ١٩٣٣ .. ولا عندما تلاه محمد توفيق نسيم في عام ١٩٣٤ .

كانت هذه التغيرات والتقلبات حتمية لتعطيل دستور ١٩٢٣ .. ولان الملك شعر بذلك ، فقد اصدر في ٦ نوفمبر ١٩٣٤ مرسوما ملكيا بالغاء دستور ١٩٣٠ ، وتعطيل البرلمان ، وتحويل كل السلطات اليه .. وكان يبدو ان الملك يريد تغيير دستور ١٩٢٣ ، ولكن الانجليز سرا وعلنا ضغطوا عليه لاقامة دستور جديد بمجلس منتخب .. واعلن ذلك سكرتير الشؤون الخارجية صمويل هور في قاعة Guildhall lecture في محاضرة القاها في اوائل نوفمبر ١٩٣٥ . وانفجرت في البلاد موجة من الاضرابات واسعة المدى اتهمت بعضها بالاصابات البدنية .. وحفزت هذه الاضرابات الشعبية زعماء الاحزاب الخمسة فارسلوا الى الملك التماسا باسم تجمعهم « كجبهة وطنية » .. واعيد دستور ١٩٢٣ برسم ملكي في ديسمبر ١٩٣٥ ، وقبل اعلان الانتخابات مات الملك فؤاد في ٢٨ ابريل ١٩٣٦ .

وتمت الانتخابات بسرعة تحت اشراف علي ماهر ، وكون النحاس الوزارة بعد نجاح الوفد في الانتخابات .. وكان اول عمل للحكومة هو توقيع اتفاقية ١٩٣٦ . وتمت المفاوضات في عهد فاروق ، وكانت قد بدأت ايام فؤاد . وقد وضعت الاتفاقية على قدم المساواة مع انجلترا ، بالرغم من انها اعطت انجلترا الحق في ان تحتفظ في منطقة القنال بقوة ضارية عسكرية وسلاح الطيران . على ان يزداد عدد هذه القوات في حالة الحرب وحالة الطوارئ العالمية . كما احتفظت انجلترا بحقها في السودان .

وانتهت الاتفاقية بنودها بالرغبة المشتركة في التعاون المنظم دائما ..
ولقد ازدادت هذه الرغبة عند التهديد الايطالي بالاعتداء على مصر ..
وبصرف النظر عن حقوق انجلترا الواسعة التي احتفظت بها في مصر
فالاتفاقية كانت خطوة هامة للاستقلال المصري او لسلطات المصريين
التي تأكدت بالغاء الامتيازات الاجنبية في مونترو عام ١٩٣٧ ، وكذلك في
انضمام مصر عضوا في عصبة الامم بعد ذلك ..

ومال حزب الوفد لمركزية القاهرة ظهرت مع تكوين القمصان الزرق
من التنظيمات الشبابية لحماية الشباب الوفدي من الوقوع تحت تأثير
الاحزاب الاخرى .. ثم تحول الى شكل سياسي يتبع الوفد وتفتت
العصبيات والمحسوبيات في الحزب ، فطرد محمود فهمي النقراشي واحمد
النقراشي واحمد ماهر من الحزب ليكونا الحزب السعدي مع مجموعة صغيرة من
الوفديين السابقين .. وبالرغم من ان هذا الخلاف قام اساسا على
نوازع شخصية ، فان الحزب الجديد اعطى بعض الاهتمامات
الاقتصادية .. وعندما عطل البرلمان او عقدت انتخابات ١٩٣٨ ، لحقت
بالوفد الهزيمة لتزييف الانتخابات .. ولدرجة ما بتأثير السخط عليه ..
ولاول مرة منذ انتخابات ١٩٢٤ - باستثناء مقاطعة الانتخابات - لم
يكن للوفد اغلبية في مجلس النواب .. فلقد اصبح للوفد معارضين
لشخصه - بصرف النظر عن تنظيم القمصان الزرق ..

واثناء الحرب العالمية الثانية طلب الانجليز اعلان الاحكام
العسكرية استنادا الى معاهدة ١٩٣٦ .. ووضعت الرقابة على
الصحف والسينما والاذاعة والخطابات الخاصة ، ووافق عليها البرلمان
في جلسة خاصة ... ولو ان الحرب كانت دائرة الا ان نشاط البرلمان
كان محدودا في المسائل الداخلية .. وابتدت بعض الاحزاب نشاطا
بالنسبة لما قبل الحرب ، تهربا من الاحكام العسكرية ، ولتحديد الخلافات
القديمة بينهم ..

وهكذا .. ففي عام ١٩٤٠ ارسل الوفد مذكرة قوية الى انجلترا ، يطلب فيها جلاء القوات البريطانية ، واعادة المباحثات السودانية فور انتهاء الحرب .. وبصرف النظر عن هذه المذكرة ، فان الانجليز كانوا يعتبرون الوفد الحزب الاقوى في مصر ، والذي لا يؤيد الالمان .. وقد هيا الانجليز الفرصة ليرأس النحاس باشا وزارة وفدية يكرهها الملك بان اجبروه بمحاصرة القصر بالدبابات في ٤ فبراير ١٩٤٢ .. وقاوم الملك فاروق في اول الامر ، ثم رضخ دون ان ينسى ذلك للانجليز .

من المميزات التي لا تنسى لهذه الحكومة الوفدية حقيقة : هو انها عطت اهتماما كبيرا للتعليم ، فاصدرت قانون التعليم المجاني الاول في عام ١٩٤٢ . كذلك اهتمت بتكوين الجامعة العربية ، وتشجيع التعاون المصري . وقد رفعت هذه الاعمال من رصيد الوفد في هذه الفترة ، وكان قد هبط قليلا بخروج سكرتيه مكرم عبيد الذي انشا حزب الكتلة الوفدية ضد الانجليز والوفد ..

وفي نهاية عام ١٩٤٤ . عندما تحركت الحرب بعيدا عن مصر ، طرد الملك فاروق النحاس باشا وعزل الوفد بعيدا عن مشاكل الشعب لعدة سنين .

كانت الحالة في مصر بعد الحرب العالمية الثانية ذكرى لاشكال كثيرة من مثيلتها في عام ١٩١٩ .. فالعدو الاكبر كان هو انجلترا .. وكان الجو ناضجا كما يبدو للاضرابات عامة ، واعمال العنف مرة اخرى .. وحقيقة ان مصر في هذه المرة كان عندها ملك ، وبرلمان ، وحكومة منها مع تمثيل نيابي ، ولهذا فان الصراع كان في الحصول على امتيازات سياسية ..

وبالفعل .. فبعد قليل بدأت المظاهرات الدموية ضد الانجليز كرد فعل لمباحثات صدقي بينن في عام ١٩٤٦ .. وقد اتفقت المباحثات على

نقاط رئيسية بدلا من معاهدة ١٩٣٦ ، بوضع معاهدة تحالف عسكرية لمدة عشرين سنة بين البلدين .. ومعاهدة مشتركة لا تفقد اثرها تحالف آخر مع اعداء احدي الدولتين ، او لتغير الوضع في السودان . حتى يصل الطرفان الى اتفاق جديد .

واجبرت الضجة الحكومة على رفض الاتفاق المقترح والاستقالة .. ولكن السخط والشك الشعبي العام . وصل الى مداه في السنوات التالية بارتكاب الجرائم واعمال العنف .. وزاد التوتر بالفشل في حرب فلسطين ... حتى مشاهدة الجيوش كعملية مظهرية ، لم تخفف من سخط الاهالي تحت وطأة ارتفاع الاسعار الذي جعل الفقراء اكثر فقرا .

واستغل الوفد هذا السخط في انتخابات يناير ١٩٥٠ ، ونال اغلبية في البرلمان .. وارتفعت المناظرات حول جلاء القوات البريطانية والوحدة مع السودان ، لان الشعب كان يتوقع ان يفي الحزب بوعوده . ولان حكومة الوفد لم تكن تستطيع شيئا في بدء عملها الجديد فقد بدأت بالطرق الدبلوماسية بينما فتح الباب للعنف .. وفي يناير ١٩٥٢ اعلن النحاس الفاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب واحد على حين انطلق الفدائيون من الطلبة ورجال البوليس يهاجمون القوات البريطانية في قاعدة السويس ..

واحترفت القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. وعاد فاروق يطرد النحاس ويعطى الاحكام العرفية .. ويتوالى رجال الاحزاب الصغيرة على رئاسة الوزارة .. ولكن دون ان تجرؤ هذه الاحزاب على حل البرلمان هذه المرة .. وربما لان الوفد نفسه وهو صاحب الاغلبية لم يكن في خطته ازعاج هذه الوزارات الصغيرة لغرض في نفسه ..

ولكن هذا الغرض لم يتحقق .. لان الثورة قامت في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

حواشي

١ - عبد الرحمن الرافعي . تاريخ الثورة القومية . الجزء الثالث

- ٢

Deny «Sommaire des archives turque du Caire» pp. 33-43.
Contrast Elgood «The transit of Egypt» p. 138.

- ٣

Cf. F.O. 78/628 Barnetts No. 18, to Aberdeen, dated Alex May 8, 1845.

- ٤

Quoted by Douin «Histoire de rigne du Kedive Ismail» Vol 1, p. 294

- ٥

Galad «Enstehung und Entwicklung der Tagespresse in Agypten» p. 53.

- ٦

Douin op. cit., Vol. 1, p. 296; Mc Coan «Egypt under Ismail» pp. 42-43.

٧ - الرافعي «عصر اسماعيل» . جزء ٢ ص ٩٢ - ٩٥ . محمد صبري «اتراك مصر» ص ١٤٩ - ١٥٠

Zananire «Le Khedive Ismail» p. 65.

٨ - النص الكامل لقانون «حدود مصر وانظمة مجلس شورى النواب المصري» نص اللائحة لمحمود حسن .

op. cit., pp. 121-125.

٩ - للنص الكامل انظر الرافعي «عصر اسماعيل» الجزء الثاني

ص ١٠٠ - الهلال الجزء ١٠١١ نوفمبر ١٩١٣ ص ٨٨

١٠ - نفس المصدر الجزء الثاني ص ١٠٠ - ١٠١

١١ - تاريخ السلطات النيابية . الهلال . الجزء ١٠١٨ يناير ١٩١٠

ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . نفس المصدر عدد نوفمبر ١٩١٣ ص ٨٧ - ٨٨ .

عصر اسماعيل جزء ٢ للرافعي ص ٤٠٤

Douin, op. cit., Vol. 1, pp. 304, 312, 313.

١٢ - « عصر اسماعيل للرافعي » جزء ٢ ص ١٠٤ - ١١٣
Sammarco, op. cit., pp. 140-141.

١٣ -
Cromer «Modern Egypt» Vol. 1, p. 68. Mc Coan, op. cit., pp. 42-49, bioves, « Français et Anglais en Egypte » 1881-1882», p. 7. S. Chonsky «Croquis Egyptiens», p. 87. Stephan, «Amin Osman». Le mouvement constitutionnel en Egypte, p. 47 Hervi, «L'Egypte». p. 185.

١٤ - رفاعة رافع « مناهج الادب » ص ٢١٥ . فقرته المنشورة في الهلال ١ يوليو ١٩٣٦ ص ١٨٩ - ١٩٠

١٥ - الرافعي . « عصر اسماعيل » . الجزء الثاني

١٦ - نفس المصدر

١٧ -
See Mc Coan «Egypt as it is» pp. 124-135

١٨ -
F.O. 78/2042 Reades' Despatch No. 17, to Stanly, dated Cairo, June 17, 1868 and Enc.

١٩ - الرافعي . نفس المصدر جزء ٢ ص ١١٦ - ١٢٢
Sammarco op. cit. Vol. 2, pp. 128-138

٢٠ -
Cf. Douin, ibid. Vol. II, p. 136. See also Luttke's sarcasm at this speech in his op. cit. Vol. II, pp. 94-95.

٢١ - عصر اسماعيل للرافعي جزء ٢ ص ١٢٧ - ١٢٩

٢٢ -
F.O. 78/2186, the beginning of Moore's No, 3,6 Granville dated Alex, June 20, 1871.

٢٣ -
F.O. 78/2139, Santon's No. 19, to Clarandon, dated Cairo, Feb. 4, 1870.

٢٤ -
Ibid. Luttke, op. cit. Vol. 11, pp. 52-53. Brehier «L'Egypte de 1798 a 1900».

٢٥ - الرافعي . عصر اسماعيل . جزء ٢ ص ١٤٠ - ١٤٥

٢٦ -
On this form taxation, See Mc Coan «Egypt as it is», pp. 125, 55

٢٧ - الرافعي نفس المصدر
Itani, «Les déclarations des droits de l'homme dans les constitutions récente de l'orient moyen», pp. 107-108.

- ٢٨ - الرافي . نفس المصدر . معارض ص ١٧٩ - ١٨٠
- ٢٩ -
- Mc Coan, Ibid, pp. 121, 141. Cromer, op. cit., Vol. 1, pp. 13-14.
- ٣٠ -
- F.O. 78/2632, Passim, esp. Enc. in Vivian's Pol. No. 115, to Derby, Cairo, May 4, 1877. Mc Coan «Egypt as it is» pp. 117-118.
- ٣١ - الرافي . نفس المصدر . ص ١٩٢ - ١٩٥
- ٣٢ -
- Vivians to Salisbury
- ٣٣ - الرافي نفس المصدر ص ١٩٠ - ١٩١
- ٣٤ -
- Saby, «Episode de la question d'Afrique» p. 341. Awad «La souveraineté Egyptienne»
- ٣٥ - الرافي . نفس المصدر ص ١٩٢ - ١٩٥
- ٣٦ - الرافي . نفس المصدر ص ١٨٥ - ١٩٨
- ٣٧ - نفس المصدر ٢٠٣ - ٢١٤
- Saleh, «Les pouvoirs du roi» pp. 99-102
- ٣٨ - الرافي . نفس المصدر . محمد حسنين هيكل «تراجم
مصرية وغربية» ص ٧٥ - ٧٦
- ٣٩ - النص في اهرام ١٢ يونيو ١٨٩٧
- ٤٠ -
- Vivian's to Salesbury, Cairo, Jan, 11, 1973. F.O.
- ٤١ - الرافي . الثورة العربية ص ١٧١ - ١٧٢ . والهلل عدد
يناير ١٩١٠ ص ٢٠٦
- ٤٢ -
- Shamay «An Egyptian Openion», p. 10.
- ٤٣ - تاريخ السلطة التشريعية . هلال نوفمبر ١٩١٠ ص ٨٨ - ٨٩
- ٤٤ - نفس المصدر
- ٤٥ - «تراجم» جورجى زيدان جزء ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٤
- Rothstin, «Egypt's ruin», pp. 142-143.
- ٤٦ - «كشف الستار عن تاريخ عرابي» جزء ١ ص ٢٧٥
- Sadek, «La constitution de l'Egypte», pp. 53.
- ٤٧ -
1. Adam, «L'Angleterre en Egypte», p. 53. Jerrald, «The Belgium of the East» pp. 114-143.
- Scotidis, «L'Egypte contemporaine et Anabi Poch» p. 39.

— ٤٨

Jerrald, op. cit., pp. 142-143. Dickey, op. cit. Nin. Gem. Vol. XII, 1882, p. 168.

٤٩ — الرافعي . الثورة العربية . هلال . احمد عرابي والثورة العربية . اكتوبر ١٩١١ ص ٣٥
٥٠ — الفريق جزء ١ ص ٩٦ — ٩٧ .

Affaires étrangères. Documents diplomatiques. Affaires d'Egypte 1881-1882.

جورجي زيدان . تاريخ مصر الحديث . جزء ٢ ص ٢٤٧
٥١ — الوقائع المصرية ٢٧ ديسمبر ١٨٨١ . الرافعي «الثورة العربية»
٥٢ — الرافعي . نفس المصدر
٥٣ — الوقائع المصرية ٣١ ديسمبر ١٨٨١ .

Cromer, op. cit., Vol. 1, p. 224

٥٤ — المقتطف . ابريل ١٩٠٨ ص ٢٧٧ بعنوان الثورات الثلاث
Ninet, «Arabi Pasha»

٥٥ — الرافعي . الثورة العربية ص ١٧٨ — ١٧٩
Boives, op. cit., p. 45

٥٦ — الوقائع المصرية ١٢ ديسمبر ١٨٨١ حتى فبراير ١٨٨٢
Blunt, «Secret history» Vol. 1, pp. 192, 55

٥٧ — نفس المصدر

٥٨ — خطاب البارودي في الوقائع المصرية ١٢ فبراير ١٨٨٢

٥٩ — الوقائع المصرية من ٢ فبراير الى مارس ١٨٨٢

— ٦٠

Malits to Granville, Cairo, Dec. 26, 1881. Biove's, op. cit. p. 45

٦١ — الوقائع المصرية ٢٢ فبراير الى ٢٠ ابريل ١٨٨٢ . زيدان ،
تاريخ مصر الحديث جزء ٢ ص ٢٤٥ — ٢٥٢

— ٦٢

Adam, op. cit., p. 53; Brechier, op. cit., p. 206. Van Bemmlen, «L'Egypte et Europe» Vol. 2. p. 285

— ٦٣

Le Monetier Egyptien, Mars 26-27, 1882

٦٤ — نفس المصدر

— ٦٥

Cf. Anon, «L'Egypte nouvelle, le contrôle européen et le régime parlementaire», p. 51

— ٦٦
An English resident in Egypt, «Egypt and constitutional rule»
Con. Rev, Vol. XLI, 1882, p. 542

— ٦٧
Colvin, «Memorandum on Egyptian Chamber», dated Cairo,
Oct, 29, 1882

٦٨ — الياس زاخورا « كتاب مرآة العصر » ص ١٢٥ وما بعدها
Ninet, op. cit, pp. 26. 27. 1.

٦٩ — الوقائع المصرية ٤ يناير ١٨٨٢
٧٠ — الرافعي « الثورة العرابية » ص ١٨٨ — ١٩٠

— ٧١
Van Bemmelen, op. cit., Vol. 11, pp. 263-264

— ٧٢
Rothstein, op. cit., pp. 144-145

٧٣ — الرافعي . الثورة العرابية ص ١٨٧ — ١٨٨

٧٤ — الوقائع المصرية . ٩ فبراير ١٨٨٢

— ٧٥
Jerrald, op. cit., 147-149, B. Cunt, «Secret history», Vol. 1,
App. VI, pp. 561-570

— ٧٦
Van Bemmelen, op. cit., Vol. II, p. 285.

٧٧ — لاسماء الاعضاء كاملة في خلال اعوام ١٨٦٦ — ١٨٧٩ انظر
الرافعي « عصر اسماعيل » الجزء ٢ الفصل ١٣ . ولاسماء اعضاء ١٨٨١
— ١٨٨٢ انظر « الثورة العرابية » ص ١٧٥ — ١٧٨
٧٨ — النص الكامل في « مصر والسودان » لعبد الرحمن الرافعي
ص ٢١٧ — ٢٣٨ . والفريق جزء ٣ ص ١٥٠ — ١٨٢

— ٧٩
Hartslet, «British and foreign state papers, 1882-3. On Lord
Dufferin's project see colvin.
«The making modern Egypt» pp. 38.55. Anos, «The new Egyptien
constitution», Con. Rev., Vol. XLIII, June 1883, p. 920, pp. 909-922
٨. — السيد صبري

«La pouvoir Cegislative»

— ٨١
Cromer, «The situation in Egypt», pp. 22,55. Colvin, «The
making of modern Egypt», pp. 44-45.

Milner, «England in Egypt» pp. 308,55. Symous, «The ridder of Egypt», pp. 85-86.

— ٨٢

Cromer, «The situation in Egypt», pp. 22,55. Alexander, «The truth about Egypt», pp. 88-90.

— ٨٣

On the above provincial counsilo see W.H. Mc Lean, «Local government and town development in Egypt», repr. from the Town Planning Review, Apr. 1917.

٨٤ — « اسئلة واجوبة حول الجمعية العمومية » هلال يوليو ١٩٠٧

ص ٥٦٧ — ٥٦٨

٨٥ — للحصول على الاسماء الكاملة انظر « رؤساء مجلس شورى القوانين » هلال اكتوبر ١٩١٢ ص ٨٠ . « وتاريخ السلطة التشريعية » هلال نوفمبر ١٩١٣

٨٦ — « Moniteur Egyptian » السنة العاشرة ٢٤ اكتوبر ١٨٨٣ .

العدد ١٩٧ و ٤ سبتمبر ١٨٨٣

٨٧ — « Moniteur Egyptian » ٢٤ نوفمبر ١٨٨٣ . ولاسماء اول

مجلس انظر الرافي « مصر والسودان » ص ٥١ — ٥٢ . ولاسماء الذين عادوا في عام ١٨٨٩ . انظر نفس المصدر ص ٥٥

٨٨ — الرافي « مصطفى كامل » ص ٣٤٧

٨٩ — الجريدة الرسمية ٥ يناير ١٨٨٩

٩٠ — الجريدة الرسمية ١٦ يناير ١٨٨٩

٩١ — الجريدة الرسمية ١٨ فبراير ١٨٩١

٩٢ — الجريدة الرسمية ٢ يناير ١٨٩٣

٩٣ — المقتطف عدد يناير ١٨٩٥ ص ٧٨

٩٤ — الجريدة الرسمية ٣١ ديسمبر ١٨٩٤

٩٥ — الرافي « مصطفى كامل » ص ٣٤٧ — ٣٥١

٩٦ — الرافي . نفس المصدر ص ٣٤٩ — ٣٥٠

٩٧ — المقتطف عدد ديسمبر ١٩٠٥ ص ٩٨٥ — ٩٨٧ « الشيخ محمد

عبد » بقلم حسن عبد الرازق

٩٨ — « الشيخ محمد عبد » لعثمان امين مقتطف ديسمبر ١٩٠٥

٩٩ — نفس المصدر

١٠٠ — الجريدة الرسمية عدد ١٢ يناير ١٨٩٩

١٠١ — الرافي . « مصطفى كامل » ص ٣٥٢

١٠٢ - طبع في استنبول كتيب باللغات التركية والعربية والحشية والاردية (٦ صفحات و ٦ صور) ووزع في مصر بعنوان « خلاصة واقعة دنشواي » . « الدهر دنشواي » لمحمد طاهر خاكي ١٩٠٧ . ونشر في عدد مايو ١٩٠٨ من الهلال انه قد صدر كتاب بعنوان « حادثة دنشواي » (١٦٠ صفحة مصورة) .

١٠٣

Alexander, op., cit., p. 91.

١٠٤

Cromer, «The situation in Egypt», 25, Saleh, op. cit., pp. 179-180. Fyfe «The new Spirit in Egypt», p. 130.

- ١٠٥

Alexander, op. cit., pp. 252-256.

١٠٦ - عن حياة بطرس غالي انظر « بطرس غالي » الهلال عدد مارس ١٩١٠ ص ٣٦٩ - ٣٧٧ . وعن المحاكمة انظر « المقتطف من تاريخ مصر » لانور احمد بالمصور عدد ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ ص ٣٠ - ٣١ - ٣٤ .
١٠٧ - «السلطة النيابية في الحكومة المصرية ومسألة قناة السويس» الهلال عدد مايو ١٩١٠ . و « حوليات مصر السياسية » لاحمد شفيق جزء ١ ص ٣٥

Amos, «England and Egypt»

١٠٨ - «News from Egypt» نشرة بقلم بلنت الجزء ١ ص ٣١٠ مايو

١٩١١ ص ٢١

١٠٩ - النص الكامل في « هلال » ابريل ١٩١٢ ص ٤٣٤ - ٤٣٦

١١٠ - «News from Egypt» جزء ٢ ابريل ١٩١٢

١١١ - «News from Egypt» جزء ٤ مارس ١٩١٣

١١٢ - Elgood, «The transit of Egypt», p. 193

١١٣ - Elgood, «The transit of Egypt», p. 206

١١٤

Lloyed, «Egypt since Cromer», Vol. 1, pp. 139-142. Newman, Great Britain in Egypt», pp. 174-175. Worsfold, «The future of Egypt» pp. 128-140.

عباس العقاد . سعد زغلول . ص ١٥١ وما بعدها .

- ١١٥

Moselay, «With Kitchener in Cairo», p. 68

- ١١٦

Worsfold, op. cit., p. 199.

- ١١٧
Lloyd, op. cit., Vol. 1, p. 142.
- ١١٨
Moseley, op. cit., p. 92
- ١١٩ – « الجمعية التشريعية » في مقتطف فبراير ١٩١٤ ص ١٧٣ – ١٧٥
- ١٢٠ – « التمثيل العربي » لابراهيم رمزي ، هلال ابريل ١٩١٤
« وكلمات مختارة لسعد زغلول باشا » ، هلال مايو ١٩٢١
- ١٢١ – نفس المصدر
- ١٢٢ – « سعد زغلول » لعباس محمود العقاد . ص ٩٤ وما بعدها
- ١٢٣
Worsfold, op. cit., p. 92-93
- ١٢٤ – الهلال . نوفمبر ١٩١٤ ص ١٦٦
- ١٢٥ – الهلال عدد مايو ١٩١٥ ص ٦٩٨
- ١٢٦ – « ثورة سنة ١٩١٩ » لعبد الرحمن الرافعي جزء ١ ص ٢٧
- ١٢٧ – « تصريح ٢٨ فبراير » بقلم كريم ثابت . هلال فبراير ص ٥٠٤ – ٥٠٧
- ٢٨
Newman, op. cit., App. 1, p. 292
- ١٢٩ – المقتطف عدد مايو ١٩٢٨ ص ٤٩٧ – ٥٠٣
- ١٣٠ – للحصول على اسماء اعضاء اللجنة انظر « تطورات الحكم
النيابي في مصر » في هلال اغسطس ١٩٢٨ ص ١٢٤٣ – ١٢٤٤
- ١٣١ – « أدب وتاريخ » لمحمد صبري في اهرام ١٨ اكتوبر ١٩٢٢
« وحواليات » احمد شفيق .
- ١٣٢ – حواليات احمد شفيق
- ١٣٣ – حواليات احمد شفيق جزء ٣ – تمهيد
- ١٣٤ – نفس المصدر
- ١٣٥ – « دستور المملكة المصرية » هلال مايو ١٩٢٣ ص ٤٨٩
- ١٣٦ – « السياسة المصرية والانقلاب الدستوري » لمحمد حسنين
هيكل ومحمد عبد القادر المازني ومحمد عبدالله عنان
- ١٣٧ – نفس المصدر
- ١٣٨ – الرافعي « في اعقاب الثورة » جزء ١ ص ٣١٠ – ٣٢٧
- ١٣٩ – نص دستور ١٩٢٣ في مقتطف مايو ١٩٢٣ ص ٤٩٦ – ٥١٧

- ١٤٠ - عثمان أمين . المصدر السابق
١٤١
Dutcher, «The political awaking of the east»
١٤١
Dutcher, op. cit., pp. 44-45
١٤٢ - زكي فهمي . « صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر »
١٤٣ - السيد صبري . المصدر السابق
١٤٤ -
Alexander, op. cit., pp. 149-151
١٤٥ -
Tweedy, O., «Saad Pasha Zaghloul» 1927
١٤٦ -
Tweedy, op. cit., pp. 101-105.
١٤٧ - محمد عبده . هلال اغسطس ١٩٠٥
١٤٨ - نفس المصدر
١٤٩ - احمد شفيق « الحوليات الاولى » جزء ١ ص ٣ وما بعدها
١٥٠ - احمد شفيق « الحوليات الاولى » جزء ١ ص ٥ وما بعدها
١٥١ - عباس العقاد « سعد زغلول » .
١٥٣ - مقتطف مارس ١٩٢٤ « وزارة الامن ورئيسها » .
١٥٤ - « افتتاحية العهد الدستوري » هلال مارس ١٩٢٤ ص ٢٤٣ - ٢٤٦
١٥٥ - نفس المصدر
١٥٦ - شفيق ومقتطف وهلال ابريل ١٩٢٤ . نص الخطاب .
والياس كوستاكي « تاريخ تكوين الصحف المصرية » ص ١٨٧
١٥٧
Cf. Kohn, «Nationalism and imperialism», p. 86.
١٥٨ - شفيق . الحوليات الاولى جزء ١ ص ١٥٢ - ١٣١
١٥٩ -
Kohn, op. cit., p. 75.
١٦٠ -
Newman, op. cit., App. 1, p. 124.
١٦١ - شفيق . المصدر السابق
١٦٢ -
Lloyd, op. cit., Vol. 11, pp. 94-101.

- ١٦٣ - للاجتماع السري . انظر العقاد المصدر السابق . وشفيق في
الحوليات الاولى
- ١٦٤ - السيد صبري . المصدر السابق وشفيق في الحوليات .
و « الوضع في مصر » لايجود Elgood
- ١٦٥
- Kohn, «Nationalism and imperialism»
١٦٦ - بسيم يوسف « مصر المستقلة » .
- ١٦٧
- Abbas Hilmi 11, «A few words on the Anglo-Egyptian
settlement», p. 87.
- ١٦٨
- Mc Callum, «The Near East», p. 7.
- ١٦٩
- Tweedy, «Saad Zaghloul»
١٧٠ - ابراهيم مذكور ومريت غالي « نظام جديد وحياة جديدة »
- ١٧١
- Alexander, «The truth about Egypt», p. 2.
١٧٢ - نفس المصدر
١٧٣ - نفس المصدر
١٧٤ - نفس المصدر
١٧٥ - جورجى زيدان « تراجم » الجزء ١ ص ٢٢٢
١٧٦ - « سؤال وجواب عن الجمعيات في الاسلام » هلال ابريل
١٩١٨ ص ٦٠٥
١٧٧ - نفس المصدر
١٧٨ - نفس المصدر
١٧٩ - وعاش نينت في مصر منذ ١٨٥٦ .
Ninet, «The origin of the national party in Egypt», Vol. XIII,
1883, p. 126.
١٨٠ - نفس المصدر
١٨١ - « احمد عرابي والثورة العرابية » هلال اكتوبر ١٩١١ ص ٢٨
١٨٢ - نفس المصدر
١٨٣ - « احمد عرابي المصري » هلال سبتمبر ١٨٩٦ ص ٤٥ - ٤٦ .
والياس زاخورا المصدر السابق . نجيب مخلوف « نوبار وما تم على يديه »
ص ١٤٠ - ١٤١
- Newman, «Great Britain in Egypt», pp. 38, 39.

١٨٤ - « كشف الستار » من مذكرات عرابي . جورجى زيدان
« تراجم » . محمد فهمي المهندس « ابو الصفير » . المصدر السابق
لمحمود صبري « محمود سامي البارودي » لمحمود صبري في « أدب
وتاريخ » .

١٨٥ - جورجى زيدان « تراجم » جزء ١ ص ٢٤١

١٨٦ - بدأ حليم تعليمه في فرنسا حوالي ١٨٤٥

١٨٧ - عن الخلافات الاولى بين حليم واسماعيل ، اقرا دوين
المصدر السابق جزء ١ الفصل ٧

١٨٨ - نفس المصدر السابق

١٨٩ - المصدر السابق

١٩٠ - المصدر السابق

١٩١ - جورجى زيدان « تاريخ مصر الحديث » جزء ٢ ص ٢٤٦

١٩٢ - البرنس حليم باشا . هلال يونيو ١٨٩٤

١٩٣ -

Jerrald, «Egypt under Ismail Pasha».

١٩٤ - نفس المصادر السابقة

١٩٥ - نفس المصدر

١٩٦ - نفس المصدر

١٩٧ - نفس المصدر

١٩٨ - نفس المصدر

١٩٩ - جورجى زيدان « تاريخ الماسونية العام » . ص ٢٠٢ -

٢١٣ - ٢١٧

Gould, «The history of free masony»

٢٠٠ - « السيد جمال الدين الافغانى » هلال مارس وابريل

١٨٩٧ . و « الافغانى » مجلة الشبان المسلمين فبراير ١٩٣٠ لعبد الرشيد

ابراهيم . « وجمال الدين الافغانى » مجلة الكتاب عدد مارس ١٩٤٦ .
والامة الاسلامية لمحمد عبده .

٢٠١ - الرافعى . عصر اسماعيل جزء ٢ . زيدان « تراجم » جزء ٢

٢٠٢ - نفس المصدر

٢٠٣ - لاثر الافغانى على اديب اسحاق . انظر « تراجم » لزيدان .

« اديب بك اسحاق » هلال اغسطس ١٨٩٦ . محمد صبري « تاريخ

مصر الحديث » . محمد عبدالله عنان « الصحافة في عصر اسماعيل » .

اديب اسحاق مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٨ .

- ٢٠٤ - الرافي « عصر اسماعيل » جزء ٢ ص ١٦٢
- ٢٠٥ - نفس المصدر
- ٢٠٦ - نفس المصدر
- ٢٠٧ - نفس المصدر
- ٢٠٨ - « محمد عبده » لامين عثمان ص ٣٤ - ٣٥
- ٢٠٩ - امين عثمان ، نفس المصدر
- ٢١٠ - نفس المصدر
- ٢١١ - سالم الانهورى في كتاب الرافي « عصر اسماعيل » جزء ٢
- ٢١٢ - احداث محمد عبده وعرابي في كتاب بلنت « التاريخ السري »
جزء ١
- ٢١٣ - نفس المصدر
- ٢١٤ - نفس المصدر
- ٢١٥ - سؤال وجواب « عن الماسونية ومبرراتها » مقتطف يونيو ١٩٠٠ . « مصطفى كامل » هلال مارس ١٩٠٨ . « الجرائد والمجلات في القطر المصري » نفس المصدر . « الماسونية في البلاد العثمانية » مقتطف فبراير ١٩١٠ .
- ٢١٦ - بلنت « التاريخ السري » جزء ١
- ٢١٧ - نفس المصدر
- ٢١٨ - نفس المصدر
- ٢١٩ - محمد حسنين هيكل « تراجم » . فلينى فهمي « مذكرات »
٢٢٠ -
- Diccy, «The story of Khedivate»
- ٢٢١ - السيد عبدالله النديم هلال فبراير ١٨٩٧ . زيدان « تراجم » . ولنشاط الجمعية المختلفة من الثمانيات في القرن التاسع عشر وما بعدها ، انظر هلال يناير ونوفمبر ١٨٩٣ ، وفبراير وديسمبر ١٨٩٥ ، وديسمبر ١٨٩٧ ، وكان محمد عبده رئيسها من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ . عثمان امين المصدر السابق . ولنشاط الجمعية في السنوات الاولى من القرن العشرين ، انظر سلامه موسى القاهرة فيما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ في الكاتب المصري عدد يوليو ١٩٤٦ .
- ٢٢٠ - نفس المصدر
- ٢٢٣ -
- «The Arabic press of Egypt», Hartman
- ٢٢٤ - نفس المصدر

- ٢٢٥ - Ninet, «Arabi Pasha»
 ٢٢٦ - نفس المصدر
 ٢٢٧ - نفس المصدر
 ٢٢٨ - لا يجب الخلط بين هذا الحزب ، والحزب الذي انشئ بنفس الاسم في بداية القرن العشرين .
 ٢٢٩ - « التجاره » عدد ابريل ١٨٧٩ في كتاب الرافعي « عصر اسماعيل » الجزء الثاني
 ٢٣٠ - الرافعي « عصر اسماعيل » و « الثورة العرابية »
 Ninet, «Arabi Pasha»
 ٢٣١ - الرافعي « عصر اسماعيل » جزء ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢١
 ٢٣٢ -
 C. Rivers Wilson, «Chapters from my official life»
 ٢٣٣ - الرافعي « عصر اسماعيل » ..
 ٢٣٤ - الرافعي . نفس المصدر
 ٢٣٥ - نفس المصدر
 ٢٣٦ -
 Ninet, «The origin of national Party in Egypt»
 ٢٣٧ - الرافعي « الثورة العرابية »
 ٢٣٨ - الرافعي . المصدر السابق . بلنت « التاريخ السري »
 ٢٣٩ - بلنت « التاريخ السري »
 ٢٤٠ - نفس المصدر
 ٢٤١ - نفس المصدر
 ٢٤٢ - نفس المصدر
 ٢٤٣ - نفس المصدر
 ٢٤٤ - نفس المصدر
 ٢٤٥ - نفس المصدر
 ٢٤٦ - نفس المصدر
 ٢٤٧ - نفس المصدر
 ٢٤٨ - نشرت بعض اجزاء ثمينه من كتاب « العروه الوثقى للامامين الحكيمين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده » .
 ٢٤٩ - زيدان « تراجم » وعثمان امين « محمد عبده » .
 ٢٥٠ - جريدة الانباء ٩ اغسطس ١٨٨٣ .
 ٢٥١ - نفس المصدر

- ٢٥٢ - ذكر نينت في كتابه عرابي باشا اسماؤه اخرى مثل احمد الشايب ، والشيخ محمد عبده
- ٢٥٣ - الرافي « الثورة العرابية » . « احمد عرابي المصري » هلال سبتمبر ١٨٩٦ . خطاب عرابي لجورج زيدان
- ٢٥٤ - بلنت « التاريخ السري »
- ٢٥٥ - نفس المصدر
- ٢٥٦ - « السيد عبدالله النديم » هلال فبراير ١٨٩٧ . زيدان تاريخ مصر الحديث ، « تراجم » . ابراهيم عبده « تطور »
- ٢٥٧ - محمد رشيد رضا « تاريخ الاستاذ الامام » . سؤال وجواب « لماذا نفي الشيخ محمد عبده » هلال اغسطس ١٩٠٥ . « محمد عبده وشهادته العالمية » لعبد المنعم حموده « محمد عبده » لعثمان امين
- ٢٥٨ - نفس المصادر
- ٢٥٩ - مذكرة « بيمان » « Beaman » حول الخطابات والاعداد الاخرى التي وجدت في بيت عرابي بعد اعتقاله ، انظر بلنت « التاريخ السري »
- ٢٦٠ - نفس المصدر
- ٢٦١ -
- Cromer, «Modern Egypt», Vol. 1.
- ٢٦٢ - نفس المصدر
- ٢٦٣ - زيدان « تراجم » . « عبدالله النديم » هلال فبراير ١٨٩٧
- ٢٦٤ - نفس المصدر
- ٢٦٥ - محمد رشيد رضا . المصدر السابق جزء ١ . ابراهيم عبده « تطور » ص ١٠٧
- ٢٦٦ -
- Jerrold, «The Belgium of the east», p. 116. « Beaman »
- « Planchut » مصر تحت الاحتلال الانجليزي
- ٢٦٧ - لائحة اصلاح مرفوعة الى جلالة الامير توفيق الاول
- ٢٦٨ - نفس المصدر
- ٢٦٩ - نفس المصدر
- ٢٧٠ - نفس المصدر
- ٢٧١ - نفس المصدر
- ٢٧٢ - نفس المصدر
- ٢٧٣ - تاريخ الاحزاب والسياسة هلال ديسمبر ١٩٠٧

- ٢٧٤ - نفس المصدر
 ٢٧٥ - Steevens, «Egypt in 1898»
 ٢٧٦ - نفس المصدر
 ٢٧٧ - نفس المصدر
 ٢٧٨ - « مصطفى كامل والنهضة السياسية » هلال مارس ١٩٠٨ .
 « مصطفى كامل » للرافعي
 ٢٧٩ - قول هيكل في كتابه « تراجم » ان مصطفى كامل ارسل الى فرنسا بمنحة من الخديوي عباس الثاني لم يتم تأكيده بعد
 ٢٨٠ - نقله الرافعي في كتابه مصطفى كامل عن « المؤيد »
 ٢٨١ - هيكل « تراجم » . خطابات مصرية فرنسية ، بسيم
 ٢٨٢ - نفس المصدر
 ٢٨٣ - من موضوع لسلامه موسى في الكاتب المصري بتاريخ يوليو

١٩٤٦

- ٢٨٤ « الجرائد في القصر المصري » مجلة الضياء عدد ١ ١٨٩٨
 ٢٨٥ - نفس المصدر
 ٢٨٦ - نفس المصدر
 ٢٨٧ - نفس المصدر
 ٢٨٨ - نفس المصدر
 ٢٨٩ - لا يمكن للانسان ان يتجاهل - بالرغم من الافتقار الى الدليل - ان مصطفى كامل كان على صلة ببقية الزعماء من جمعية الضباط الذين بقوا في القاهرة . وجمع الضباط في السودان على اختلاف رتبهم ، خصوصا وان فرعا تكون في ام درمان ، كان على اتصال دائم برئاسة الجمعية في القاهرة كما يقول تقرير للكولونيل جاكسون محول من كرومر الى وزارة الخارجية البريطانية . « المؤلف » .
 ٢٩٠ - المصدر السابق
 ٢٩١ - المصدر السابق
 ٢٩٢ - « تاريخ النهضة الصحفية في اللغة العربية » هلال مايو ١٩١٠
 ٢٩٣ - نفس المصدر
 ٢٩٤ - نفس المصدر
 ٢٩٥ - نفس المصدر
 ٢٩٦ - « مصطفى كامل في سنة ١٩٤٨ » لفكري ابازة هلال مايو

١٩١٠

- ٢٩٧ - نفس المصدر
 ٢٩٨ - نفس المصدر
 ٢٩٩ - نفس المصدر
 ٣٠٠ - « الشمس المشرقة » الجزء الاول . مطبعة اللواء
 ٣٠١ - نفس المصدر
 ٣٠٢ - نفس المصدر
 ٣٠٣ - نفس المصدر
 ٣٠٤ - نفس المصدر
 ٣٠٥ - في هذه الواقعة انظر :

Graves, «Britain and Turk», ch. 17.

- ٣٠٦ - نفس المصدر
 ٣٠٧ - نفس المصدر
 ٣٠٨ - محمد وسام رضا . الجزء ٣
 ٣٠٩ - نفس المصدر . جزء ٢ ص ٨٢ - ٨٤
 ٣١٠ - نفس المصدر
 ٣١١ - ذكر التاريخ الحقيقي ٢٧ أكتوبر ١٩٠٧ في بعض خطابات مصطفى كامل ومصادر عربية أخرى . ومن المصادر الاجنبية بروكلمان وآدم
 ٣١٢ - « مصر والسودان اوائل عهد الاحتلال » ، للرافعي . جزء ٢ ص ٩٢ - ٩٦
 ٣١٣ - نفس المصدر
 ٣١٤ - نفس المصدر ص ١١٩ - ١٢١
 ٣١٥ - نفس المصدر
 ٣١٦ - « تراجم » . محمد حسنين هيكل
 ٣١٧ - نفس المصدر
 ٣١٨ - نفس المصدر
 ٣١٩ - « الوطنية المصرية الجديدة » بلنت
 ٣٢٠ - نفس المصدر
 ٣٢١ - نفس المصدر
 ٣٢٢ -

Adam, «L'Angleterre en Egypt»

- ٣٢٣

Ibid, op. cit., pp. 131-135

- ٣٢٤
- op. cit., p. 140
- ٣٢٥ — موضوع عن « اللواء » في هلال ١٩٠٠
- ٣٢٦
- O'Leary, «Islam at the cross roads»
- ٣٢٧ — القانون الدستوري المصري . للفريق ص ٨٢ وما بعدها
- ٣٢٨ — نفس المصدر السابق ص ١٠٣ وما بعدها
- ٣٢٩ — نفس المصدر
- ٣٣٠ — نفس المصدر
- ٣٣١ — نفس المصدر
- ٣٣٢ — لاتجاهات مصطفى كامل نحو فرنسا . انظر ابراهيم عبده « تطور »
- ٣٣٣
- Van Bemmlen, «L'Egypte et Europe»
- ٣٣٤
- Ibid. op. cit., pp. 84-88.
- ٣٣٥ — « الشمس المشرقة » طبع دار اللواء
- ٣٣٦ — نفس المصدر ص ٩٢ — ١٠١
- ٣٣٧ — نفس المصدر
- ٣٣٨ — نفس المصدر
- ٣٣٩ — نفس المصدر
- ٣٤٠ — « الحركة السياسية في مصر » هلال مايو ١٩١١
- ٣٤١ — نفس المصدر ص ١٠٤ — ١٠٦
- ٣٤٢ — نفس المصدر
- ٣٤٣ — نفس المصدر
- ٣٤٤ — نفس المصدر
- ٣٤٥
- Sadek «La constitution de l'Egypt»
- ٣٤٦
- Ibid., op. cit., pp. 102-104
- ٣٤٧ — اهرام ، نوفمبر ١٩٢٠
- ٣٤٨ — نفس المصدر
- ٣٤٩ — نفس المصدر
- ٣٥٠ — جورجى زيدان ، تاريخ مصر الحديث ص ٩٢ — ١٠٣

- ٣٥١ - نفس المصدر
- ٣٥٢ - نفس المصدر ص ١٤٤ - ١٤٦
- ٣٥٣ -
- Awad «La souveraineté Egyptienne»
- ٣٥٤ -
- Ibid, op. cit., pp. 91-103
- ٣٥٥ - « تاريخ السلطات النيابية » هلال جزء ١٨ . اول يناير ١٩١٠ ص ٨٢
- ٣٥٦ - نفس المصدر
- ٣٥٧ - نفس المصدر ص ١٥٢ - ١٥٣
- ٣٥٨ - نفس المصدر
- ٣٥٩ - شفيق تمهيد
- ٣٦٠ - نفس المصدر
- ٣٦١ - نفس المصدر
- ٣٦٢ - تاريخ القومية المصرية . للرافعي . جزء ٢
- ٣٦٣ - « لواء الاسلام » سبتمبر ١٩٢١ . « المسألة المصرية » لعللي فهمي
- ٣٦٤ - شفيق « الحوليات » تمهيد
- ٣٦٥ - نفس المصدر
- ٣٦٦ - نفس المصدر
- ٣٦٧ - نفس المصدر
- ٣٦٨ - يجب تذكر ان تعيين فؤاد الذي كان في ظل الاحكام العسكرية كان ايضا بناء على المادة السادسة
- ٣٦٩ -
- Sammarco, op. cit., pp. 111-115.
- ٣٧٠ -
- Ibid, op. cit., pp. 114-120
- ٣٧١ - الاهرام ١٠ مايو ١٩٢٣
- ٣٧٢ - نفس المصدر
- ٣٧٣ - نفس المصدر
- ٣٧٤ - نفس المصدر
- ٣٧٥ - مقتطف بتاريخ نوفمبر ١٩٢٣ تحت عنوان « حياتنا النيابية »
- ٣٧٦ - نفس المصدر

٣٧٧ - نفس المصدر

٣٧٨ - نفس المصدر

٣٧٩ -

Cooper, «The man of Egypt». Blunt, «The new situation in Egypt»

٣٨٠ - ترك كرومر مصر في مايو ١٩٠٧ ، ولكن كان قيام هذا الحزب نتيجة لجهوده .

٣٨١ - « الوطنية الجديدة » بلنت

٣٨٢ - نفس المصدر جزء ٢ ص ٨٢ - ٨٥

٣٨٣ - نفس المصدر

٣٨٤ - نفس المصدر

٣٨٥ - نفس المصدر

٣٨٦ - نفس المصدر

٣٨٧ - نشرت بعض هذه المواد في الجرائد من عام ١٩١٢ الى ١٩١٤

ثم جمعت في كتاب بقلم احمد لطفي السيد بعنوان « تأملات في الفلسفة والادب والسياسة والاجتماع » . في ذلك الوقت كانت هناك دراسة ممتعة عن « سلطة الامة » و « من اجل ذلك نطلب الدستور »

٣٨٨ - « صوت من بعيد » جزء ٢ « هل هناك حزب وطني وهل له

زعيم » مجلة « الجمعة » اكتوبر ١٩٠٦

٣٩٢ - جريدة المؤيد . الياس زاخورا . والعقاد في الفصول

٣٩٣ - نفس المصدر

٣٩٤ - نفس المصدر

٣٩٥ - العقاد « سعد زغلول » . الجزء الاول

٣٩٦ - نفس المصدر

٣٩٧ - نفس المصدر

٣٩٨ - نفس المصدر

٣٩٩ -

Saby, «Episode de la question d'Afrique»

- ٤٠٠

Ibid., op., cit., p. 125.

٤٠١ - الثورة العربية . للرافعي . المصدر السابق

٤٠٢ - نفس المصدر

٤٠٣ - نفس المصدر

- ٤٠٤ - نفس المصدر
- ٤٠٥ - «الدكتور اخنوخ فانوس» مقتطف يناير ١٩١٩
- ٤٠٦ - نفس المصدر
- ٤٠٧ - نفس المصدر
- ٤٠٨ - نفس المصدر
- ٤٠٩ - نفس المصدر
- ٤١٠ - «الثورة العرابية» لورد كرومر
- ٤١١ - نفس المصدر
- ٤١٢ - نفس المصدر
- ٤١٣ - نفس المصدر
- ٤١٣ - نفس المصدر
- ٤١٤ - نفس المصدر
- ٤١٥ - اهرام ١٢ ابريل ١٩٢٠ موضوع بعنوان ثلاث وسائل لتحليل العلاقات المصرية الانجليزية
- ٤١٦ - نفس المصدر
- ٤١٧ - نفس المصدر
- ٤١٨ - «العناصر الثلاث للقومية المصرية» رياض شمس
- ٤١٩ - نفس المصدر
- ٤٢٠ - نفس المصدر
- ٤٢١ - نفس المصدر
- ٤٢٢ - مجلة التجارة بتاريخ اول فبراير ١٩١٤
- ٤٢٣ - نفس المصدر
- ٣٢٤ - نفس المصدر
- ٤٢٥ -
- Ransom «The history of the Egyptian crisis»
- ٤٢٦ -
- Ibid., op. cit., p. 115.
- ٤٢٧ - جريدة الاخبار القاهرية . بتاريخ ١٢ يناير ١٩١٥
- ٤٢٨ - شفيق . تمهيد
- ٤٢٩ - نفس المصدر
- ٤٣٠ - نفس المصدر
- ٤٣١ -
- Newman, «Great Britain in Egypt»

- ٤٣٢ - المصدر السابق
- ٤٣٣ - شفيق تمهيد
- ٤٣٤ -

Milner, «England in Egypt»

- ٤٣٥ - المصدر السابق
- ٤٣٦ - المصدر السابق
- ٤٣٧ - المصدر السابق
- ٤٣٨ - الاخبار ٦ يونيو ١٩٢١
- ٤٣٩ - نفس المصدر
- ٤٤٠ - هلال يونيو ١٩٢١
- ٤٤١ - نفس المصدر
- ٤٤٢ - نفس المصدر
- ٤٤٣ - الاخبار ٢ مارس ١٩٢٣
- ٤٤٤ - نفس المصدر
- ٤٤٥ - نفس المصدر
- ٤٤٦ - نفس المصدر
- ٤٤٧ - نفس المصدر
- ٤٤٨ - نفس المصدر
- ٤٤٩ - نفس المصدر
- ٤٥٠ - نفس المصدر
- ٤٥١ - هلال اغسطس ١٩٢٢
- ٤٥٢ - نفس المصدر
- ٤٥٣ - نفس المصدر
- ٤٥٤ - نفس المصدر
- ٤٥٥ - نفس المصدر
- ٤٥٦ - نفس المصدر
- ٤٥٧ - نفس المصدر
- ٤٥٨ - نفس المصدر
- ٤٥٩ - نفس المصدر
- ٤٦٠ - نفس المصدر
- ٤٦١ - « القضية المصرية من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٣ » .
- « المسألة المصرية » محمود ابو الفتح .

- ٤٦٢ - نفس المصدر
 ٤٦٣ - « ثورة سنة ١٩١٩ » الرافعي
 ٤٦٤ - نفس المصدر
 ٤٦٥ - « سعد زغلول » العقاد
 ٤٦٦ - نفس المصدر
 ٤٦٧ - نفس المصدر
 ٤٦٨ - نفس المصدر
 ٤٦٩ - نفس المصدر
 ٤٧٠ - نفس المصدر
 ٤٧١ - الاخبار بتاريخ ١ فبراير ١٩٢٤
 ٤٧٢ - نفس المصدر
 ٤٧٣ - نفس المصدر
 ٤٧٤ - نفس المصدر
 ٤٧٥ - نفس المصدر
 ٤٧٦ - نفس المصدر
 ٤٧٧ - نفس المصدر
 ٤٧٨ - نجح الوفد في اقناع V. Marguirite في ان يكتب كتيباً
 عن القضية المصرية « و اضاف اليه اناتول فرانس بعض الكلمات .
 « سعد زغلول » للعقاد
 ٤٧٩ - الحوليات لاحمد شفيق جزء ٢
 ٤٨٠ - نفس المصدر
 ٤٨١ - نفس المصدر
 ٤٨٢ - نفس المصدر
 ٤٨٣ - كانوا من الطلبة الذين يتعلمون في اوربا وقد نظموا بعض
 الاضرابات في برلين واماكن اخرى في اوربا
 ٤٨٤ - تاريخ الثورة القومية المصرية . للرافعي
 ٤٨٥ - شفيق . تمهيد
 ٤٨٦ - لاتجاه الوفد نحو فرنسا اقرأ « الاتجاهات الدستورية في
 البلاد الشرقية » لولسن
 ٤٨٧ - جريدة السياسة ١٩٢٥
 ٤٨٨ - نفس المصدر
 ٤٨٩ - نفس المصدر

- ٤٩٠ - نفس المصدر
٤٩١ - نفس المصدر
٤٩٢ - نفس المصدر
٤٩٣ - نفس المصدر
٤٩٤ - نفس المصدر
٤٩٥ - هلال ١٩٢٦ موضوع « عن الاحزاب السياسية والائتلاف »
٤٩٦ - نفس المصدر
٤٩٧ - نفس المصدر
٤٩٨ - جريدة السياسة
٤٩٩ - اثنان من هؤلاء حسن عبد الرازق واسماعيل زهدي قد اغتيلوا في مدخل نادي الحزب
٥٠٠ - المقتطف بالعدد ٣١٢٢ بتاريخ ١٩٢٦
٥٠١ - « بورص اجبسيان » عدد ٢٩ اكتوبر ١٩٢٤
٥٠٢ - نفس المصدر
٥٠٣ - نفس المصدر
٥٠٤ - نفس المصدر
٥٠٥ - نفس المصدر
٥٠٦ - توينبي . نفس المصدر
٥٠٧ - نفس المصدر
٥٠٨ - نفس المصدر

مراجع عربية

- ١ - « سعد زغلول ، سيرة وتاريخ » . عباس محمود العقاد ١٩٣٦
- ٢ - « عصر اسماعيل » ، جزآن . عبد الرحمن الرافعي ١٩٣٢
- ٣ - « في أعقاب الثورة » ، ٣ أجزاء ، للرافعي ١٩٤٧ - ١٩٥١
- ٤ - « مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢ » للرافعي في عام ١٩٤٢
- ٥ - « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية » ، للرافعي ١٩٣٩
- ٦ - « تاريخ الحركة الوطنية وتطورات نظام الحكم في مصر » ، ٣ أجزاء ، ١٩٣٠
- ٧ - « الثورة العربية والاحتلال الانجليزي من سلسلة تاريخ الحركة القومية » ١٩٣٧
- ٨ - « ثورة سنة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١١ الى ١٩٤١ ، جزئين ، ١٩٤٦
- ٩ - « تأملات في الفلسفة والسياسة والاجتماع » احمد لطفي السيد ١٩٤٦
- ١٠ - « حوليات مصر السياسية » ٤ أجزاء . و « تمهيد » ٣ أجزاء . احمد شفيق ١٩٢٦
- ١١ - « احمد الشايب والشيخ محمد عبده » مطبعة اسكندرية ١٩٢٩
- ١٢ - « احمد عرابي باشا سيرة حياته واسباب الثورة مكتوبة بقلمه » الهلال اكتوبر ١٩٠١
- ١٣ - « كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العربية » احمد عرابي الحسيني المصري
- ١٤ - « احمد عرابي المصري » هلال سبتمبر واكتوبر ١٨٩٦ ويونيو ١٩٠١
- ١٥ - « احمد عرابي والحوادث العربية » هلال اكتوبر ١٩١١
- ١٦ - « الدساتير الحديثة والدستور المصري القديم » هلال نوفمبر ١٩٢٠

- ١٧ - « الشيخ محمد عبده ، اشتغاله في مجلس الشورى » حسن عبد الرازق . مقتطف ديسمبر ١٩٠٥
- ١٨ - « حدود وانظمة مجلس شورى القوانين المصري » بولاق ١٨٦٦
- ١٩ - « تطور الصحافة المصرية واثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية » ابراهيم عبده ١٩٤٥
- ٢٠ - « نظام جديد وحياة جديدة ، الاداة الحكومية » جزآن ، ابراهيم مذكور ومريت غالي ١٩٤٣ - ٤٥
- ٢١ - « كتاب مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال في مصر » الياس زاخورا ١٨٩٧
- ٢٢ - « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » جورجى زيدان . جزآن ١٩١٠ - ١٩١١
- ٢٣ - « تاريخ الماسونية الام منذ نشأتها الى الان » جورجى زيدان ١٨٩٩
- ٢٤ - « تاريخ مصر الحديث » جزآن . جورجى زيدان ١٨٨٩ - ١٩١١
- ٢٥ - لائحة اصلاح مرفوعة الى جلالة الامير توفيق الاول خديوي مصر خدمة من جمعية اتحاد مصر الفتاة « ١٨٧٩
- ٢٦ - « المسألة المصرية والوفد » محمود ابو الفتح
- ٢٧ - « محمود سامي البارودي » هلال فبراير ١٩٠٥
- ٢٨ - « القانون الدستوري المصري وتطورات نظام الدولة المصرية ابتداء من الفتح العثماني (١٥١٧) الى الوقت الحاضر » محمود حسن الفريق ١٩٢٤
- ٢٩ - « اديب اسحاق » مارون عبود الكتاب فبراير ١٩٤٨
- ٣٠ - « الصحافة في عصر اسماعيل » محمد عبدالله عنان . الكاتب المصري مارس ١٩٤٧
- ٣١ - « محمد عبده » هلال اغسطس ١٩٠٥
- ٣٢ - « كتاب مفتوح الى المستر اسكويز رئيس وزراء انجلترا » محمود فهمي . جنيف ١٩١٥
- ٣٣ - « تراجم مصرية وغربية » محمد حسنين هيكل
- ٣٤ - « السياسة المصرية والانقلاب الدستوري » محمد حسنين هيكل ، ابراهيم عبد القادر المازني ، محمد عبدالله عنان ١٩٣١ .

- ٣٥ - « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » ٣ اجزاء . محمد رشيد رضا ١٩٠٧
- ٣٦ - « ادب وتاريخ » محمد صبري جزآن ١٩٢٧
- ٣٧ - « تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم » محمد صبري ١٩٢٦
- ٣٨ - مصطفى كامل باشا في ٢٤ ربيعاً ١٩٠٨
- ٣٩ - « القضية المصرية من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٣ » مصطفى لطفى المنفلوطي ١٩٢٣ - ١٩٢٤
- ٤٠ - « ثوبار باشا وما تم على يديه » نجيب مخلوف
- ٤١ - « تاريخ تكوين الصحف المصرية » الياس قطوره كوستاكي ١٩٢٨
- ٤٢ - رؤساء مجلس شورى القوانين « هلال اكتوبر ١٩١٣
- ٤٣ - « السلطة النيابية في الحكومة المصرية ومسألة قناة السويس » هلال مايو ١٩١٠
- ٤٤ - « السيد عبدالله نديم » هلال فبراير ١٨٩٧
- ٤٥ - « تاريخ الاحزاب السياسية » هلال ديسمبر ١٩٠٧
- ٤٦ - « جمال الدين الافغانى » عثمان امين ١٩٤٦
- ٤٧ - « محمد عبده » عثمان امين ١٩٤٤
- ٤٨ - « صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر من عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير » زكي فهمي ١٩٢٦
- ٤٩ - « الثورة العرابية » لورد كرومر

مراجع اجنبية

- 1 — Islam and modernism in Egypt; a study of the modern reform inaugurated by Mohammed Abduh, 1933.
- 2 — Alexander, J., «The truth about Egypt», 1911.
- 3 — Amas, Shaldon, «The new Egyptian constitution», 1883.
- 4 — Blesh, E.C., «British and foreign state papers», 1913.
- 5 — Blant, W.C., «The Egyptian revolution, a personal narative», 1882.
- 6 — Blant, W.C., «Secret history of the English occupation of Egypt being a personal narrative of events», 1907.
- 7 — Broodly, A.M., «How we defend Arabi and his friends», 1884.
- 8 — Chirol, V., «The Egyptian problem» 1920.
- 9 — Colvin, A., «The making of modern Egypt», 1906.
- 10 — Crabits, P., «Ismail the maligned Kedive», 1933.
- 11 — Cromer, «Modern Egypt» 1908 and «The situation in Egypt».
- 12 — Grunnigham, A., «To day in Egypt», 1908.
- 13 — Daves, H.M., «Constitutions, electoral laws, treaties of states in the Near and Middle East», 1947.
- 14 — Dicey, E., «England intervention in Egypt», 1882.
- 15 — Fyfe, H.H., «The new spirit in Egypt», 1911.
- 16 — Ghosh, Ramsk, Chandra, «Constitutional development in the Islamic world», 1942.
- 17 — Gibb, H.A.R., «Modern trends in Islam», 1947.
- 18 — Hartman, M., «The Arabic press of Egypt», 1889.
- 19 — Jerrold, B., «The Belgium of the east», 1882.
- 20 — Leon, Edwinde, «Egypt under its Khedives», 1878.
- 21 — Low, Sidney, «Egypt in transition», 1914.
- 22 — Malet, E., «Egypt 1879-1883», 1909.
- 23 — Marshal, I.E., «The Egyptian enigma 1890-1923», 1928.
- 24 — Mc Loan, «Egypt as it is», 1877.
- 25 — Milner, «England in Egypt», 1892.
- 26 — Newman, «Great Britain in Egypt», 1928.

- 27 — Ninet, «Arabi Pasha», 1884.
- 28 — Symons, M.T., «Britain and Egypt», «The rise of Egyptian nationalism», 1925.
- 29 — Toynbee, A.J., «The islamic world since the peace settlement», 1927.
- 30 — Tweedy, O., «Saad Pasha Zaghloul», 1927.
- 31 — Wallas, D.M., «Egypt and the Egyptian question», 1883.
- 32 — Wood, H.F., «Egypt under the British», 1890.

فهرس

صفحة

٥

تعليق

القسم الاول

الحياة النيابية

١٦	مجلس ١٨٦٦ - ١٨٦٧
٢٥	مجلس ١٨٦٧ - ١٨٦٨
٣٣	مجلس ١٨٧٩
٣٨	مجلس ١٨٨١ - ١٨٨٢
٥٠	الحياة البرلمانية من ١٨٨٣ - ١٩١٢
٦٣	الجمعية التشريعية
٦٨	برلمان ١٩٢٤
٧٩	الجمعيات السرية

القسم الثاني

الاحزاب السياسية

٨٩	الحزب الوطني
١٠٣	مصر الفتاة
١٠٦	الحزب الوطني
١٣٨	احزاب ثنوية في اوائل القرن العشرين
١٤٠	حزب الامة
١٤٣	حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية

صفحة

١٤٥	الحزب الوطني الحر
١٤٧	حزب مصر المستقلة
١٤٩	حزب النبلاء
١٥٠	حزب مصر الفتاة
١٥٣	حزب الوفد

احزاب ثنوية بعد سنوات الحرب

١٧١	١ - الاحرار الدستوريون
١٧٥	حزب الاتحاد
١٧٨	مرحلة ما قبل الثورة
١٩٧	حواشي
٢٢١	مراجع عربية
٢٢٧	مراجع اجنبية

